

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234349

UNIVERSAL
LIBRARY

not the (just)

not the

6p

٩٣٠

٩٢٢٦٩٤١

صَوْرَةُ

الى صاحب دارالترجم

مكتبات المولى

عبد الحميد المستفي

الثاني

عبد الحميد محمد المستفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حينما تقدمت الى القراء وكتابتى هذا يميني، أفنى الجزء الاول منه ، لم يكن يخالجنى شك ، في أنه سيلقى من نفوسهم ترحيبا ، ذلك لاني ذرعت القطر المصري من أقصاء إلى أقصاء ، فلم أجد أفعل في نفوس المصريين ولا أقوى في تحريك عواطفهم ، وأحيانا في استدراك الدمع من عيونهم مثل (الله أكبر) وماجري مجراها من عبارات تمجيد الله وشكره ، ونوحيده بل انى لا ذكر رجالا من البوليس جاءوا الينا يحملون عصيا . أو حملتهم أوامر رؤسائهم خوذاً وبنادق ، ليقتضوا علينا فما كانوا يسمعون (الله أكبر) ، حتى ذابت خشونتهم ، وزالت غضبتهم ، واعتروحووا في هتافه عطرا أسعدهم ، وبعت أملمهم في حياة هائلة راضية .

وكتابتى «صور اسلامية» بسيط بساطة (الله أكبر) وأحسب أنه واضح وضوحها ، فكيف لا يلقاه المصريون ، مرحبين ، متجاوزين مما قد يكون في عبارته من ضعف غافرين لكتابه ما قد وقع فيه من خطأ .

واذا كان لكل صوت نغم صدى ، فان الجزء الثانى من صور اسلامية هو صدى تشجيع القراء وتأجيدهم . فأرجو أن يزداد الصوت في قابل الايام قوة ، وأن يكون له دأعا صدها العظيم ...

ولست أعد القراء إلا بأنهم سيجدون في هذا الجزء تفصيلا جديدا لهذه الانشودة التى صاح بها العرب ، في وجه الشدة وترعوا بها عند الفرج فهدأت الدنيا لهم . وأعنى بها الله أكبر ... الله أكبر .

مقدمه الجرح والشان بقلم الكاتب المجاهد الاستاذ فتي رضوان

تقوم في أوروبا اليوم عبادة تزري بكل عبادة اخرى فيها . وهي عبادة جديدة فلما ما لكل شيء جديد من الطرافة — الطرافة عند معتنقيها والتابعين لها ، وعند أصحابها والداعين اليها . هذه الطرافة التي تؤجج في صدور المؤمنين نار الايمان ، وفي صدور الدعاة ، حرارة الدعوة .

هذه الدعوة الجديدة أو هذا الدين المستطرف ، تلخصه كلمة « الزعيم » فنحن نحو ربع قرن أو يزيد ، وأكثر أوروبا ، لا يعرف له ديناً ، يدافع عنه وينافح ، ويجاهد في سبيله ويكافح الا « الزعيم » وقد بدأ هذا الدين أول ما بدأ في روسيا ، حينما تقوضت أر كان القيصرية فسقط القيصر ثم سجن ، ثم اعدم هو وزوجه وأولاده ، في قرية نائية بعيدة ، دون أن يسمع باعدامه أحد ، إلا جدران البيت الذي نفى فيه أياماً قبل مقتله .. الجدران التي رددت صدى الرصاصات واحدة بعد أخرى ، وسط وجوم رهيب انهارت القيصرية ، وقد كان عماد قوتها أنها كانت شيئاً مقدساً .. كانت ظل الله في أرضه ، لا يرفع الروسي عينه اليها ، إلا كما يرفع رأسه الى السماء ، والانسان لا يرفع رأسه الى السماء ليحاسبها على خطأ ارتكبه ، ولا ليعتب عليها ، تقصير أقارفته ، ولا ليعتم عليها أن تنهج نهجاً خاصاً في أمر من الامور . بل ان الانسان يرفع الى السماء أ كف الضراعة مبتهلاً منيها مستغفراً مسلماً أموره خالقه

كانت القيصرية هي السماء القريبة لاروسى، كان يلجأ اليها — لا يلتمس
القوت،، ولا ليطلب الكساء، بل ليطلب البركة .. وقد كانت «البركة»
هي كل ما تمنحه القيصرية للشعب الروسى الجائئ المريض، الجاهل المفكك
العري، الموزع بين فاقته وجبنه .. فلما زالت القيصرية — زالت البركة
معها، والتقى الفلاح الروسى المسكين نفسه، كسيدة تعرت أمام الناس فلم
تقو على مواجهة أنظارهم، فجعلت تعدو هنا، وتجرى الى هناك . طالبة
الملجأ، ملتزمة الستر: وتغسها في أشد الحيرة .

نعم، كانت هذه حالة الفلاح الروسى، ضاع مذه القيصر الذي كان
يسميه (الوالد) وضاعت مع القيصر الكنيسة، فلم يعد الفلاح يرى القسيس
ذا المسوح الاسود، والطيلسان الحريري السابغ، واختفى الصليب الذي
كان يحمله هؤلاء القساوسة، ويقربونه الى شفئى الفلاح المسكين، فيقبله
مغمضا عينيه، شاعرا بأن قلبه قد انسكبت فيه قطرات من ماء الهدوء
والارتياح .

وجاء الى الفلاح الروسى قوم جدد غير القيصر، وغير قساوسة القيصر
ورهبانه، وضباطه وأمرائه . جاء قوم يقولون ان الدين الجديد هو حق
الانسان في أن يأكل بقدر ما يحتاج بطنه الى غذاء، وأن يعمل بقدر
ما تسمح له قوته أن يعمل . جاء قوم قالوا له لاغنى بعد اليوم ولا فقر،
بل متساوون جميعا في كل شيء . قالوا له لا سيد بعد اليوم ولا مسود بل اخوان
لا يتفاضلون . أما الفلاح الروسى فلم يفرح بشيء من هذا كله لانه لم يفهمه؟
إذ كيف تستقيم حياته بلا (بركة) وبلا (قداسة) كيف يستطيع أن يعيش
وهو في حاجة الى قوة منظورة أو غير منظورة يلتجىء اليها طالبا العون،
داعيا مبتهلا . ولقد أضاعوا عليه «سماهين» سماه القريبة التى يعترف لها

بالأبوة ، فلم يعد يرى القيصر ، بأبيهته ، وجلاله ، وخبوله ، ولم يعد يرى
الرهبان ولا القسوس الذين يبدونهم مفاتيح السماء العليا وفي دعواتهم جواز
الوصول الى جنات تجرى من تحتها الأنهار ...

وفي أغسطس سنة ١٩١٤ اندلعت السنة الحرب الكبرى وأخذت
تخرب ، وتخرب ، وتحتاج في طريقها مدنا وشعوبا ، فاكنتحت فيما
اكنتحت الايمان بالكنيسة ، فلما انتهت الحرب ، رأى الاوريون أنفسهم
كالفلاح الروسي لاملجأ ولا ستر ، ولا ملاذ

• كانت أوربا وثنية . وجاء اليها الدين الجديد (المسيحية) — فأصبح
دينا رسميا للدولة . آمنت به الدولة ، بعد ان كانت تحارب الذين يفكرون
في اعتناقه ، وتعذب من آمنوا به في خفية من عسسا وغيونها . ولكن حكام
أوروبا ، لم يلبثوا حتى شعروا بخطر هذا الدين عليهم . هذا الدين الذي
يدعو إلى المحبة ، وإلى المساواة ، وإلى تطبيق الدنيا تطبيقا تاما ، وإلى
الزهد والانتقطاع عن الدنيا

فجعلوا هذا الدين (احتكارا) للقسوس والرهبان وأسبغوا عليهم
نعما أنسام الدعوة الى الزهد ، والانتقطاع عن الدنيا فأصبح الطيلسان حريرا
وحلوا الصليب بالذهب واكتست الكنيسة بالنفائس مصنوعة من الماس
والياقوت وطابت لهؤلاء عيشتهم الجديدة وحرصوا على استبقائها والاستمتاع
بها ، وذلك كله في يد الحاكم انه شاء منعه وان شاء أعطى ، فأصبحوا خدمه
يحلون له الحرام ، ويحرمون على شعبه الحلال . وبذلك أصبح الدين وسيلة من
وسائل الحاكم لا خضاع الشعب لتطهيره ، بل واستغلاله ، وقمع الشعب بالنظر
إلى طيلسان القسيس ، وسماع بضعة نصائح ، وحضور الصلوات والقداس .
والشعب لا يطلب الامددا من قوى خفية لا يعرفها فالتى بنفسه في احضان

القساوسة فلما ضعفت الحكومة بفعل أحداث السياسة وتقلبات الأيام، رفعت الكنيسة رأسها ، ولم تعد تسير في ظل الحاكم بل أرغمت الحاكم أن يسير وراءها وأن يخشاها، وبحسب حسابها وحرصت الكنيسة على (الدين) حرص البخيل على ماله لأنه كان مصدر ثروتها وقدرتها . فلم تمنح للشعب أن يقرأ الانجيل ويطلع عليه . ولا أن يعرف شيئاً عن حقيقة الدعوة المسيحية . بل كان (الانجيل) حكراً للكهنة ، حتي لقد وضع الانجيل في كنيسة من الكنائس مكبلاً بالحديد حتي لا يمسه ماس . وحتى لا يطلع عليه مطلعاً وانتشرت الخرافات في أوروبا . وأصبح البابا ورهبانه تجارا يبيعون جواز الدخول الى الجنة بالنقود . فامتلكت الكنيسة مزارع وضياعا . وبنت حول نفسها حصونا وقلاعاً . وهي هي كنيسة المسيح الداعي إلى المحبة ، والصفح ، والبعد عن الدنيا والزهد وانعقدت في سماء بلاد المسيحية سحب من جهل لا عهد لاهل الكهوف والغيافي بها . وأصبحت الكنيسة عدو الفكر الحر « وغول » العلماء تعذب من يقول بكروية الارض . ومن يقول بدورانها حول نفسها . ومن يقول بأن المرض القلاني يعالج بدواء معين وأسفت حتي أباحت حرق « جاب دارك » بدعوى أنها تمارس السحر ، وأنها تستخدم الجن !!

احتمل العقل الاوربي هواناً كبيراً ، واحتملت الشعوب في أوروبا تحكما هائلاً ، فتأقوا الى حياة لا قيود فيها . حياة لا يشعرون فيها بسطوة فحرروا أنفسهم أول ما حرروها من سلطة الحاكم — فقيده بالبرلمانات وبالساتير . وأخذوا عليه المواثيق والعهود ان يكون رمزا يظهر ، ولا يعمل . ويملك ولا يحكم . ثم تبرموا من الحاكم الدائم ، فدعوا إلى (جمهورية) ثم رفعوا عن أكتافهم نير الكنيسة . ثم ساروا في طريق التحرير

فحرر الابناء أنفسهم من سلطة الاءاء فالوالد والولد ندان يلعبان معا
وقد يقارطان الرذيلة معا وحررت المرأة نفسها من سلطة الرجل . وأصبح
الرجل والمرأة متساويين تنافسه فيما خلق له ، وتصطنع أساليبه وزيه
وحرر التلاميذ أنفسهم من سلطة المدرسة والاستاذية . فالتلميذ
صديق الاستاذ . وهي صداقة اجبارية . وفي بعض الجامعات الاستاذ في
حاجة الي رضا التلميذ ، ليبقي في منصبه .
انطلقت أوروبا من كل قيد ..

• وجاءت الحرب الكبرى فقوت هذا الانطلاق وأكدت ميل أوروبا
اليه لأن الانسانية أفاقت من هذا الكابوس المخيف فالتفت نفسها في ضيق
كبير ، فالنقود اختلت موازينها والبطالة عمت ميادين العمل قاطبة والثقة
ذابت في الازمة ، ولم يكن أمام أوروبا أمل في علاج فأصبحت كرجل فقد السعادة
في البيت لأن زوجته نخونه ، وفقد السعادة في العمل ، لأن حيل التجارة
أضاعت عليه ماله ، وكان قد كفر من قبل بالدين فلم يلتبس العزاء في صلاته ،
وانطفأت في روعه شعلة الامل التي تدفع الانسان الى المكافحة والمناضلة
من جديد فأقبل على الحمر يحتمسها وخرج لا يحفل باخلاق ولا أوضاع ولا تقاليد
هذه هي حال أوروبا بعد الحرب فالمسيحية لم تنعم الحرب من الوقوع
ولم تنعم أبناء الدين الواحد من أن يشهد أحدهم سلاحه ليزيح به الآخر ،
فان مات حمله الي المقبرة ووضع على قبره صليبا كبيرا رمزا على مسيحيته
وذهب القديس اليه ليتلو الادعية والصلوات ! اذن لتكفر أوروبا بالبقية
الباقية من المسيحية . !

والديمقراطية لم تنعم من الحرب مع ان الشعوب لا تريد الحرب ولم تردها .
والديمقراطية هي حكم الشعوب . فكيف تكون الشعوب حاكمة ، وقد

دفعت الي أتون متلهب على الرغم منها إذن فلنعد النظر في أمرها . فيدب الضعف الى الديمقراطية .

أما الملكية فقد طاحت الحرب بها في أكثر من دولة
وبقى الشعب بلا سيد وبلا عقيدة ..

وانقضت على هذه الحال سنوات .

والشعوب في حاجة الي (سيد) دائما . مهما سمت وارتفعت . في حاجة
للى (رمز) ترمز به الي أمانيتها وأحلامها . الي قوتها ووحدتها تريد مثلا
عاليا يشير الي حياة أرفع — حياة خالية من نقائص البشرية . وقد كان
(السيد المسيح) هو هذا (الرمز)

فطن الذين قوضوا قيصرية روسيا . الي أن الفلاح الروسى لا يستطيع
حياته الجديدة وأنه يريد « قوة أعلى » يتشبث بها ويتطلع منها الي شيء
أكبر وأعلى . .

فرغم هؤلاء الشيوعيون زعيمهم «لنين» الي مرتبة تدانى مراتب الاله
وحنطوا جثته ، وجعلوا من كلامه « انجيلا » ومن أعماله « سنة » تحتذى
بعده ، وزينوا بكل شيء صورته .. وضخموه وفخموه ، وأسبغوا عليه
من خوارق الصفات ، ما يدخل في قاموس المعجزات .

وجأت المانيا وايطاليا في أثر روسيا ، تبحث لأبناء الشعبين عن
عقيدة حارة — عن ايمان جديد — فدعت الفاشيستية في كليهما الي الوطنية
العنيفة ، ولكن الوطنية لم تكن وحدها كافية لاشعال نار الايمان في
قلوب الذين قضت على ايمانهم الحرب ، ومادية الحضارة التي تقوم على
الآلة الميكانيكية .. فعززوا الوطنية «بزعيم» جعلوا منه «نبيا» ولكي
يقوم (النبي) يواجهه الجديد ، أطلقوا اسمه على كل لسان ، واكدوا للناس

في الصباح والمساء أنه لا يخطئ . وانه يستوحى عوالم الطبيعة الخفية بقوى لا ترى . وارتفعوا بالوطنية الى مرتبة (التصوف) . وأسسوا حول الزعيم ما يشبه «الكهنوت» وخلقوا من المراسيم في نحيته والتهافت له ، واستقباله، وتوديعه . والتحدث عنه . والسير وراءه .— ما يشبه الطقوس الدينية واخشوا أن تكون كل هذه المراسيم والطقوس أعجز من أن تحي في قلب الشعب «الحرارة» التي لا تعيش الا بمبغيرها . لانها وقوده الدافئ . وناره المحيية .

فقالوا ان وطنيتهم لا تقتصر على انقاذ شعب واحد . بل إنها رسالة انسانية . تأتي بالخير للكافة ، وتقي الكافة من شر عميم .

أما الخير فهو النظام الفاشيستي نفسه بما فيه من سرعة في الانتاج ، وفضاء على السفسطة

وأما الشر الذي تقيهم منه الدعوة الجديدة ، فهو الشيوعية والديموقراطية

وفي وسط هذا كله ، يكتب الاستاذ عبد الحميد المشي «كتابه»

«صور اسلامية»

نعم ! في وسط هذا كله ، يخرج هذا الكتاب فأية صلة بينه وبين أوروبا ؟ وأية علاقة بين هذه الصور الرشيقة الباردة التي يكتبها . في هدوء ، و كأننا يحدث نفسه ؟ وبين هذا الذي قلته عن أوروبا وحالتها

أرى أن الصلة أوثق مما تكون ، وقد رأيتها بنفسى ولمستها لمسا ، في كل هذا الذي قرأته عن موسوليني وهتلر بل ما قرأته عن أوروبا نفسها هذه الايام . فها هو «وارد بريس» الصحفي الانجليزى يقول عن موسوليني

انه يقرأ عن «الاسلام» كثيرا . وأنه رأى علي مكتبة هذا الدكتاتور
الايطالى ، كتباً جمة عن هذا الدين الحنيف.

أما هتلر فقد قال مرة لهذا الصحفي نفسه أنه يؤمن بالله، وأنه لم ييأس
في أية فترة من فترات كفاحه من نجاحه ومن نجاح دعوته ، إذ استبعد
أن يتخلي الله عن سبعين مليوناً من الالمان ، لم يسيئوا الى أحد ، ودافعوا
عن حقوقهم واستبسلوا في الدفاع عنها . فالله يثيب من أحسن عمله .
ومع ذلك فهتلر لا يطبق المسيحية كثيراً ، ولا يحضر قداساً ، ولعله
لا يظالم الانجيل أبداً ، أما موسوليني ، فقد عرف عداوة المسيحية منذ
كان شاباً ، وبقي يصابح الكنيسة بصرخاته العنيفة ويأسيها بتهكماته المريرة
زمناً . ولولا حاجته اليها في كفاحه السياسي ، لما تردد في أن يشن عليها
حرباً من طراز الحرب التي شنّها عليها نابليون الذي حارب البابا ، وسجنه
فهؤلاء جميعاً يريدون أن يملأوا بلادهم عتادا — يريدون أن يعدوا
لدولهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل . يريدون أن يتبعوا
أتباعهم أن (تناسلوا وتناسلوا) ليباهو الشعوب الاخرى بشعبهم
القوي الحصين

يريدون أن يقيموا الحياة العامة على النظام وعلى الطاعة .
يريدون أن يثبت في الازهار أن الحياة لا تعدو أن تكون مجموعة
واجبات لاحقوق .

يريدون عناية بالصحة — وعناية بالروح . والمسيحية صافية علوية ،
ولكن في قواعدها ، ما يتنافى مع الصراع والكفاح . فيحس بعضهم بالحاجة
الى النظر في الاسلام ومطالعة . ويطبق البعض الآخر هذه القواعد من حيث

لا يدري انها الاسلام . ولكنهم لا يدرون بعد أن الاسلام ليس نظاما فقط ،
ولاطاعة فقط وليس تناسلا من أجل زيادة الشعب ، والابقاء عليه في وجه
الاعداء . وأنه وان تحدث عن الحياة كبناء من الواجبات . وإن جمل
للمجتمع أساسا لطيفا من الاخاء والمحبة ، والتعاون . ينسون أن الاسلام
بعد هذا كله شيء أسمي من هذا كله .

صحيح أن الاسلام يقول ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضا .

• وصحيح أنه يقول لا يكل إيمان أحدكم حتي يحب لأخيه ما
يحب لنفسه .

وصحيح أن الاسلام يلعن المظلومين الذين يقبلون الظلم ، كما يلعن
الظالمين الذين يخرجون على الحق .

صحيح ان الاسلام يحب حرية الرأي ويدعو إليها ، فقال تعالى :
« إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي
الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار »
كما ان الاسلام يستقبح الذين يهبطون على آيات الله صما وعميانا
لا يدركون معناها ولا يحيلونها في رؤوسهم فيستنيرون بها فقال تعالى :
« والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا »
صحيح هذا ، وصحيح أيضا أن الاسلام يدعو الي العفو . ويؤثر
الرفق ، ويكره الغلظة ،

ولكن الاسلام لا يقف بالانسان عند حد هذه الدنيا الضيقة ، انما هو
يربط هذا العالم بعوالم اخرى . يربط العالم كله ، فيجعله وحدة لا فضل فيها

لعرى عليها على عجمى الا بالتقوى . ولكنه لا يقف عند جيل واحد من البشرية بل يربط الاجيال المتعاقبة فتصبح البشرية فى ماضىها ، وفى قابل أيامها كتلة بمحقق غاية واحدة ، هو مارسمه الاسلام من سعادة ومن مثل أعلى ويربط هذه البشرية بالكون كله ، حينما يربطها بخالق الا كوان جميعا هذا هو الذى لم تصل اليه الفاشيستية ولا الشيوعية ولا الاشتراكية ولكن قد يقول قائل ، من يضمن لنا ان الاسلام لم يكن يتعرض لما تعرضت له المسيحية من الكفر بها ، والانصراف عنها ، لو أنه كان دين الاوروبيين . من يدرينا أن الاوروبيين كانوا لا يتشككون فيه كنظام صالح لهم ، لو أنهم كانوا مسلمين وقامت الحرب العظمى وهم على هذا الدين

وقد يقول هذا القائل أيضا كفرت أوروبا (بالمسيحية) لأنها لم تجد فيها وقاية لها من شر الحروب ولا ملطفا للصراع بين الناس على المادة والسطوة وعرض الحياة ، فهل الاسلام بمنع هذا الصراع ، أو يحول دون الحرب ، وهل فى نصوصه ما يمنع تفشي البطالة أو يحول دون تقلبات الحكم .

وقد يقول القائل نفسه إنكم تطرون الاسلام وتقدمونه للانسانية كعلاج لامراضها لانكم ترون فيه خلاصة فضائل (الديموقراطية) و (الاشتراكية) و (الدعوة الانسانية) فهل أجديت الديمقراطية على أوروبا أو كفلت لأهلها سلاما أو سعادة حتى يقال إن الاسلام سيكون علاج ادواء البشر لانه سيضمن للناس حكما ديموقراطيا ، إن الديمقراطية تمايل وتهز تحت طرقات الديمقراطية الديكتاتورية وها هى ذى صيحات الناس تتعالى فى كل مكان ضدها .

أما الاشتراكية فليست أسعد حظا من الديمقراطية فإن التجربة

الاشتراكية لم تقم في بلد من بلاد الله ، وثبت نجاحها في هذا البلد على وجه
ينفي كل شك في قيمتها .

أما (الاخوة الانسانية) و (الايمان بالحب) فان لمسيحية تتضمن
دعوة حارة اليها ، بحيث لا مزيد لمستزيد بعدها في هذا المجال وعلى ذلك فان
هذه الدعوة قد غرقت مع أصحابها في بحر من دماء المتقاتلين في الحرب
العظمى ، وضاعت صيحتها في وسط قعقة سيوف المحاربين ، وورود
مدافعهم ، وهزيم قذابلهم .

قد يقول قائل كل هذا وقد يذهب به وبأمثاله الظن أن هذا التفكير
الى الاعتقاد بأن الاسلام كان يمكن أن يتعرض لما تعرضت له المسيحية
اليوم من محنة التشكك فيها ، والخروج عن مبادئها والعزوف عن
كنيستها .

هذا القول جدير بأن يرد عليه هنا ، فليست فضائل الاسلام مقصورة
على كونه يرسم للانسانية نظاما خاصا من الحكم أو لاسلوبا معيناً من أخلاقيات
تنظيم الثروة ، ويخطيء أيضا من يحسب أن الاسلام دعا الى الديمقراطية
أو الاشتراكية ، أو ما يشبهها .

صحيح ان القرآن قال «وأمرهم شورى بينهم» وأنه وجه الخطاب
الى الرسول عليه صلاه الله وسلامه : «وشاررهم في الامر» وصحيح أيضا
أن الاسلام فرض الزكاة وأوجبها ، وأن أبا بكر لم يرض أن يتسامع مع
المرتدين بعد وفاة رسول الله الذين أرادوا أن يقوموا بفروض الدين كله
إلا أن يؤدوا الزكاة كاملة ولكن من الذي قال أن هذا معناه أن الاسلام
وضع بهذا أساسا للحكم ديموقراطي بالمعنى الذي تفهمه الآن أو أساسا
لحكم اشتراكي بالصورة القائمة هذه الايا

فهذا الذي قرره الرسول ليس إلا البدييات لانية التي غفل عنها الناس لكثرة ما ثقل عليهم من ظلم ، ولشدة ما كبواهم من جهل فاجتمع امم الانساني لا يستقيم حاله مطلقا ، اذا ترك أمره في جل واحد يبعث به كما يشاء ، ويفرض عليه من الارادات ما يريد فكان لا بد بضم قاعدة تفرض الشورى ، ولكن الشورى في معناها العام لا الشورى بجه معين مرسوم والجماعة البشرية لا تسعد ما لم يتلطف إحساس فقيرها نحو الفيا . وهذه قاعدة أيضا لا يلقى بها تنظيم توزيع الثروة . فان الاسلام بطبيعته القيو دورضيه أن يضع نعم للحياة الانسانية إطارا عام من الاخلاق الرفيعا مثل العليا ، وهي أخلاق ومثل لا تتعارض مع الطبيعة الانسانية ولا تدمها . وتدع لها الفرصة كاملة تعبر عن نفسها ، وتنتج ما تشاء من الثمار ليرات . فالاسلام يعرف « ان الانسان خلق هلوما . إذا مسه الشر جزوا ، وإذا مسه الخير منوما » والاسلام يعرف « أن الانسان ليطنى ان رآنتفى »

واوالاسلام يعلم « ان الانسان لربه لكنود وانه ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد » ومثل هذا الانسان ، تق عليه ، وتطلب منه أكثر مما يطيق ، حينما تضم قوالب جامدة أبدية تف نشاطه على مر الايام ، وتداول الاعوام ولا تلتين مع مر الحقب والامان ، وحسبك أن ترسم له الخطوط الرئيسية التي بغيرها يهبط ، أو التوفضلها يمكن أن يعلو ويشق طريقه نحو حياة منسامية ، فيكون في مقر الانسان العادى ان يلد الانسان السامى أو «البرمان» الذى يحلم بهمكرو أوروبا

فالدين الاسلامى مثلا لا يعد الانسانية بسلام دائم بانه يقرر ان الصراع بين طبيعة الناس اذ يقول كتاب الله «ولو لا دفع الله اس بعضهم ببعض لفسدت الارض» فهذا الكفاح من طبيعة حياتنا نحن ادميين وهو يقدح

شرارة الخير في نفوسنا ، ويجدد نشاطنا ، ويفتح لنا عوالم جديدة فكيف
يعد الاسلام الناس بسلام دائم كما فعلت المسيحية .

ولكنه رسم للناس طريقة لتخفيف ويلات الحروب ولفض المنازعات
في الآية «وان طاعتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحو ايدئهما فان بنت إحداهما
على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتي تقضى الى امر الله»

فقوة الاسلام كائنة في أنه ما ترك شيئاً الا وأتى له بحكم ، ولكنه
حكم مرئ ، متطور مع الايام ، لا يقف في وجه طبيعة الانسان ولعل خير
مثال لهذه المرونة حكمه في الزواج ، وحكمه في الحرب الذي أسلفنا حكمه ،
أخيراً في نظام الدولة

فلاسلام يعرف أن الرجل بطبيعته وما يصنفه الآن الطب الحديث
«حيوان مزواج» ورغبته في كثرة الزواج راجعة الى أن الطبيعة أعدته أن
يحفظ النوع فان اقتصرت صلته الجنسية على واحدة من النساء قد تخيب
هذه الصلة فلا تنتج ثمارها فيتعرض النوع للانقراض فهو أذن مزواج بحكم
الغريزة نفسها لكن الى جانب هذه الطبيعة ، هناك ميل الانسان الروحي
الى الكمال والارتفاع فلما جاء الاسلام لم يتجاهل الطبيعة بل نظمها
ولم يقتل الميل الروحي بل شجعه . فالزواج بواحدة هو مثل يرحب به
الاسلام والزواج بأكثر من واحدة ، طبيعة لا يمنعها ، بل يبررها وان
كان يضم القيود الثقيلة التي تكاد تكون منعا له

أما نظام الحكم ، فهو المرونة بعينها . فلنكن ينهي نظام الدولة الى رجل يجب
أولاً أن يكون موضع حب من خيرة الشعب وثقتهم وليس في الاسلام ما يمنع
من وصول هذا الرجل الى الحكم بالانتخاب وليس ثمة ما يمنع أن يكون
بالوراثة . فان اعتبرنا أن ما كان من رسول الله بعد أن صارت اليه شؤون

المسلمين الدينية والحربية . هو تطبيق لنظرية الاسلام في الحكم . فلسنا
 قادرين أن نسمي حكمه ديموقراطيا ولا ديكتاتوريا فقد كان يشاور صحبه
 وقد ينزل على رأيهم ، بل كان يعمل برأى أصغرهم ولكنه لم يكن يتقيّد
 بهذا الرأي في كل حال ، فاذا قيل ان ذلك حقه وحده عليه السلام دون
 بقية المسلمين لأنه رسول الله ولأن ما عنده من العلم كان يغيب قطعا عن
 بقية صحبه ، فان ابا بكر قد استن السنة نفسها بعد وفاة رسول الله وكلنا يذكر
 كيف أنه شاور «عمر» بعد وفاة رسول الله في امور ثلاثة خطيرة لم يأخذ
 برأى عمر في واحدة منها ، وعمر كان اضخم رجل في الاسلام بعد أبي بكر
 وهو الوزير الاول لرسول الله نفسه . فأبو بكر رفض أن يهادن
 المرتدين علي شدة خوف عمر على الاسلام من محاربتهم وأبى أبو بكر
 أن يبقى جيش أسامة في المدينة وكان قد سيره الرسول قبل وفاته فأنفذه
 أبو بكر الى الشام مع أن جيوش المرتدين قد تألبت على المسلمين وكان عمر
 يرى ارجاء سفر هذا الجيش الى الشام احتياطا لما قد تأتي به احداث حرب
 الردة ، وعز على أبي بكر أن يعزل خالدا عن امارة المسلمين وعمر لم يكن يفتقر
 عن النصيح بهذا العزل فأبو بكر في هذا كان (ديكتاتورا) لم يحفل برأي
 أعظم مستشاريه في هذه الامور الثلاثة ولكنه كان يعمل بهذا الرأي
 وبرأي من هم دون عمر في امور أخرى فكان ديموقراطيا فالاسلام لم يقيد
 الناس بنوع من الحكم . وقنع بأن وضع من التواعد الاجتماعية والاقتصادية
 والروحية ما يضمن للجماعة الانسانية مناعة ضد الامراض التي لا يمكن أن
 ينجو منها البشر . هذا هو الذي جعل الاسلام أقوى من أن توهنه المحن
 العابرة هذا هو الذي يجدد في نفوس المسلمين الايمان به وهذا هو الذي
 يجعل الاسلام شابا بعد ثلثائة والف من السنين وبعد أن تحالف عليه من

الاحداث وتألب عليه من المحصور ما كان كفيلا باخفات صوته وكافيا لمحو
كلمته ، ولكن « انانحن نزلنا الذكر واناله لحافظون » صدق الله العظيم

ولكن كيف يصل هذا النور المشرق الوضاء ، نور الاسلام الى
هذه القلوب الخائرة التي تبحث عن ايمان .

أما مسلمو هذه الايام فهم اسوأ دعاية للاسلام . مغلوبون على امرهم
محكومون لا يحسنون الدفاع عن دينهم . بل لا ينهضون للدفاع عن انفسهم
لا يؤمنون بالقوة ولا بالخبر ولا بالجمال نهايون يسرقون من اوربا علمها
ولا يعطون الانسانية شيئا من عقولهم ونفوسهم ومنهوبون يبيحون
مالهم وبلادهم وأعراضهم بل وذخائر أجدادهم للاوروبي يأخذ ما يحلوه .

أما الكتب العربية والاسلامية القديمة فقد انقضا أقوام في زمن قديم لاهل
هذا الزمن القديم فلم تمد صالحة بأسلوبها لاهل هذا الزمان وقد وقفت عند
حد ، فلم نزد عليها شيئا ما كتست بلون من الركود والجمود كاد
يذهب بمعناها فالصرفنا عنها كسلا وضيقا . أما الكتب الحديثة ...

حقا أين هذه الكتب الحديثة ؟

أين هذه الكتب النفاذة السهلة أين هذه الكتب التي عكف علي تأليفها
والتفكير فيها . مؤلف حار العقيدة ، مخلص سميد بما يكتب فرح بما يخططه
قلبه أين هؤلاء المكافحون بالابرار الذين يغترفون من نور العلم الالهي
حفنة بعد حفنة ، يقدمونها للعالم الاسلامي الذي رقدت روحه وسكنت
نأمة نفسه ، والي العالم الاوربي الذي ثقلت عليه الحيرة والذي أجهد نفسه
في اصطناع عقيدة له وفي خلق نبي لعقيدته

أين هم هؤلاء الكتاب الذين يفتحون عين أوروبا ، على العقيدة الكاملة

ويرسمون لها الشخصية الكاملة - يأخذون بيدها نحو المثل الكامل؟
أين هم هؤلاء المنقبون المكتشفون ، الذين يهجرون العالم الصاخب إلى
القيافي والقفار ، ليبحثوا في الاطلال وتحت التلال ، عن الدخائر الدفينة ؟؟
نجيب (الصور الاسلامية) عن هذا التساؤل .

فأخي (عبد الحميد) يكتب هذه الصور الاسلامية لنقرأها نحن ،
فيزداد التاريخ الاسلامي ألحاحا ، وتزداد صوره اشراقا . وتزداد من أبطاله
اقتربا ، وهو يحطم هذا الحاجز الضيق الذي ابتنته الايام بين أفهامنا
وهذا النور الفياض الذي شمل الدنيا برحمته ، فاطمانت إلى نفسها بعد
قلق . وسيأتي اليوم الذي ينقل فيه هذا الكتاب وأمثاله إلى اللغات الاوربية ،
إن آجلا ، وإن عاجلا - وقد يقع يومذاك بين يدي شباب ، رانت علي
نفسه الحيرة ، ولم يجد في أنجيل الفاشيستية والهلترية ، والشيعوية ، ما ينقم
ظما نفسه ، فيلتفت إلى هذا الايمان البسيط الذي يشرحه صاحب الصور
الاسلامية ، في صوره ، فتلتبه روحه ، فيدعو الناس اليه . ومن يدري أيضا
فقد يستطيع أن يقول لهم وجدت لكم عقيدة ، ووجدت لمسا كلكم
حلا . ووجدت لآلامكم علاجا وطبا . ولذلك فأز هذه الصور تثير حتما جانبا
آخر من البحث .

فإن مؤلفها ، يرجع إلى كتب انقطعت العدة بينها وبين شباب هذه
الايام كما قلت وقد كان الناس في الايام الماضية يستمعون باسمها وكان فيهم من
يقوى علي قراءة بعضها . أما اليوم فلست واجدا الا بشق النفس ،
هشرة من طلاب المدارس العليا - وكليات الجامعة ، قد كفوا أنفسهم
عناء السؤال عن الطبري وماذا يكون ! ومتى وجد ، ولماذا وجد .
وما الذي فعله في حياته ؟

وحظ « ابن الاثير » وابن سعد ، وابن هشام ، وبقية الذين سجلوا
السيرة النبوية ، لايزيد عن حظير الطبري من عناية شبابنا هذه الايام .
كانت كتب هؤلاء فيما مضى هي وحدها غذاء الذين يريدون أن
يلتمسوا لانفسهم ثقافة ، ويطلبون الوقوف على التاريخ وقد كانوا
يقنعون بها على علانها ، ويأخذون ما بها على أنه صحيح كله لاشية فيه ،
وهي مليئة بالخلط ، والتناقض ، معيبة بالمبالغة حيناً ، وبالاختلاق حيناً ،
حتى لقد تحجب طورا جمال السيرة النبوية ، وتخدش طورا آخر روعة البطولة
والفكرة الاسلامية .

أما هذه الايام فقد جاءت اللغات الاجنبية ، فلبلت الافكار ، وشتتت
الاذهان ، وأصبح فخر الطالب الذي يعرف كيف يقرأ كتابا بالانجليزية
عظيما الي الحد الذي تفهمت معه كتب المسلمين وتاريخهم ، وتقاليدهم !
ويا ليت هؤلاء المعجبين بلغات الفرنجة قد أجادوا هذه اللغات ، فان فيها
ذخائر وثقائس ، تفتح عقل الانسان فعلا وتعد آفاق التفكير أمامه ولكن طريقة
التدريس في مدارسنا لا تنهض لتحقيق هذه الغاية فبات شبابنا وهو ضعيف
المحصل في هذه اللغات الدخيلة . عاجزا عن تثقيف نفسه بها ، أو عن
طريقها ، بعيدا في الوقت عينه عن كتب أجداده التي هجرها ، وقد
كانت بالامس معينا لا بآئه ، وأخوته الذين يكبرونه في السن فقنع بنفايات
أجنبية توصف حيناً « بالفصاة » وحيناً آخر « بالمجلات » وهي على كل
حال ، أقذار التفكير الاوروبي لانها لا تتجاوز نطاق التوافه من الشؤون

وأقبل المترجمون الذين لا تنهض كفايتهم لتعريب . الكتب العظيمة في
لغات الاوربيين ، أقبل هؤلاء على ترجمة قصص فارغة لا يصبدها بها الا
إزجاء الوقت ، والمتعة العابرة فحسبها شبابنا أنها ثقافة أوروبا ، وثروتها

العقلية ، فصرفوا لها كل الوقت فلم يكسبوا منها شيئاً فإلهى إثارة
حب المثل العالي ، ولاهى علم يستضاء به ولاهى فن يلفظ معه
حس الانسان . . وليس أقتل لأمة من الامم من أن يكون بين أيدي
شبابها مثل هذه القصص التي تبعده عن التفكير في وطنه ، وفي دينه ، بل
وعن التفكير فيما يدور في الدنيا من احداث وما يقع بها من تطورات .
فيسير الشاب في عالم صاخب ، وكأنه لا يسمع ويمر بدنياه تتجدد وتضطرم
وتفور ، وتغلي ، وكأنه لا يرى . وتمتلئ نفوس الناس بالاطماع
الكبرى ، ويحلمون بالاجداد العظمي ، وهو مشغول بأمر بطل قصته الذي
أوشك أن يقع في يد «البوليس» فيحبس أنفاسه ليرى هل سيفلت أم
سيقيم فيحبس ؟ .

والحق أن كثيرين من أدباء هذه الايام قد حاولوا أن يوجدوا المصر
أدبا قوميا . فخرج شيئاً ممسوخا ، لاهو منسا ، ولا هو لنا وان كتب
بلغة عربية بأقلام مصرية . ذلك لان هؤلاء المجددين إستلهموا أوربا
فنها . فكتبوا عن اناطول فرانس ، وعن روسو وعن نيتشة وعن رينان
وعن ديكارت . وخلصوا كتب هؤلاء ، وعلقوا عليها ، واختلفوا فيما
بينهم في تقديرهم لها ، وسواد الامة يقرأ لهم وهو في الحقيقة
لا يفهمهم !

وكيف يفهم الشعب المنولوجيا الاغريقية التي يستوحىها « اناطول
فرانس » ونحن لانعرف شيئاً مطلقاً عن تاريخ محمد علي وعدد جيوشه
ولا تاريخ وقائمه . وكيف نتناقش في « الاشتراكية » و « الشيوعية »
في الوقت الذي لا يوجد فيه نقابة واحدة للعمال بل الذي لا يوجد فيه
مصنم واحد للمصريين وكيف نتحدث عن « الانسان الكامل » الذي

نيتشة يريد «والانسان العادي» لم يوجد بعد في بلادنا
وكيف نتحدث عن شكوك ديكرات التي وجدت في نفسه بعد ايمان
تقوض وبعد «تخمة علمية». ونحن ايماننا لم يوجد بعد، وجهلنا يتزايد
كان ذلك الجهد من «هؤلاء المجددين» عبثا وكسلا. أما عبثا فلانه
لم يترك أثره في الامة، الا اذا كنا ممن يقنعون بالظواهر فان شبابنا
اليوم بعد أن فرغ هؤلاء المجددون من كتاباتهم كشبابنا قبل هذه الكتابات،
لا يدري شيئا صحيحا عن الفكر الاوربي والادب الاوربي وهو لا يزال
بعميدا عن تاريخ بلاده وتاريخ دينه وإما، كسلا لأن كتابنا
المعاصرين آثروا النقل على الخلق فكان مثلهم مثل التاجر الذي يأتي لامة
في أشد الحاجة الي طعام نظيف تأكله فلا يزال يغريها بسماع القونفراف
والالتذاذ بأنعامه حتى تقبل عليه وتألفه، فتشتره دون أن تنفع به لانها
في حاجة اولا الي الطعام الذي لم يفعل القونفراف فيه شيئا

ولكن الامة التفتت الى ماضيها وهي اللفة التي لم يكن بدمنها ؟
هذه اللفة التي لم تستطع أمة من الامم أن تسير الى الامام بغيرها .
هذه اللفة التي هي أشبه ما نكون بنظرة الانسان يلقيها قبل سفره في بيته
وعلى ذويه فيتزود منهم ثم يسير . . .

ألف المصريون القدماء ما ألفوا ووضعوا ما وضعوا . ثم جاء الاغريق
فالتفتوا خلفهم فوجدوا علم مصر ولاهوتها، فنظروا اليها حتى امتلا وانهم
جعلوا يفكرون فأبدعوا ما أبدعوا .

وجاء الرومان فالتفتوا الى الاغريق ، فكانت حضارة الرومان .. ثم
جاء العرب فترجوا ما ترك «اليونان» فكانت هذه النهضة العظيمة في أيام

المباسبين . كان الطب . وكان «الجبر» وكانت الكيمياء ، وكانت جمعية
أخوان الصفاء .

لم يكن العرب ناقلين فحسب ، ولكنهم تزودوا بالكثير من علم الاغريق
فأضافوا وعلقوا . وتناقشوا ففكروا وأدي بهم التفكير الى جديد ..
وسارت المعجلات بعد ذلك .

وسقطت «استانبول» في أيدي المسلمين وكان بها العلماء الذين ورثوا
علم الاغريق فانتشروا في أوروبا يحملون هذا العلم القديم فكانت هذه
النهضة الادبية العلمية التي بددت ظلمات القرون الوسطي ، والتي اتخذت
من ايطاليا مركزا لها ، ولعل هذه النهضة قد انتفعت بهم العرب الذين
احتلوا صقلية ، ومناطق من جنوبي ايطاليا وفرنسا . بل انها انتفعت
قطعا بهذا العلم القديم الجديد الذي حمله العرب معهم .

ازدهرت هذه النهضة في ايطاليا وقد كانت في الحقيقة بعثا للماضي
واحياء له ، وازدانة اليه ، وتفخيم فيه . وعرف الناس من جديد سوفوكل
الاغريقي وارسطو وارسطوفان ... ونسج الناسجون على منوالهم فكان
النور الذي ختم ظلام القرون الوسطى ...

ونحن بدأنا ثورة مرتجلة في سنة ١٩ اضطرم بها الشعب ولكنه لم يجد
الغذاء ، إذ أخرجوا هذا الفلاح من غيطه لا ليقولوا له « محمد . وعمر
وأبو بكر وعلى » ولا ليؤكدوا ايمانه « بمحمد علي » ونهضته ، واسماعيل
ووثبته ، بل قالوا له (ولسون) وشروطه الاربعة عشر .. فأنتصت الفلاح
لهم وأنصت لعله يفهم . والحق أنه كان يسمع ولكن لم يستطع أن يدرك
شيئا عن فولسون ومبادئه وما يقوله «فرانس» عن الحرية وما يقوله «ماركس»
عن الاشتراكية ، وما يكتبه الكتاب الاجانب قاطبة عن الديمقراطية أمور

لا تتصل بأرضه ! ولا بنفسه ولا بتاريخه الذي يجري في دمه . فانصرف عنهم ولم يلتفت اليهم .

أضاعوا الفرصة حتى كادت تفلت الى غير رجعة
ولكن حمد الله أنها أنذا قدم الى القراء الجزء الثاني من كتاب صور اسلامية
وقد يقدم غيرى بعد قليل من الزمن الجزء الثالث من هذه الصور
إذن قد التفتنا الى ماضينا . لالنعيش عليه ولا لنباهى به ، بل لنأخذ
منه نورا نستضيء به وجهه في هذه الظلمات الخالكة . لنعرف في ضوئه من
نحن وما يمكن أن نكون لنؤمن بأننا كنا خالقى حضارة . وباعثى عقيدة
وأصحاب فكرة وأن البطولة ليست غريبة عنا ، وأنا علونا على الحياة
يوما . حين طلبنا الموت ، وجرينا في أعقابه ، ففر أماننا لان الحياة أقوى
من الموت .

فاندي يقدمه الاستاذ عبد الحميد المشهدى الى القراء ، ليس وعظا
دينيا ، ولا تاريخا اسلاميا : ولا قصصا بمثليا . انها هو مادة
لحياة فياضة بالحركة قد تكون مشابهة لهذا الطراز العالى الذى تصوره
الصور الاسلامية وقد تكون على طرز آخر . ولكنها ستكون حياة
موفورة الحظ من الشرف تبني نفس الاهداف التى مات من أجلها
الابطال الباقون على وجه الزمن الذين صاغوا للانسانية هذه القصة
الابدية التى يسميها الناس «السيرة النبوية» والتى يجليها المشهدى لكم اليوم
صورا اسلامية

فتمى

مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَنْ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا
 فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ
 قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَبُهِرْتُمْ فِيهَا
 فَاُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
 إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
 لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا
 فَاُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْضَحَهُمْ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا

في حجة الوديع

- « نجمع هذه الصور الوانا من التعذيب »
- « والمطاردة والاضطهاد مما حدث »
- « للفوج الاول من المسلمين ومما »
- « اضطرم للهجرة الي بلاد الحبشة. »

« انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله »
 « وأولئك هم الكاذبون * من كفر بالله من بعد »
 « ايمانه الامن أكره وقلبه مطمئن بالايمان. ولكن »
 « من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله »
 « ولهم عذاب عظيم » قرآن كريم

« صبراً صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » حديث

استيقظت الفتنة وانطلق الرعاع والسوقة في شوارع مكة يحملون
 الاحجار وأغصان الشجر وراحوا يبحثون عن المسلمين حول الحرم وفي
 الطرقات المؤدية إلى منازلهم . كانهم جيش من الجراد، اوسكان المقابر قد
 قاموا ليوم الحشر في ائمال بالية وأجسام ضامرة ، اوقرية هائلة على وجهها
 من الجوع تبحث عن مواطن القوت والماء ثم أدركوا بعد ان نال التعب
 منهم مناله ان أحرار المسلمين سوف تمنهم عصبياهم من شر الاعتداء وان
 العبيد في قبضة سادتهم ، فلم يبق إلا أن تهدأ العاصفة وأن تنام الفتنة، من
 جديد وان يدخلوا إلى جحورهم انتظار الفريسة ولكن كيف يأوون إلى
 جحورهم قبل أن يعملوا عملاً يرضون به سادتهم ويهربون به المسلمين
 فتوجهوا إلى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا يقذفون نوافذها
 بالحجارة وهم يهتفون .. تباً للكافرين اللات . تباً للجاحدين العزى .. ورسول الله ينظر
 اليهم من فروج النافذة ويقول مامعناه

اللهم انى قد كفرت بدين اللات وجحدت بفضل العزى اللهم انى أشهد
 إنك واحد لا شريك لك ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون

ثم راح يزرع حجرته ذهابا وإيابا وهو مطرق الرأس مشغول الذهن
 مستشعرا ثقل المهمة الملقاة على عاتقه متسائلا متى يتكون النصر لدين الله
 على وفود الشيطان واجراء السوء؟؟ بينما كان الرعاع لا يزالون يصخبون
 ويعودون فيمطرون بيت الرسول وابلا من الاحجار حتى اذا كلت
 حناجرهم من الهتاف ونفدت ذخيرتهم من الحجارة دون ان يحفل بهم أحد
 أخذ ينظر بعضهم الى بعض ويسأل صغارهم كبارهم ومراءوسهم رؤساءهم من عساه
 يكون هــ ذا الكافر بدين اللات والجاهد بنعمة العزى ١١؟ أيكون رب
 هذا البيت وزوج خديجة بنت خويلد وقد عرف بالصدق منذ صباه
 والامانة في طفولته ونعمته الكل بالامين ١٢؟

ومن يكون ربّه إذا جحد بهما وكفر ١؟
 وهنا أدرك الرؤساء حرج الموقف وشعروا بوطأة الاسئلة وأحسوا
 ان البحث والنقاش قد يجران وراءهما أنصار الحمد بين هؤلاء فتأتى النتائج
 على عكس المقدمات فلم يحجر واحد منهم جوابا وراحوا يتشاغلون بالنظر الى
 نوافذ بيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما هم يرصدونها أو يعدونها وبينما هم
 كذلك واذا بجارية وضوءاء اختلطت فيها صيحات الاطفال بقمقه الرجال
 تتقدمها سحابة من التراب كثيفة تخف الكل نحوها واذا (بأبي فديهة) عبد
 أمية بن خلف قد شدت لاحدي رجله بحبل وراح خدام سيده وعبيده
 يجرونه على الارض وخطهم هذا السيل من الضفادع البشرية بهللون
 ويتضاحكون ويقذفونه بما في أيديهم من الاغصان والحصاء ويعصيحون
 تبا للكافر باللات تبا للجاهد بالعزى ثم مروا به في هذا الموكب الصاخب
 على (أساف ونائلة) وقد ظل له أمية
 أليس هذا ربك ١١؟؟

فكبة — أيهما ربي وأيها خالق
أمية — وقد غاظه رده — هاربك معا
فكبة — أيهما خالق جسمي وأيها خالق روحي أم هما قد اشتركا في
ذلك؟ سلها ١١ فان انباك بذلك آمنت بهما معك ! فكشرا أمية عن أنيابه
وهجم عليه وضغط على عنقه بيديه وهو يقول

وحقهما لاقتلاكك شر قسلة .. ولا جعلن منك طعاما لجوارح
الطيروا نيا ب الكواصر

ثم سمع الجميع صوتا في حشرة يقول ١١
الله ربي وربك ولا أشرك به أحدا
فاشتد عليه حتى أخيه أبي بن خلف فقال زده عذابا حتى يأتي محمد
فيخلصه من أيدينا بسحره

ثم أغشى على «فكبة» حتى ظن انه قد مات فأخذ الكبار ينصرفون من
حوله ولا ينفكون عن الالتفات خلفهم لا تدري اذ لك جزعا من النهاية المؤلمة
أم شهامة في ميتة على هذه الصورة

واستفاق الاطفال على صمت فكبة بعد كلامه وسكوته بعد حركته
فراحوا يحدقون في وجهه وقد اكتسي بالتراب كالبدن خلف نقاب الغمام
فاكتست وجوههم بعلامم التأثر وفاضت عيونهم بشئون الامي وهم
لا يدرون بعد ذلك لماذا صخبوا وفاروا وقذفوا وثاروا ولماذا تأثروا
وحزنوا واكفروا ودمعوا ولعكها الطفولة البريئة الطاهرة والقيادة
الناشئة العائرة

• •

وخرج رسول الله أصالة الفجر فأحس تحت قدمه بما يشبه وخزالا بر
فنقل قدمه الى الامام لتصادف موطننا آخر، فلم يكن الموطن الآخر باقل من
سابقه لدعا وشدة . فخطا للمرة الثالثة فكانت كذلك . فأدرك ان طريقه
قد فرشت بالهوك (١) وأحس ان قدمه تبيض ذما فانحنى عليها يضمدها وهو
يستعيد بالله من شياطين الجن والانس ثم ذهب فأدى صلاته وأخذ يتلو ما تيسر
من القرآن حتى قاربت الشمس ميزان السماء وصبت زهومتها على الارض
حارة قاسية وأضحت الرمال كالجر، والصخر كالتنور ثم ألقى شبانا
يثبون وشيوخا يحملهم عصيهم يدبون على الارض في أسرع مما نتحمل
أسنانهم وأطفال يهرولون وهم يهتفون هتافهم التقليدي . . تبا للـكافر
باللات . . تبا للجاحد بالعزى . . فأدرك رسول الله في الحال أن قد سقطت
في أيدي قريش فريسة جديدة فاتجه حيث يتجه الناس في سلاسل متلاصقة
وسيل متواصل وأطل على متسع من الارض قد زرع بالبشر وأصوات
تغفيهم وشما نهم ومكايدهم وسفاهتهم تصم الآذان وتقرع سكان السماء
واشتد حزنه حين ألقى بنظرة على ميدان التعذيب فاذا به يرى انها ليست
فريسة واحدة وانما هي أسرة تتكون من والد وام وأبناهما وان القوم قد
أفضوا عنهم ثيابهم وخلفهم كيوم هبطوا الى هذا الوجود الفاضح فلم يجد
رسول الله في هذا الموقف الهائج المضطرب والذي يمز فيه العون ويقل
النصير — إلا أن هتف بالاضحايا قائلا .

صبرا . . صبرا . يا آل ياسر موعدكم الجنة

فأثار هذا الكلام حمية أبي جهل وأشعل حفيظته فقال

سأعجل بهم الى الموت لتسارع بهم الى جنتك !! ثم أخذ يقذفهم

(١) كانت تضعه في طريقه أم جميل زوجة أبي لهب

بالحجارة في فورة المجنون والبعض يحاكيه حتى قضي «ياسر» الهرم نحيبه
 تحت امطار من القذائف فجعل جنون سمية زوجته لو فاته وصاح في وجه أبي
 جهل على رأسك يقيم دم زوجي يا ابن القاعة
 فاهتاج أبو جهل لسببها اياه وفارقه صوابه وأخذ رمحاً وحمل عليها
 مرة واحدة ، فأصابها في موضع العفة منها ، فماتت في الحال وكانت أولى شهيدات
 الاسلام .

ثم صاح بالقوم

أن احموا له الحجارة بالنار وضعوها فوق صدره حتى يدرك جنة
 محمد قبل فوات الوقت ؟!

ثم صبوا عليه ماء ابعث ذلك ففعلوا ثم توجه الى عمار بالكلام وقال
 وحق «هبل» لا نتركك حتى تسب محمداً أو تقول خيراً في اللات والعزى
 وكان قد أضنى به العذاب وأنهكته ضروب القضاة والقسوة فأضحى مبهور
 الانفاس . متصلب الاحساس . يغنى عليه فترة فيغمض جفنه فيقف القوم فجأة
 وفي أيديهم أدوات النهلكة . عن تمذيبه ثم يصعق فترة فيهبون عليه بما يحملون
 وفي مثل خفوت المحتضر وسوسة الحلى همس بما اعتبره بعض القريبين
 منه أنه اهانة لرسول الله وتمدح في اللات والعزى فهل أبو جهل وفقه حتى
 استلقى ثم رفع يده اشارة لا يقاوم العذاب عنه وحل قيوده ليرى ما يكون
 من أمره بعد ذلك ، أيعود الى لقاء محمد أم يكون هذا هو الدرس الاخير ولكن
 عماراً ما كاد يفارق مكانه حتى خال القوم وانعطاف في ثنية هناك ومنها الى
 مثلها ومنها الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي وينتحب
 لا من آلام التعذيب ولكن غما فرط منه وظنه انما ووزرا وما أن رأى رسول الله
 على مثل حالته ضحكوا وعايوا وقروا ودماء ونحيباً وبكاء حتى بادره قائلاً :

ما وراءك يا همار ؟؟

همار - لقد راودوني على ما نطق به لسانى هجراً أو كذباً يا رسول الله
رسول الله - فكيف نجد قلبك ؟

همار - مطمئن بالإيمان (١)

أبو بكر - عفا الله عنك

واستبق الأطفال غيرهم إلى المنافذ يتبينون مصدر الصوت الضارح
فاذا برجل عريض المنكبين يزيد في قامته القارعة، وقوفه على مقدم قدميه
وأمتداد سوطه في يده المشرعة في القضاء لا يرفعها إلا ليهوى بها على
جسم امرأة منكشة كالقار الهزيل . تحاول الفرار تحت ضغط القسوة
فيركلها الجبار بقدمه فتلتصق بالحائط فتب مرة أخرى فيقذفها بقبضة
يده فتوى إلى الأرض كتلة واحدة فتنتقل من زاوية إلى زاوية وهو
خلفها لا ينطوى بالسوط إلا لينفرج ولا ينفرج إلا لينطوى فاذا أنهكها
التعذيب ثوت هامة لا يدل على حياتها إلا أنين جازع وبكائها لموعيون
ساحجة في الدموع . لامة في اهاب فاحم . وهو لا يستمع لنحيبها ولا يرق
لضعفها . حتى إذا أدركه الاعياء وأصابه التعب استوفز بالقرب منها مبهور
الانفاس منتفح الانف مرهف الاعصاب . ثم قال والله ما تركتك إلا ملالة
ثم راح ينظر أثر التعذيب في نفسها ويتأملها عساها تصبأ عن دينها الجديد
وتكفر بنبيها . فاذا به يصاب بدهشة العاجب وحيرة المدهوش لا يستطيعها
وجلهها . واصرارها على عقيدتها ودينها رغم الضرب المبرح المتواصل أليماً
وليالى ثم إذا بعينها لا يمان عن الحق دله والكراهة . بل يشعان مضاء

(١) وفيه نزلت الآية (الأمن اكوه وقله مطمئن بالإيمان)

وطهرا وبراءة فتحار نفسه بين عاطفة الا كبار لها والشفقة عليها والحنان
لضعفها وبين كراهته لعنادها وصلابتها وإمعانها في الاحتمال من أجل نبيها
هذا الذي أيقظ الفتنة في أرض الحرم . وبعث الشقاق والفرقة بين أبناء
الاب الواحد . وسبب كل هذا البلاء .

أخذ عمر يوازن بين الموقنين ويتأرجح بين العاطفتين فغلبت عليه عاطفة
الكراهة والحقد عليها من جديد ولكنه ضبط أعصابه رحمة بها وراح
يماثلها عن طريق الاقتناع أولا . حتى اذا لم يجد ذلك معها راح يتدرج
في تخويفها وتهديداتها عساه لا يضطر إلى العود في إبدائها فقال لها
وهو يحاورها .

— ان لم تكفري بمحمد وربه . وتؤمنى من جديد باللات
والعزى . مزقت كل يوم من جسمك فلذه
زنيده .. هو الاحد . أعبدته ولا اشرك به شيئا

فاحمر وجهه ظم غيظا من جديد وهجم عليها كالجلل الاورق وقبض
على قفاها بشدة ثم دفن وجهها في التراب وكما أشرفت على الموت رفع يده
عنها ثم عاد الى فعلته .



ودخل عمر صباحا الى محبس زنيده كعادته يراودها على الاكفر بمحمد
أو يدير عليها سياط التعذيب . فلم تهزع كعادتها ولم ترتجف . بل لم تغير مكانها
كانها لم تشعر بدخوله فمجب عمر لسانها فأخذ يدنو منها رويدا رويدا
فأحست بوقم نملين قريبا منها فلوت وجهها ودنت باذنها صوب الحركة .
وكما اشتد وقعها على اذنها تراجعت الى الوراء قليلا قليلا . فزادت دهشة عمر
لذلك فخلع نعليه وأخذ يدنو من وجهها في خفة وهودة . حتى أصبح

قبالتها . فلم تجفل منه ثم حرق في وجهها فلم يبد منها جزع أو هلع .
إلا أنها أحست بشبح يقف أمامها فأدارت وجهها وأرهفت أذنها . فزاد
اعتقادها فيما زعمت فمدت يدها صوبه فتراجم عمر إلى الوراء في خفة ،
وقد أدرك أن بصرها قد كبف نتيجة لما داخله من التراب من جراء دفن
وجهها فيه ثم وقف أمامها يتأملها فيه جزع وحزن ثم سار صوب الباب
ينقل قدميه في تودة تحت ثقل من الهموم جسيم كما يسير المصاب خلف
وحيدة يشيعه إلى المقر الأخير .

« لم يبق إلا أن تهاجروا إلى بلاد الحبشة . »
 « فان فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض »
 « صدق . حتي يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه »
 حديث شريف

ودخل الليل يحمل إلى المجتمعين الرهبة . ويضاعف من أحزانهم
 وآلامهم . وحلق الوجوم بجناحيه في سماء الاجتماع . حتى مزق نسيجه
 صوت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول مامعناه :
 لم يبق إلا أن تهاجروا إلى بلاد الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم
 عنده أحد وهي أرض صدق . حتي يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه
 عثمان بن عفان — أنهاجر فراراً من الأذى وضعفاً عن الاحتمال .
 وهربا من قضاء الله ؟!

الزبير بن العوام — لا ضعفاً ولا هرباً يا عثمان . ولكن رسول الله يرمى
 بعمله — بعد سلامتنا — إلى فتح آفاق جديدة على الاسلام والمسلمين وتهيئة تربة
 خصبة لدين الله في بلاد هي أقرب إلى الاسلام ديانة وتفاهما من عبدة هذه
 الأحجار . . ما بقيت أرض الجزيرة في هذا الجذب والاحمال
 جعفر بن أبي طالب — ولكن قد تحرك هجرة أمثالنا من أجل
 دينهم حفيظة التعصب في نفوس المطارنة المسيحيين . فنصبح (كالمستجير
 من الرمضاء بالنار)

عثمان بن مظعون — لن يتم ذلك مادام هذا النجاشي حيا . فانه كما

قال رسول الله (ملك لا يظلم عنده أحد) سيما ونحن ضيوفهم وهم كثرة وقوة وامرة .

عبد الله بن جحش — انى لأخشى تأثير البيئة . وسلطان الثراء — تجرى خصوبته فى هذه البلاد — على نفوس المسلمين المهاجرين من أرض جدباء لا نبت فيها ولا ماء .

عثمان بن عفان — لا خوف من ذلك ولا ريبة . فالاسلام يعترف بالمسيحية كديانة (محلية) ويعتبرها جزءاً من رسالته ولا يفرق بين أحد من رسل الله . والمسلم المهاجر فى سبيل الله التارك لأهله ووطنه إلى وطن لأهل له فيه ولا عشيرة . ولا مورد رزق معين . لا تغريه خصوبة الحبشة وغناها . ولا يؤثر فيه سلطان البيئة والمجتمع .

فمثل هذه النفوس الأمانة الكريمة لن تقع تحت تأثير المغريات يا عبد الله

وفى هجعة الكون وسكون الخليفة جاءت مكة الاسلامية مودعة فى نساؤها وأطفالها وشيوخها كأنها مملكة النحل نظاما واحكاما . هذه تحمل الزاد وتلك تحمل الماء . وهذه تحزم المتاع وتشده فى مؤخرة البعير . وذاك يرصد الطويق . وخامس يصل أباعر الركب . ويوثق بين وحداته .. وكنت لا تسمع بين هذا كله إلا عبارات التجلد والاصطبار . ولا ترى فى أضواء النجوم الباهتة إلا وجوها تفتح قسماها بالقوة . وتغالب لواعج الفراق ، وعيوننا تشع بالغمزة الجبارة وتحبس دمة الوداع

للأهل والولد . وصدوراً تتقابل في عناق قوى تتجاوب فيه دقات القلوب
 قوية مؤمنة وتمازج خلاله زفرات الشجاعة والحنين . ورسول الله
 بين هذا كله كقطب الدائرة . يوصى بالحق ويوصى بالصبر . ويشير
 بالصمت والكتمان .. ولولا أصداء الليل وسريه . لرددوا خلف رسول الله
 تكبيرة الوداع قوية راعدة تزلزل الأرض تحت أقدام المشركين . وتهز
 الفضاء حول أحاسيسهم . ولكن القلوب كانت تكبر . والمشاعر كانت تسبح
 وتودع . وكفى بها في مثل هذا الموقف هاتفا ومودعا ومعبراً ومشجعاً
 ثم سار الموكب صوب اليمن في طريقه إلى الحبشة : ورسول الله والكل
 من خلفه شخوص نحوه بعيون وادعة وقلوب مطمئنة إلى سلامة الوصول
 وبلوغ الغاية ، والمهاجرون يبادلونهم عطفاً بعطف وثقة بثقة وإيماناً بإيمان .
 وراحت الصحراء تحمل على أكفها طليعة المهاجرين في سبيل الله ووفد
 المعذنين من أجل الإسلام . يضج خروجهم بالشكوى إلى الله من ظلم
 قريش . ويفزع حرمانهم من الأهل والوطن إليه . وتضرع قلوبهم إلى بابه
 أن يقبل منهم كل هذا في سبيل حبه ومرضاته . وإن يكتب التوفيق
 والسلامة ليؤدوا كل ماتصبوا إليه نفوسهم نحو قضية الإسلام .

نعم راحت تحمل على أكفها هذا الفوج الكريم على الله والناس ،
 يهبط بهم إلى الوهاد . وترقى بهم إلى النجاد (١) وتخرج بهم صوب الربا
 والآكام وتظلمهم من الهاجرة بظل الكهوف وتمنعمهم من العواصف بالغيران (٢)

(١) النجاد الأرض المرتفعة والوهاد بالعكس (٢) جمع غار وهو أشبه بالكهف

وتمير مطيهم بالحسك والسعدان (١) وتمدهم أحيانا بصبابات من الماء في بطون الحفر وقاع الوديان. حتى دخلوا أرض اليمن في مثل قوافل التجارة . ومن ثم إلى (الحديدية) وهناك على ساحل البحر الأحمر . عاودهم الحنين الى وقفة اخرى يتمتعون فيها ناظرهم بأمواج البحر المتلاطمة ولججه المتزاحمة . ومنته الشاسع لا يحده الطرف . وسطحه الواسع تلتقي ذيوله بذيول السحاب . ويعجبون لشراعياته السابجة كالريشة في مهب الرياح تعلو بها الأمواج إلى قبة السماء . وتهبط بها بين وهجات الماء . يفتح الخوف لراكبها بين كل موجتين قبراً . ويمنحهم الأمل عند كل هدأة عمراً . وهم بين هذا وذاك ينظر بعضهم إلى بعض نظرة التسليم بالمقدور والرضا بما هو كائن

وظل القوم مأخوذين بسحر هذا الجمال . سكري بتلك النسبات الرحيمة . وقد حرموها مدة سفرهم وعودتهم حتى قطع عليهم حبل لذائذهم صوت حذيفة وكأتما يحدث نفسه حالما .

وماضرنا لو بقينا نزاول شأننا في بلاد أكرمنا الله فيها بحسن الجوار . وجمال الحرية . واكتمال العدل ؟؟ ولكن غررت بنا أنباء قریش وإيمانها برسول الله ومهادنتها إياه . وقد وهما انه يمدح أوثانهم وينعتها بأنها في مكان الاستشفاع بها والرضا عند الله لقد خابوا والله وباءوا بخسران مبين .

فسمعه الزبير بن العوام فقال له :

(١) الشوك

لعلها جولة مباركة طالعنا زهاءها وجوه الأهل ومعالم الوطن ونعمنا
فيها بوجه الرسول الكريم . وذقنا فيها لونا جديداً من ألوان
الاحتمال والتضحية .

فقد قضينا هنا من قبل أربعة أشهر أو تزيد ونحن نرقل في بمبوحة الامن
والطمانينة بينما رسول الله في مكة ومن معه من المسلمين . يعيشون في محيط من
الفرع والمفاجآت . وفي جو من الحرمان والاعتداءات . فكان لابد . وأن
ندفع عن كل هذه الطمانينة والهدوء سفراً مضنياً مخيفاً وجواراً بشعا
كريها (١) واعتداء على عثمان بن مظعون حين ثارت نفسه عليه رافضة
البقاء في جوار الوليد بن المغيرة المشرك وقال ان جوار الله أعز وأبقى .
فلطمه أحد أقارب الوليد على عينه ، فقال له عثمان والله ان عيني الأخرى
لني شوق إلى ما نالت أختها . فثار لذلك سعد بن أبي وقاص - وهجم على
هذا المعتدى وضربه على وجهه ضربة أطاحت بأنفه

فقل لي بربك كيف كان يكتب لنا هذا الفضل ونحن في الحبشة نكرع
من مياهها العذبة وتنشق فيها عير الحرية والعدل ونطعم من فضل الجوار
وحسن الضيافة وفيض الكرم ??

عبد الله بن جحش - وكيف تتركون ، يهبط هذا النعيم ومنبع هذا
الثراء . وتعودون إلى تلك الأرض الجرداء . والماء الأجاج . والفقر المدقع
عثمان ابن عفان — شوقا الى رسول الله وطمعا في الكفاح الى جواره

(١) يشير بهذا الى أن أصحاب الهجرة الاولى حين علموا باستمرار العداء من
قريش لمحمد ، جاءوا الى مكة ودخلوها في حمى بعض انشركين وكان هذا كريها عليهم

ثم رجع عمرو بن العاص رأسه بعد اطراقة طويلة وأرسلها زفرة حارة
وقال للمؤمنين معه من سادة قريش .
لقد خاب ما كنا نؤمل ! انظروا في الأُمس بحياتهم وهجرتهم في غفلة
من قريش . وفازوا اليوم بالأمن والراحة بجوار النجاشي وعطفه . وكنا
نظن أنهم وان وقفوا في الفرار . فلن يوقفوا في البقاء متجاورين مع المطارنة
المسيحيين يعتنقون دينا غير دينهم . ويسيطرون على قلوب الشعب .
ويكونون مجلس النجاشي ويوجهون سياسته . ويرغبون في أن تسود المسيحية
في كل مكان . ليتسع بذلك نفوذهم . ويقوى سلطانهم . وتتضخم ثروتهم .
ولكن لا أدري كيف تم لهم هناك كل هذا التوفيق !! إلا أن يكون هذا
النجاشي رجلا لا يعرف كيف يشد على وسطه منطقته (١) ولا ينظر إلا إلى
مآب تحت قدميه !! فبروا أمركم . ودبروا شأنكم . فان أبناءهم لتحز في نفسى
وتأكل من صدرى .

شبية بن ربيعة — لا شيء فيما أرى إلا أن تجهز على من بقى منهم في
مكة . وأن تأتي على ذرايعهم ونسائهم انتقاما وتشفيا . فاما أن يودعوا
مكة وأهلها إلى الأبد آبقين محرومين من الأهل والوطن أو يحضروا
للأخذ بالتأثر . وإذ ذاك يكونون قد وضعوا رءوسهم في فم الأسد بدورهم .
وتقضى (اللات والعزى) بقضائنا عليهم .

الوليد بن المغيرة — تربت يداك من مأفون !! وهل كان المماجرون

إلا وشيعة منا . وأصرة فينا . ورحما بيننا . وهل نساؤهم وذرايرهم إلا
فلذات أكبادنا . وأغصان في دوحاتنا . وما ذنب هؤلاء لنهرق دماءهم
من أجل هذه الحفنة الصابئة على قریش .

عبد الله بن أمية - ليس هناك ما هو أكثر سدادا من أن نوفد إلى
النجاشي وفدا من قریش يحمل معه الهدايا العظيمة له وللبطريق الأكبر والمطارنة
حتى يكون لنا منهم ألسنة عند النجاشي وعون عظيم
أصوات - مرحى !! مرحى !!

الوليد - الأمر ما رأيته يا بن أمية . فعلينا أن نساهم في الهدايا .
وعليك وابن العاص حملها إلى الحبشة . بالنيابة عن قریش راجين لكما
سفرًا سعيدًا وتوفيقًا عتيدًا وعودًا حميدًا

دخل النجاشي إلى قاعة العرش متثدًا هادئًا . وقد تدلى سيفه الذهبي
على جانبه تفوح من أعطافه موجات المسك ويحوط به حراسه الفواره
العماليق (١) ثم أذن لوفد قریش عليه بالدخول . فمثل بين يديه عمرو بن العاص
وعبد الله بن أمية ثم قدما إليه هديته . فرحب بهما أجمل ترحيب وهنأهما
بسلامة الوصول . فردا عليه التحية بأحسن منها ثم قال :

أيها الملك انه قد ضوى (٢) إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين
قومهم ولم يدخلوا دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت

(١) الطوال الاجسام

(٢) آوى

وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم
إليهم ، فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه
فنظر النجاشي إلى محدثه ليقراً في تقاسيم وجهه وتفاعيل نفسه مقدار
ما يقوله من صحة أو كذب ثم نظر إلى مطارته نظرة استشارة لما سمعوا ،
فقال البطريق .

لقد انتهى إلينا — حفظ الله الملك — أن هؤلاء النزلاء قد أتوا في
بلادهم شيئاً إداً وخرجوا على دين أشرافهم وعشائهم . وأطلقوا ألسنتهم
في معبودات قومهم . وبذروا بذور الشقاق في بيئاتهم ، ثم فروا إلى بلادنا
آبقين ولا يبعد مطلقاً أن يسيئوا إلى حسن الجوار وطيب العشرة ونبالة
الكرم فيقوموا بيننا بمثل ما قاموا به في بلادهم وليس أدعى إلى الاطمئنان
من تسليمهم إلى أهلهم وعشيرتهم يرون فيهم رأيهم لتظل بلادنا بعيدة
عن الفتن سليمة من عوامل الشقاق والحزن

قال البطريق هذا والنجاشي مطرق لحديثه تارة . متفرس أثر ذلك في
وجوه المطارنة والضيوف تارة أخرى . فاذا بهم يهزون رؤوسهم علامة
الرضا وإيماءة الموافقة وعمرو وصاحبه تشع عينهما بريق السرور والغبطة
لما وصلا إليه من نتائج . . .

وما كانت إيماآت المطارنة بالرضا والموافقة إلا موجات تبعث الغيظ
إلى نفس النجاشي وهزات تثير انفعالات نفسه رويداً رويداً حتى ظهر الغضب
في وجهه وأطل الغيظ من عينيه فاحتد على حاشيته وقال

«والله لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا في بلادى واختاروني على من
سواى - حتى أدعوم وأسألم عما يقول هذان . فان كانا صادقين سلمتهم
إليهما وإن كان الامر غير ما يذكرا ان منعتهم وأحسنتم جوارهم»

« إن قرآنكم والكلام الذى جاء به »
 « موسى من مشكاة واحدة ، اذهبوا »
 « فأنهم آمنون ، وما أحب أن لى جبلا »
 « من ذهب وأنتى آذيت رجلا منكم »
 نجاشى الحبشة

. ودخل المسلمون على النجاشى باقدام ثابتة . وقلوب مطمئنة .
 يتقدمهم جعفر بن أبى طالب فى جمال طلعه . واشراق وسامته . فحيوا
 النجاشى التحية اللائقة به . ثم أخذوا أما كنهم حيث أشير لهم ، وفى
 ناحية من حجرة العرش ألفوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة
 مطرقين متظاهرين باحترام المقام . ولم يكن ذلك إلا مقدمة الهزيمة . وطلائع
 اليأس تأخذ مجراها إلى نفسيهما . بعد أن رفض النجاشى تسليم المسلمين لما
 اتهموا به قبل استدعائهم واستجوابهم والتأكد من صحة ما قيل عنهم
 ثم توجه النجاشى إلى المسلمين قائلا :

ما هذا الذى فارقم عليه قومكم ؟؟ وإذا كان دين قومكم لم يرقمكم فلماذا لم
 تدخلوا فى دينى أو فى ملة من هذه الملل ؟

فأدرك المسلمون من سؤاله سر استدعائهم فى مثل هذه الساعة ومقدار
 ما به عمرو بن العاص من الدسائس فى بلاط النجاشى ، ثم انبرى جعفر بن
 أبى طالب للإجابة عن الجميع فقال :

أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة .
ونأكل الفواحش ؛ ونقطع الأرحام . ونسئ الجوار . ويأكل القوي منا
الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده . ونخاع ما كنا نعبد نحن
وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء
الأمانة . وصلة الرحم . وحسن الجوار . والكف عن المحارم والدماء .
ونهانا عن الفواحش . وقول الزور . وأكل مال اليتيم . وقذف المحصنات
وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .
فصدقناه وآمنا به . واتبعناه على ما جاء به من الله . فعبدنا الله وحده لا نشرك
به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا
وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله . وأن نستحل
ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا . وحالوا
بيننا وبين ديننا . خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجبنا في
جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك

فهز النجاشي رأسه وأغمض جفنيه إيماء إلى الرضا بما قيل ، واستملاحا
لما سمع ثم قال لجعفر

هل معك مما جاء به هذا الرسول شيئا تقرأه علينا

فقال نعم ثم اعتدل وجلس مجلس الصلاة وقال :

.. بسم الله الرحمن الرحيم . واذكر في الكتاب مريم إذ

انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا

إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً - إلى قوله تعالى - فأشارت إليه قالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبياً • قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبياً • وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً •
وبرأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً • والسلام على يوم ولدت ويوم أموت
ويوم أبعث حياً

كان جعفر يتلو هذا في جرس عذب وترتيل موزون • والنجاشي
ومطارته • يترنحون ذات اليمين وذات الشمال نشوى بموسيقى القرآن ،
سكرى بخمرته ، ولهى بجمال ماروى عن نبيهم فيه • تتأثر به أحاسيسهم ،
وتتجمع له شجونهم حتى استحالت شئوننا وانطلقت دموعا تهى على
اللعاء ، ثم علا نشيجهم في المجلس • بينا عيناهمرو وصاحبه في مثل زيف المضطرب
أو في ذهول من ينتظر حكم الاعداء ، يمزق قلبهما اهتزازاتهم ويشوى
وجههما تأوهاتهم وتكوى قلبهم دموعهم

ثم مسح النجاشي دموعه وقال

ان هذا والكلام الذى جاء به موسى من مشكاة واحدة

البطريق - بل إنه يصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا

يسوع المسيح

ثم نظر النجاشي إلى عمرو وصاحبه • فظرة لم يتحدث على أثرها •
فامتقع لونهما وارتعدت فرائصهما وأيقنا أنهما بعد كل هذا لا محالة هالكان
لولا الأمل في كرم الرجل وأخلاقه الرفيعة

ثم نظر إليهما مرة أخرى ولم يشأ أن يدعهما في هذا الشقاء والاضطراب
بل حدثهما قائلاً

انطلقا بسلام • فوالله لا أسلمهم اليكما أبداً

فخرجا يسحبان ذبول الخزي والفشل ويأكلان قلبهما من الضغينة
والحقد • لا يخفهما إلا الظفر بالسلامة بعد كل هذا النصر الذي أحرزه
المسلمون في المجلس • - غير أن عمرا قد دبّت فيه روح الأمل وعالوده
حب الانتقام • وأبى إلا أن يقامر بحياته ويلقى بآخر شبابه في طريق
المسلمين عند النجاشي • فلما نجح تقر به عين قريش ، وأما فشل لا اعتدال
لمعوجه • ولا قيامة لعثرته • فاستأذن على النجاشي في اليوم الثاني فأذن له

ثم أخذ يمدح النجاشي ويذكر ما اشتهر به من قوة السلطان وسمو
الأخلاق وعظيم الكرم حتى انسمع لأمثال هؤلاء الأبقين من أحضان أهلهم
وعشيرتهم • الصابئين عن دين آبائهم وأجدادهم الطاعنين في المسيح بالافك
والكذب • وهكذا تسيء الأخلاق الكريمة إلى النفوس الوضيعة !!

قال هذا عمرو بن العاص • وقد ظن أن النجاشي سيحق عليهم في
الحال ويأمر بطردهم من بلاده وتسليمهم لقريش • لأن الطعن قد تناول
أرهم فحاسة وأحس عاطفة • ولكن النجاشي كان أفسح مما تخيل عمرو
حلماء ، وأوسع صدرًا وأرعى للعدل والانصاف مما قد زعم • فأرسل النجاشي
في طلب المسلمين إلى مجلسه من جديد • وراح يستعد لتوجيه الأسئلة إليهم
فيما اتهموا به • بينما راح عمرو يجالد نفسه التي تكاد تطير من الاضطراب ويهدى •
من قلبه الذي يوشك أن يطير من الرجفة • حتى استحال جسمه الى آذان

وأحاسيس لسماع ماسيقال ، وانتظاراً للنتيجة التي كان يرجو أن تكون له سارة .

ثم توجه النجاشي إلى المسلمين وقال :

ماذا تقولون في اليسوع المسيح ؟

جعفر — تقول الذي جاء به نبينا محمد .. يقول هو عبد الله ورسوله وكلمته انى مريم العذراء البتول وروح منه . كلمات معدودات أطلقها بن عبد المطلب في سماء المكان تياراً من الفرح والسرور فهزت جسم النجاشي هذا . وشعت به عيناه ، ثم مال إلى الأرض وأخذ منها عوداً وخط به على الأرض وقال :

ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط

فشق المطارنة لذلك شهقة استنكار واشمئزاز من هذا التصريح فالتفت اليهم غاضباً في سرعة خاطفة وقال :

ولو شققتهم !! حتى قرارة امعائكم . فانه والله كلام صادق محزه وواقع حقيقته .

ثم قال للمسلمين :

اذهبوا فانتم آمنون . وما أحب أن لي جبلاً من ذهب وانني اذيت رجلاً منكم

ثم صاح بحراسه .. ازردوا على هذين الرجلين هديتهما . فان الله ما أخذ مى رشوة حين رد إلى ملكي حتى أخذ منهما رشوة على الفتك بالناس

كفهر الكون غاضبا محتداً وارعد صوته داوياً مزلزلاً ، واتقدت
 عيناه بوميض خاطف يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار وسالت عبراته هتونة
 سحاحة تحمل النعمة والثراء والبركة إلى جميع سكان هذا الوادى السعيد ،
 ولفت جوانبه موجة من البرد القارس بعد أن رققت أعاصيرها في
 الفضاء مجلجلة صافرة . وراح المسلمون ينثرون الى احتفاء الطبيعة بفصل
 الأمطار والخير بعين محرومة من مثل هذه المناظر الفاتنة لا يرونها في
 بلادهم بهذا العنفوان الزاخر إلا نادراً وكم يكون يوم رؤيتها عيداً قومياً
 يزف السرور إلى الأجنة في الأرحام ، ويسطر رداء الغبطة والجلد على
 الحضر وسكان الكهوف والآكام . . . وحال انهطار المطر وبرودة الجو
 دون مرور السابلة في الشوارع والمناقد إلا من داهمتهم غزارة الماء في المراعى
 النائية . والمروج البعيدة فعادوا يسوقون أغنامهم وأبقارهم في تهافت واعياء
 ورعشة . كما يعود القائد المهزوم بفلول جيشه في صمت الأسى والكمد
 لا يشعر به أحد ولا يستقبله إنسان . يسير وئيداً كأنه يمشى فوق شك .
 وينتقل حاذراً كأنه يخاف مفاجأة العدو على مابقى معه من وحدات . .
 ثم صاح في القوم عثمان بن مظعون وقال :

ادخلوا مساكنكم . وأغلقوا الأبواب ، لئلا يطوف بكم من

البرد طائف

جعفر بن أبى طالب — يالك من كهل طيب القلب !! يطوف بنا
 طائف البرد في يوم نحن فيه سكره بخمرة النصر ولذة الفوز على قريش
 إن دم الفرح لينفلى في عروقنا غليان القدر على النار . وإن نشوة السرور

لتمشى حياها في أعضائنا تمشى الماء في العود الأخضر . وان وقفة الخيال في
هذه الساعة على رأس عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة وهما مطرقان حزنا
وكدا وفشلا — لتدعنا دافئين بحرارة الغبطة إلى الأبد . وان منعة هذا
الملك العظيم لنادونهم ، ومبالغته في حمايتنا وكرامتنا وحمل هذه
الأخبار الى قريش . لما يؤيد قضيتنا ويشجع الخائفين على الظهور بيننا
ويقيم لها الدعاوة بين العرب . ويظهر قريشا ومن شايعها بمظهر المعتدى
الظالم على المسلمين ، سيما وقد عرف هذا الملك بالعدالة واشتهر بالانصاف هناك .
وذاعت عنه رجاحة العقل ونبالة الشيم وسمو السجايا . فمن مبلغ عنا
رسول الله هذا النصر المبين . ومن يحمل لواء البشري عنا إلى المسلمين ؟
سيبلغونها إحساسا بانفرح وغبطة بالروح . وسيقرأونها سوداء قاعة في وجه
عمرو وعبد الله عند الاياب .

الزبير بن العوام — لم أفهم بعد ماسر شهقة المطارنة عند مارأوا
موافقة النجاشي على قول جعفر بن أبي طالب عن عيسى (انه عبد الله
ومرسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول) ؟ ؟

جعفر — لأن شوائب الخلاف قد دخلت بينهم وبين مؤلّهي مريم
ومؤلّهي عيسى والقائلين برسالته والقائلين بنبوته والقائلين بالمزج بين الأب
والابن والروح القدس والشكل إليه واحد ، فلعل المطارنة من القائلين بمذهب
مخالف لهذا الرأي الذي قيل .

أبو حذيفة — كما إني لم أفهم ما قال النجاشي من أن الله لم يأخذ مني
رشوة حين رد إلى ملكي . فأخذ رشوة فيه .

— لقد كان النجاشي هذا وحيد والده وورث عرشه . فخشي كبار الدولة على العرش لعدم تعدد أولاده . وكان لوالده أخ له اثنا عشر رجلاً . فراودوه على قتل أخيه ليظل الملك في أولاده وأولاد أولاده الكثيرين . فعمل بإشارتهم وقتل أخاه . وتربع على دست الملك مكانه . وكفل ابن أخيه الذي هو الملك الآن . وكان طفلاً على جانب كبير من الخلق والمهارة والاتزان . فخشي كبار الدولة على أنفسهم خطره المستقل لتآمرهم على أبيه . فأشاروا على عمه بقتله تخلصاً منه أو يسلمه لهم لنفيه خارج حدود المملكة فرضى بالثانية وأسلمه إليهم فباعوه لأحد تجار الرقيق . وغادر بلاده عبداً ذليلاً بعد عز الإمارة والسيادة . وما جاءت عشية ذلك اليوم حتى خرج عمه إلى العراق يستمطر . فهوت عليه صاعقة فسحقته . فحار رجال الدولة في أمرهم وهرعوا إلى أولاده . فلم يجدوا بينهم من يصلح للملك ، فتشاوروا بينهم وخافوا على الملك أن يخرج من أسرة البيت المال الذي يحترمون ويقدسونه . ثم رأوا اللحاق أخيراً بسفينة تاجر الرقيق الذي اشتراه لاسترجاع الأمير الشاب ليتوجوه ملكاً عليهم لئلا يختل ميزان الدولة وتعبث بها يد الطامعين . فلحقوا بها وأدركوه . ودخل الحبشة ملكاً متوجاً على رأس الجميع . فكان هذا معنى ما قال (ما أخذ الله مني رشوة حين رد إلى ملكي . فأخذ الرشوة فيه)

فهز عثمان بن عفان لحيته إيماء بالرضا والاستملاح لما سمع وقال
« هكذا يقذف الله الحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »

نحو السيلولة

طرف مما أصاب بلال بن حمزة الصحابي
المعروف من جراء إسلامه ، مما حمل أبو بكر
رضي الله عنه على شرائه وعنته انقاذاً له مما هو فيه

«أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً»

عمر

«إن كنت إنما اشتريتني لنفسك»

«فأمسكني وإن كنت إنما»

«اشتريتني لله فدعني وعمل الله»

بلال

- صوت كأنه مزمار داود أو لحن الهزار (١) ينبعث من بين أشجار الرمان وأغصان الكروم ويستوقف الأطياف العادية ، ويحرق الألباد الصادية ويذيب القلوب العاتية ، تستقبله في نهاية المقاطع أصوات السكران هائمة حائمة . صاحبة قارعة فاذا ما عادوا إلى هدوئهم عاد المغنى حانيا كالحنان ، شاديا كالكيروان ، فيحمله هدوء الليل إلى الآذان ، ويردده الأثير إلى الدانين من بني الانسان ، فتجتمع حول الحديقة جحافل الشبان ويتنكب بالقرب منها مواكب الكهول والصبيان .. يستمعون إلى الصوت الندى والشدو الشجي ويشربون منه رحيقا يخفف عنهم ألم السفر وعناء الحياة ..

وفي فترة الراحة سأل ضيف صديقه القرشي :

— من هؤلاء الشبان العراييد ؟

سيف — هؤلاء بنو السادات من قریش اتخذوا من هذه الخيلة

منتدى للسمر والشراب ومغنى (١) للمرح والسرور .

فهر - ومن هذا الساحر يفضيهم ويشدو لهم حتى ليكأنهم جنواها

سيف - هذا بلال (٢) عبد بنى أمية بن خلف سيد بن جمح .

فهر - لقد أذاب الله خبر صوته في عين من المسجد (٣) .

سيف - هازئا - ليتك كان يشوبها فيحتاج شجوه ويشور حنينه

فيكون أكثر إمتاعاً ، وألذ استماعاً . ولكنه اتصل بمصبة حرمة لذتها ،

ومنعته نشوتها .

فهر - ومن هؤلاء البلهاء يحرمون لذة الراح والراحة والسرور !

سيف - هم عصبة تجتمع في جوف السكبة وتدعو إلى ماسموه (حلف

الفضول) يردون المظالم ، وينتصرون لحق الضعفاء ولا يشربون الخمر !

فهر - أما أن ينتصفوا للمظلومين والضعفاء فحسن ، وأما أن يحرموا

أنفسهم لذة الخمر فحق وغبن لا يرضاه حر لنفسه .

سيف - بل هم سادة الأحرار في قریش على رأسهم محمد ابن عبد الله

بن عبد المطلب سيد بنى عبد مناف ، له منذ صباه في الناس سيرة خيرة ، ومقام

محسود ، ومكان الحكم ، ولولاه في يوم وضع الحجر الأسود في السكبة

لاقتلت العرب وأريق الدماء . وبين هذه الجماعة أبو بكر بن أبي قحافة

له بيننا أرومة وحسب . ومبزة ونسب . وجاه وثراء . ولكنهم مع الأسف

لا يشربون الخمر !!

(١) منزل .

(٢) الصحابي المروف .

(٣) الذهب .

فهر - وإذا كانت الخمر قد جمعت بين هؤلاء السادة وبين عبيدهم
بلال ، فما الذي جمع بينه وبين الآخرين وليس بينهم شارب خمر
ولا قارع دف .

سيف - في الحق لقد برأه مكانه رجاحة عقله وطلاقة لسانه وقوة
إرادته فلم تقل من عناده وطأة السادة ، ولم يكن من عريكته ذل العبيد .

فهر - ليت شعري ! وهل يسخر رجل مثل هذا في أعمال العبيد !
سيف - لقد قدر سادته قدره فهم يرسلونه مع القوافل في
تجارتهن إلى اليمن والشام فزادت أماته في قدره ورفعه وفاؤه إلى
سواء الجميع .

استيقظ أمية بن خلف على شدة جميل وترجيع عذب فعلم أنه صوت
بلال بن حمزة فظنه يسلي نفسه عند قيامه إلى عمله وقد ما زجته نسيات
السحر ، ولكنه اليوم لا يردد نغمة ولا يرجع لحناً وإنما يقول كلاماً له في
نفسه وخز الابر وحز المدي ثم أخذ يحدث نفسه :
ليت شعري ماذا دهاه وماذا أصابه ؟

أيتحدث في صدره جنى أم يهمس في أذنه شيطان . أم سحره علينا
ساحر ؟ . ويل لابن حمزة مني إن كان يتحدث عن كلام محمد أو يحكي
قرآنه الذي يزعم نزوله من السماء . . ألا شقاء له وتعاسة ، ان كان قد حمل
إلى منزل سيد بني جمح مثل هذا السحر يفسد علينا أبناءنا وذرائنا

ثم نضى عنه غطاءه وانتصب مغضباً حاقاً ووقف ياب عبده بلال
يستمع فتناوبته عاطفتان : عاطفة الحق على عبد يجلب إلى بيت سيده تعويذة
التفريق وشتائم الآلهة وتسفيه أحلام قريش ، وعاطفة الامتناع بوقع هذا
الكلام العربى فى نفسه .

وكما دفعته مراحل الغضب إلى اقتحام الباب أثقلته الرغبة فى مزيد
الاستماع إلى هذا الكلام العجيب ، يسير إلى سمعه ، فينصب فى نفسه ،
ويرف على قلبه ويهز من مشاعره . حتى إذا صافح أذنه قوله تعالى (إذ يقول
الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) ثارت ثائثرته واقتحم على بلال
بابه ، لا تدرى أخشية على نفسه من أن يسحر بدوره فيسلم لمحمد هذا —
الفقير المعدم — تاج عزه وزعامته بيده . أم غضبا على ما تحمل الآية من
وصفه وأمثاله بالظلم والافتراء ، فلم يروع بما صنع ، وما أعار التفاتاً لما وقع ، وما
انتصب لسيدته واقفاً ولا أوقف تلاوته ولا هلع ، وواصل قرآنه يقول :
(انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً . تبارك
الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل
لك قصوراً) وشاء أن يمضى فيما يتلو فقطع أمية عليه سبيل مضيه وقال
غاضباً مغيظاً :

حتى لا تقف لى بعد ذلك ! ؟ ولكنك عبد ! ! قد أساء إليك حسن
مصانعتى إياك وغرر بك الارتفاع بقدرك الى سواء سادتك ..
أقد استخفك محمد . فصبت وكفرت بالللات والعزى .
بلال - يخرج من هدوئه - ما صبت وما أس - تخفى محمد وأما

هدانى الله .

أمية - صائحا - هدانى الله !! وهل لك إله غير ما تعبد قريش ؟
الويل لك إذا أنت أصررت على ذلك

بلال (يواصل حديثه) - نعم هدانى الله الأحد الفرد الصمد
وأرشدنى الرسول الأمين محمد فأنت أن لا إله إلا الله لا يعبد سواه
أمية - مقاطعا - لازلت تقولها فى وجهى يا لثيم الطبع يا عنيد الخلق
يا ابن السوداء

بلال - نعم لا يعبد سواه ولا يشرك به شىء

أمية - يالموت لقد تكهن العبد وسحره محمد . . وامتلا بهتاننا
وضلالا . . فما للعبيد وتخير الأرباب والمفاضلة بين الديانات . فاذا كنت
لا تملك نفسك . ولا أن قلب درهما فى يدك . فكيف تملك حق التسدين
واختيار العقائد . ولكنى أفهم أن أبناء العبيد لا يردم إلى صوابهم اقناع
أو حساب . وإنما هراوة (١) أو سيف . بل إن الهراوة لا تداوى جرحك
وإنما السيف هو الذى يستطيع ذلك فيهرق دمك فى هذه الفلاة كما تهرق
المدية دم شاة

بلال - لا عليك يا مولاي من بأس فى ذلك فان الموت غاية كل حى
ونهاية كل ديار . وإن موتا على خير وهدى لهُو أفضل من حياة فى شرود
وضلالة وذل وفساد

أمية - نعم حينما يرى أبناء الاماء سيف يغمده فى أعناقهم . يملنون

(١) عصا .

عن شجاعته وزهادته في الحياة واستخفافهم بالموت لضرورة وقوعهم
بين أنيابه .

بلال - وعلام يرضى العبيد عن الحياة . وهم في مثل عيش السائمة
وحياة النعم . بل يجب أن أتشجع لأن الشجاع يموت مرة واحدة وأما
الجبان فإنه يموت عدة مرات كل يوم . بل قد لا أحتاج إلى الشجاعة متى
أدركت أن الآجال محدودة والأعمار موقوتة . وأنه لن يموت أحد إلا
إذا وافى كتابه وجاء أجله المحتوم .

فثار جنون أمية وهجم على بلال وأمسك بعنقه وقال :

لا تزال أيها الملعون تمنع في غيك وتوغل في خلطك . وتوغر صدرى
بسفاهاتك وتبجحك . وحق اللات والعزى لأكتبن كتاب عذابك بدمك
ولا أقتلنك شر قتله . ثم صرخ على خدم البيت وحشمه :

خذوا هذا الأحمق فعدبوه طويلاً ثم اقتلوه على مشهد حتى يراه الناس
فسارع الخدم والعبيد إلى تنفيذ إرادة سيدهم فأوثقوا بلالاً بالحبال
والأغلال وساقوه إلى ساحة الموت . وبلال لا يقاوم ولا يتكلم . وخلفه
جيش من الصبيان والخدم يصيحون بقتل الصابىء عن دين قريش .

غاب هذا الحشد خلف شحابة من التراب . وخف صوت الصائحين
لبعدهم عن المنازل وجلس أمية بن كعب في ركن بينة تائها في حرارة غضبه
وسيفه بجواره ووقف بعض أهله وبنو عمومته في انتظار هذوته واستفائه .
وراح كعب بن أمية يتابع بلالاً بين جلاديه بنظراته ويرمقه بحبه الحيس
ويرف عليه بفؤاده الخفاق . كأنما يريد أن يلقي على الرجل المحبوب نظرات

هدانى الله

أمية - صائحا - هدانى الله !! وهل لك إله غير ما تعبد قريش !!
الويل لك إذا أنت أصررت على ذلك

بلال (يوصل حديثه) - نعم هدانى الله الأحد الفرد الصمد
وأرشدنى الرسول الأمين محمد فأنت أن لا إله إلا الله لا يعبد سواه
أمية - مقاطعا - لازلت تقولها فى وجهى يالئيم الطبع يا عنيد الخلق
يا ابن السوداء

بلال - نعم لا يعبد سواه ولا يشرك به شئ
أمية - ياللموت لقد تكهن العبد وسحره محمد . . وامتلا بهتاننا
وضلالا . . فما للعبيد وتخير الأرباب والمفاضلة بين الديانات . فاذا كنت
لا تملك نفسك . ولا أن قلب درهما فى يدك . فكيف تملك حق التدين
واختيار العقائد . ولكنى أفهم أن أبناء العبيد لا يردم إلى صوابهم اقناع
أو حساب . وإنما هراوة (١) أو سيف . بل إن الهراوة لا تداوى جرحك
وإنما السيف هو الذى يستطيع ذلك فيهرق دمك فى هذه الفلاة كما تهرق
المدينة دم شاة

بلال - لا عليك يا مولاي من بأس فى ذلك فان الموت غاية كل حى .
ونهاية كل ديار . وإن موتا على خير وهدى لمر أفضل من حياة فى شرود
وضلالة وذل وفساد

أمية - نعم حينما يرى أبناء الاماء سيف يغمد فى أعناقهم . يملنون

(١) عصا

عن شجاعتهم وزهادتهم في الحياة واستخفافهم بالموت لضرورة وقوعهم
بين أنيابه .

بلال - وعلام يرضى العبيد عن الحياة . وهم في مثل عيش السائمة
وحياة النعم . بل يجب أن أتشجع لأن الشجاع يموت مرة واحدة وأما
الجبان فإنه يموت عدة مرات كل يوم . بل قد لا أحتاج إلى الشجاعة متى
أدركت أن الآجال محدودة والأعمار موقوتة . وأنه لن يموت أحد إلا
إذا وافى كتابه وجاء أجله المحتوم .

فتار جنون أمية وهجم على بلال وأمسك بعنقه وقال :

لا تزال أيها الملعون تمنع في غيك وتوغل في خلطك . وتوغر صدري
بسفاهاتك وتبجحك . وحق اللات والعزى لأكتبن كتاب عذابك بدمك
ولا أقتلنك شر قتله . ثم صرخ على خدم البيت وحشمه :

خذوا هذا الأحمق فعذبوه طويلاً ثم اقتلوه على مشهد حتى يراه الناس
فسارع الخدم والعبيد إلى تنفيذ إرادة سيدهم فأوثقوا بلالاً بالحبال
والأغلال وساقوه إلى ساحة الموت . وبلال لا يقاوم ولا يتكلم . وخلفه

جيش من الصبيان والخدم يصيحون بقتل الصابيء عن دين قريش .

غاب هذا الحشد خلف شحابة من التراب . وخف صوت الصائحين
لبعدهم عن المنازل وجلس أمية بن كعب في ركن يئته تائها في حرارة غضبه
وسيفه بجواره ووقف بعض أهله وبنو عمومته في انتظار هذوته واستفائه .
وراح كعب بن أمية يتابع بلالاً بين جلاديه بنظراته ويرمقه بمجه الحيس
ويرف عليه بفؤاده الخفاق . كأنما يريد أن يلقى على الرجل المحبوب نظرات

الوداع . ويمطره قطرات العطف المتبخرة من سماء العجز عن إقاده ، ولكنه
عاد يؤنب نفسه على موقفه الماجز وكأنه يتحدثها قائلاً :

وما الذى يحدث لو تشفعت لأخطائه . وكاشفت والدى بحبي له ومن
ذا يغنيننا إذا مات بلال ؟ ومن ينفى على ليالينا ثياب السعادة ؟ ! سيقولون
يمالته ! ليكن ذلك . ولكنهم لن يقولوا يشاركه فكره وعقيدته . . أعتقد
ذلك . فقد يحب المرء فى عدوه خللاً حميدة ومواهب نادرة . إذن
فلا قطع عليه جبل حزنه وتفكيره . ولا حدثه فى العفو عنه . وليفهم بعد
ذلك ما شاء أن يفهم فهو لن ينسى أنى ولده وخليفته ولن يتصامم عن نداء
الحبة والحنان بين جنبيه إذا ساورته نفسه شيئاً غنى . . ثم اندفع نحو
والده وأراد التحدث إليه . فخانه لسانه فأخذ يحك يدا ييد . ويمسح بيميناه
على فمه وعثنونه ثم عاودته نوبة الشجاعة فتحرك لسانه لكن لا عن شيء
مفهوم . فالفاه والده يتعثر فى خجله ويترك من حياته أو خوفه فقال له :
كانك تريد أن تقول شيئاً يا كعب . تحدث ماذا تريد ؟

كعب - إن قتل بلال يا أبتاه إن دل على شيء فلن يدل إلا على عجزنا
فى تربية أحد عبيدنا وإننا لن نستفيد من قتله شيئاً . وإن صح أن هناك
من فائدة فإنها لقريش وحدها . ولن تعوضنا عن قتله قطيراً . ونظل نحن
الخالسين . . ألا تذكر يا أبتاه أننا قد رودونا عليه بألف الدراهم
فرفضنا صفقته . وأينما بيعه احتفاظاً به . فكيف تلقى به اليوم هباء بين
أنياب الموت ؟ وإذا كان ولا بد من مفارقتة فلنبعه فتريح أنفسنا من عنه
معالجته ونربح ثمنه الوفير

أمية - أترى يا كعب أن أحداً يستطيع شراءه بعد مامسه من السحر
مامسه ؟

كعب - إن له في صوته ثروة طائلة وله من مزاميره ما هو أثمن من
كنوز كسرى

فسكت أمية هنيهة يرأود نفسه ثم نادى - هبوا للعبد حياته واكنفوا
بتعذيبه .

لم ينتظر كعب حتى يذهب أحد الخدم بأمر أبيه بل طار بنفسه إلى
حيث يوجد بلال فألفاهم يعدون له وسائل النكال . وطرائق الموت فصاح
بهم حسبكم وكفى ... فنامت السواعد المشمرة . وبردت الدماء الفائرة .
وجفت الابتسامات الشامته الهازئة . وبلال في الحالتين أقوى ما يكون نفساً ،
وأرسخ ما يكون ثباتاً .

ثم دنا منه كعب وقال له :

عد يا بلال إلى صوابك وتنح عما في نفسك تسلم مما يدبر لك
بلال - لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

كعب - يا بلال . إن أبي رجل عنيد فلا تفرع عناده بعنادك ولا تحتاج

من إذا قال فعل

بلال - إني لا أملك إلا نفسي فلنذهب حيث يشاء الله ، فأدخل بها

جنات عرضها السموات والأرض

وبينما هما يتحاجان . حضر أمية وأخذ ينظر إلى بلال في دهشة وعجب

ثم قال :

أتعرف أنى قد وهبتك حياتك اليوم ؟

بلال - هو وحده الوهاب

أمية - أتعرف أنك إن لم تراجع نفسك خسرت الكثير

بلال - حسبي بالاسلام ربما وبمحمد هاديا وبالقرآن نوراً مبيناً

أمية (محتدأ) - ألا تزال تهرف كعادتك وتهزو كشأنك

بلال - ماهزوت ولكنى أقول لا إله إلا الله

أمية (حاقاً) - خذوا . . خذوا هذا الكلب الأجرى من أمامى

والبسوه المرقع والمستقنر وشهروا به حول الكعبة حتى يدرك قدر نفسه
فيثوب إلى رشده .

وما لبث لحظات حتى نضى العبيد والخدم عنه ثيابه وألبسوه ماغير

معالمه وشوه منظره وأوثقوه فى حديد وحبال وراحوا يصخبون حوله
والأطفال تردد :

- هذا الكافر باللات . هذا الجاحد بالعزى . وكل من يسير

بالقرب منه كعب بن أمية باكياً حائراً بين صرامة أبيه وعاطفة الحنو إلى

بلال متوسلاً إليه أن يترك هذا الذى يجالده ويماند فى سبيله وبلال ينظر

إلى العيون الدامعة من أجله ويرفع فى الفضاء سبأته ويقول :

أحد أحد

إنما هو الله أحد

ترى من هذا البطل الدارع ألقى به جواده على الأرض فراح يتلوى

بحت آلامه في صمت وجلاد !! وأين أتجه فرسه الجامح وخلفه هكذا
وليس هذا من سنة كرائم الجياد ؟ وأين ذهب رفاقه وخلفوه للأصفاد
والاغلال فوق نفقات الذهب . وتحت وطيس الهاجرة ؟ ولم وقف هذا
الحشد من الصبية والشبان يتضحكون عليه ويهزءون به دون أن تمتد يد
لأنهاضه وما عهدنا الشماتة بالابطال . والتضحك في يوم النزال

سيف - ضاحكا - ألا تدري من هذا ؟

فهر - لا وأبيك

سيف - هذا بلال بن حماسة ، بلبل البستان بالأمس . وهزار الشبان .
وشادي الهوى . ومزمار الجوى .. طوح به غضب مولاه إلى أنياب القيود .
وأضر اس السخرية والاستهزاء

فهر - وهل كان هذا جزاء ما يجتلون بوجوده في ليا ليهم من مرح
وسرور !! أم ماذنبه عند هؤلاء السادة ..

سيف - لقد صبا عن دين اللات والعزى .

فهر - صبا ! ؟ تباله وهلاكا . . ولعله لبس هذه الدرع يكافح سادته
بين صفائح غدرًا وخيانة . فأتخنوه وأوقعوا به .

سيف - لقد أرادوا تغذية . فألبسوه هذه الدرع . والقوه في حمارة
القيظ يكوى بنارها ويشوى بأوارها واكلوه بالحديد حتى لا يستطيع فكها .
ووضعوه تحت عيون العبيد والخدم يؤلبون عليه الناس ويثيرون حوله
الاطفال

فهر - فليقتل إذن هذا الملعون . وليحل بينه وبين الحياة .

أتعرف أنى قد وهبتك حياتك اليوم ؟

بلال - هو وحده الوهاب

أمية - أتعرف أنك إن لم تراجع نفسك خسرت الكثير

بلال - حسبي بالاسلام ربما وبمحمد هاديا وبالقرآن نوراً مبيناً

أمية (محتدأً) - ألا تزال تهرف كعادتك وتهزو كشأنك

بلال - ماهزوت ولكنى أقول لا إله إلا الله

أمية (حاقاً) - خذوا . . خذوا هذا الكلب الأ جرب من أمامى

وألبسوه المرقع والمستقنر وشهروا به حول الكعبة حتى يدرك قدر نفسه
فيثوب إلى رشده .

وما لبث لحظات حتى نضى العبيد والخدم عنه ثيابه وألبسوه ماغير

معالمه وشوه منظره وأوثقوه فى حديد وحبال وراحوا يصخبون حوله
والأطفال تردد :

- هذا الكافر باللات . هذا الجاحد بالمزى . وكل من يسير

بالقرب منه كعب بن أمية باكياً حائراً بين صرامة أبيه وعاطفة الخنو إلى

بلال متوسلاً إليه أن يترك هذا الذى يجالده ويماند فى سبيله وبلال ينظر

إلى العيون الدامعة من أجله ويرفع فى الفضاء سبابته ويقول :

أحد أحد

إنما هو الله أحد



ترى من هذا البطل الدارع ألقى به جواده على الأرض فراح يتلوى

تحت آلامه في صمت وجلاد !! واين ابجه فرسه الجامح وخلفه هكذا
وليس هذا من سنة كراثم الجياد ؟ وأين ذهب رفاقه وخلفوه للأصفاد
والاغلال فوق نفثات اللهب . وتحت وطيس الهاجرة ؟ ولم وقف هذا
الحشد من الصبية والشبان يتضحكون عليه ويهزءون به دون أن تمتد يد
لأنهاضه وماعهدنا الشماتة بالابطال . والتضحك في يوم النزال

سيف - ضاحكا - ألا تدري من هذا ؟

فهر - لا وأبيك

سيف - هذا بلال بن حمامة ، بلبل البستان بالأمس . وهزار الشبان .
وشادي الهوى . ومزمار الجوى .. طوح به غضب مولاه إلى أنياب القيود .
وأضراس السخرية والاستهزاء

فهر - وهل كان هذا جزاء ما يجتلون بوجوده في لياليهم من مرح
وسرور !! أم ماذنبه عند هؤلاء السادة ..

سيف - لقد صبأ عن دين اللات والعزى .

فهر - صبأ ! ؟ تباله وهلاكا . ولعله لبس هذه الدرع يكافح سادته
بين صفائح غدرًا وخيانة . فأتخنوه وأوقعوا به .

سيف - لقد أرادوا تعذيبه . فألبسوه هذه الدرع . والقوه في حمارة
القيظ يكوى بنارها ويشوى بأوارها وكبليه بالحديد حتى لا يستطيع فكها .
ووضعوه تحت عيون العبيد والخدم يؤلبون عليه الناس ويشيرون حوله
الأطفال

فهر - فليقتل إذن هذا الملعون . وليحل بينه وبين الحياة .

سيف - ان مولانا لا يرى ذلك . لئلا يحتسب قتله جزءاً عن تقويمه
 وإصلاحه . ولقد أمر بقتله منذ أيام ثم رأى أنها صفقة لا يخسر فيها سواء
 وتكون في النهاية دليل العجز وحجة الفشل في تقويم عبده . فراح يفلي
 كناية العذاب وبشرها ؟ لعله يرعوى ويشوب . ويحاول الكثيرون من
 محبيه المدول به عن رأيه ، ليكون بين يديه . وينتحبون لتعذيبه . ولكنه
 لا يجيب على تلك التوسلات ، وهذه الدموع إلا بزفرات جارة بعزها
 فؤاد صابر ، وقلب قوى لا ينثنى . هادى لا يشور . وكلمات لا تزيد عن أحد .
 أحد . إنما هو الله أحد .

فهر - ياله من عبيد عنيد !! ولكن لعله موقن بما يعتقد . مؤمن
 بدينه الجديد .

سيف - أي دين هذا ؟ أترك دين الآباء والجدود إلى دين يعاف
 الحمر ويهزأ بالأزلام ، وينفض الكهانة . وبسبب الإلهة ان هذا
 لأمر عجاب !!

فهر - أترام يا أخاه يحتمل كل هذا . ثم يصبر عليه . ويتجلد له . دون
 أن يكون هناك سر دفين ؟

سيف - هكذا العبيد يا ابن عم ، صلاب العود . لا تلين قناتهم
 ولا تعجز أعوادهم .

فهر - لكن بين هذا الوجه القوي . وهذه العارضة الصابرة ، وأمر سيكون
 له شأنه ولو بعد حين .

سيف - مه - فهذا أمية بن خلف قبل جاء بتعجيل أخبار عبده !!

عساه يكون قد فاء إلى رشده . فلننتظر حتى يري ما هو صانع به بعد أن
تبر كُناتته حوله .

وقف أمية بن كعب عند رأس بلال فلما منه أن بلالا سيتوسل إليه
ويستعطفه ويطلب منه العفو والمغفرة ، ولكن العبد المؤمن قد تجاهل وجود
سيده وأشعره احتقار أساليبه . والزراية بكل ما لجأ إليه ، فغلى الدم في وجه
أمية وأطل الشرر من عينيه ولكنه استطاع في الثواني الأخيرة أن يضبط
غضبه ويحزم أعصابه ثم أقام قبالة وجهه وأخذ يمدله جبل الملاينة وبفرش له
ثوب الحرير . ويبسط على مسمعه بساط الاغراء ، ويتوسل إليه بالماضي
والمجاهد . بين لوامع الفضل . ومحاسن العشرة . رجاء جملة على كلمة يحرك بها
لسانه ولكن لسان بلال العصي أي أن يتحرك بغير كلمة التوحيد سيما بعد
أن فدت سهام الحيل وقطعت أحابيل الاغراء . وانقلب السيد الطليق
أسير كلمة من عبده . والعبد الأسير سيداً يتحكم .

وبينا أمية بن خلف على هذه الحال . ناداه صوت من خلفه فالتفت إليه
فاذا به أحد أصدقائه فأوماً إليه وقال لبيك يا أخاه

عمرو - وماذا بعد هذا الحشد من رجال وأطفال ، وبعد عرضه كل يوم
على أقالين الاغراء والعذاب دون منع أو جدوى الا الاعلام عن الفشل
الذريع والعجز الفاضح في تقويم عهد من عبيدك ؟ ثم قطب جبينه غضباً وقال
حسبك يا هذا شهيراً وعلاماً ومر بعبدك إلى الموت أو الحبس لا يرى أحداً
ولا يراه أحد . حتى تهدأ منه الثائرة ويحجب الحجاب الحديث عن محمد

ودينه . وإلا فهو إعلام جديد لهذا الدين الجديد
أمية - وكيف ينتفع سيد بعبده إذا أسلمه محبسه ؟ وفي مقابل ماذا
يطعمه ويسقيه .

عمرو - خل بينه وبين الطعام
أمية - إذن يموت جوعاً
عمرو - وماذا يضريك من موته .
أمية - ولكن عاراً أن يموت في دارنا بالجوع عبد
عمرو - إذن فاقتله لو قتله
أمية - فقد ثمنه

عمرو - وهل يقوم في ذهنك أن أحداً يتناع مثل هذا العبد الصابي
بعد كل هذا الاعلام والتشهير ؟ ! يالك من سليم القلب !!

وخرج أبو بكر قبيل الظهيرة لشأن من شؤنه فآلفى خمسة من الشبان
يتعاونون في رفع صخرة كبيرة أمامهم . والشمس تلفح الأجسام وتشوى
الوجوه ، والعرق يتفصد من جباههم وأذرعهم ، وأيديهم لا تكاد تلمس
الصخرة حتى تسمع منهم فحيحاً أليماً . كأنها قطعة من وقود الجحيم . فعجب
أبو بكر لنقل كل هذا الجملود في مثل هذه الساعة القاتمة . وما كاد يسير
خلفهم طويلاً وينعرج وراءهم خطوات حتى استقبلته ضوضاء غلماط
وضحكات شيوخ وشتائم كهول وشبان ، قد وقفوا حول دائرة من الأرض

يمعنون فيها النظر ويلقون اليها بعر الابل وقطع الحجارة والعظام ويقذفونها
بألفاظ تنبوعن سماعها الآذان وما أن رأوا أعظم الصخرة الوافدة إليهم حتى
صاحوا جميعاً رافعين أيديهم في الفضاء إعلانا للفرح.. ثم سمع أحدهم يقول :
هذا رسول الموت . . . كل يوم واحدة أعظم من أختها

ثم لمحوا أبا بكر قد جاء يتهاذى خلف الصخرة فاذا بهم يغمضون ثم
يغمضون جفونهم ثم ينظر بعضهم إلى بعض ويتغامزون ويتلاحظون. فشعر
الأطفال بحركة التغامز فنظروا خلفهم ثم إلى من بجوارهم ثم إلى فريستهم...
. وما نظر أبو بكر إلى ذلك كله حتى أدرك أن لهذا سبباً. وأن في هذا
مراً. وأن هذا السر يتعلق بالاسلام ومعتقيه. فبدل تهاديه سرعة.
وتباطئه وثبة. حتى أشرف على هذه الحفرة، فاذا بها بلال بن رباح الحبشي
عبد أمية بن خلف الجمحي وقد تعاون الكل على وضع هذه الصخرة العظيمة
على صدره في مثل هذه الساعة الهاجرة، وأن ما كان يسمعه كل يوم من
ضروب القسوة والتعذيب قد طابق مكانه من الحقيقة وشاهده بعينه. . .
ثم سمع أمية يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتبعد
اللات والعزى.

فرد عليه بلال قائلاً :

أحد أحد أحد إنما هو الله أحد

فدارت الأرض تحت قدم أبي بكر لهذه الفظاعة القاسية وثار في
عوامل الانتقام من هؤلاء القساء. وعوامل الاشفاق والرحمة على بلال
المسكين، ولكنه لا يدري ماذا يصنع وحده بين هذه الجحافل الحمقاء إلا أن

يشترى كما اشترى غيره وأن يستبقه أو يعتقه الله . فقال لأمية

ألا تتق الله في هذا المسكين ؟؟

أمية - حسبك يا بن أبي قحافة فقد أفسدته علينا وأبعدته عن ديننا
أبو بكر - والله ما أفسدته ولكن أصلحه رسول الله وإلا فكيف يبعد

المرء آلهة لأعداد لما وهي على تعددها لا تضر ولا تنفع

أمية - حسبك ما سحرك به صاحبك أن تدخره لنفسك

أبو بكر - لدى غلام يأمية على دينك أسود وأجلد من هذا . أعطيك به

أمية - قبلت مقايضتك .

فجمع بلال كل قوته ثم جذب نفسه من تحت الصخرة ثم أغمض

جفنيه ليستجم قليلا ثم نهض واقفا على ركبته وأمسك بيد أبي بكر وأراد أن

يتكلم فخافته قواه فأسند جبهته على ذراعه ولما نزل يده في يد أبي بكر ، ثم

مسح عرق جبينه . ورفع وجهه صوب وجه أبي بكر وأنفاسه ما تزال

مبهورة . . ثم قال :

ان كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني . وإن كنت إنما اشتريتني

لله فدعني وعمل الله .

الفقر الاول

سطر من كتاب الأقدار التي خلقت
من إسلام حمزة وعمر فجراً للإسلام ،
وسط ليل حالك من الوثنية ترمى المسلمين
بألوان من الاضطهاد والمذاب جنام

« والله لأؤذينه على ملاء ، أتوهم »
 « أن قد خذل محمدا بنوعبد مناف »
 « أم قد فارقتنا الحياة »

حمزة بن عبد المطالب

« حمزة . أسد الله وسيفه البتار »

حديث شريف

طلع مع الصبح يستقبل صيده هادئا كالملك ، مستقيما كالرمح . متوشحا بقوسه . متمنطقا بسهامه . تستقبله الأسارير ببسطة البشر . وتودعه العيون بأشعة المحبة . وهو بين هذا وذاك مغتبط في اتزان . طروب في أناة وسكون راعه منظر الشمس تشرف على مكة من بين هامات الجبال كأنها ملكة في ليلة الزفاف . تطل على رعيتهما من شرفات قصر منيف . فخروا لها ركبا واجمين . ثم أخذت تنثر من نسيجها على الكون ماحول فضته ذهبيا وبرده حرارة ودفئا . وكدرته صفاء وسنا .

راعه كل ذلك فوقف دونها متأملا مشدوها . شاردا مذهولا . لم يقطع عليه أحلام الحقيقة إلا شرود ظلي عن كشب . فصرب اليه قوسه . وسدد بحوه سهمه . وأطلقها رمية موقفة أصابت منه مقتلا فولى اليه وأجهز عليه . ولم يكن توفيقه في قنيصته بمنسيه لذة تأملاته في وجه الشمس فجلس بجوار ضحيته . وسرح عينه في جبينها الوضاء من جديد مستسلما لوحى الطبيعة . مستهدفا لو خزاها هو اجس

وأثارها ، غير أن أربنا وحشياً أوفدته منيته إلى مصره . فرأى أمامه يهتز
كلاً رجوحة ، فقطع عليه جبل تفكيره مرة أخرى فأحني له القوس وراشه
بسهم فاحتمله وفربه ، حتى إذا أنهكه الزيف انقلب على ظهره وراح
ينطوى وينفرج بسرعة ثم تراخت أعضاؤه ليلفظ آخر أنفاسه . ثم توالى
الظباء وتتابع الأرناب ، حتى روى قلته من الصيد والقتل ، ثم عاد
بغرارته إلى مكة بين الفرح والفخر ، يفشى السلام تواضعا وينفض الطرف
حياء ، حتى إذا وافى الكعبة ألقى بصيده فى ناحية ، وأخذ يطوف بها قبل
الذهاب إلى داره ، فلمحه سرب من فتيات مكة يحملن جرار الماء وقد
تمنطقن بمناطق الشام فكن كالفضون قدا وتأودا ، والشهب صفاء . والسحابة
ماء . والفجر بسمه وضياء . فقالت إحداهن للأخرى معجبة به : من عساه
يكون هذا الشاب القوى والرمح السمهورى ؟

هند بنت فهر - هذا فتى الفتيان وسيد الشجعان فى بنى عبد مناف

عبله - لعله حمزة بن عبد المطلب

هند - هو بعينه يا أختاه

عبله - أقادم من حرب . ليت شعرى وأين موقعها من فحول قریش ؟

هند - نعم كان فى حرب ولكن مع الظباء والأرناب وهذه فرائس

ساجدة بين يديه .

عاتكه - ليتها كانت أساداً ضواری أو فهوداً شرسة ، أو فيلة جبارة

حتى يكون المنتصر فخر الغلبة وقصب السبق . ولكنها الحوانات الوديمة

التي لا يجد الإنسان مسرحة لتسلية سواها

هند - هذه هي الخقائق المرة فالويل للضعيف عالم يتقو . أو تدرى
عناية الالهة .

عبلة - هيا قبل أن تدرى كئنا زهومة الزوال .
انتهى حمزة من طوافه واحتمل صيده فسمع صوتا يناديه : يا أبا عماره
حمزه - لبيك يا أختاه

فاخته - لو رأيت مالتى ابن أخيك محمد آفا من الحكم بن هشام
لتحركت له رحمتك

حمزه - وأين التقى به
فاخته - ألفاه هنا عند الصفا فهجم عليه وأخذ يعنفه ويؤذيه بألفاظ
تعاظمها الآذان وتمجها المشاعر السليمة

حمزة - وماذا كان جواب ابن أخى ، على هذا السفه الدفر ؟
فاخته - وحقك لم ينبس بينت شفة ، بل نجا بأذنه من سماع الباقي
من سفاهاته .

حمزه - (غاضبا) تباً لهذا الكلب المسعور والله لأؤذينه على ملا .
أتوهم أن قد خذل محمداً بنو عبد مناف أم قد فارقتنا الحياة ؟ .
ودخل حمزة بن عبد المطلب إلى المسجد فحتم الدم مشجماً الجبهة
دون أن يقرئ أحداً السلام كعادته فشخص الكل اليه فى رجة وزغب .
ثم شق صفوف الجالسين فتنحوا له حتى وقف بين كنفى أبى جهل ورفع
كؤسه وهوى به على رأسه . فتطايرت قطرات الدم هنا وهناك حتى ظن
الحاضرون أن قد شطرت رأسه . وهو يقول :

أنتهم ابن أخى بكل هذه الوضاعة ؟! لئن كان ذلك لما جاء به فأنا على دينه . ورد على إن استطعت .

فنظر الحكم إلى حمزة بعين ملؤها الفيظ المكبوت دون أن يتكلم
عميرة المخزومي - ماهذه الوحشية يا أبا عماره ؟ !
حمزه - هذا دون ما يستحق الحكم بن هشام
فهد المخزومي - ولكن هذه لعنة لبني مخزوم . ومتى ضرب فينا سيده
ونحن شهود ؟ ؟

، حمزه - لو علمتم جرم سيدكم لما أسرقم في الكلام
أصوات - هذا كثير !! والله لا نرضى به ابداً .

ثم حدث في المسجد هرج وتشاد
فهض أبو جهل واقفاً ليحول دون وقوع شيء . وإحدى يديه على
رأسه يمنع بها نرف الدماء ثم قال : دعوا أبا عماره فإني والله قد سببت ابن
أخيه سبا قبيحاً .

حمزه - والله يا بني مخزوم إن النفس الآية لترفض رؤية الضعف أمام
الطغيان ، والوحدة الوديمة أمام الكثرة المستبدة . ولا يسعني إزاء مايقع
لا ابن أخى إلا أن أومن بما جاء به . وانضوى جندياً تحت لوائه ولتحشد بنو
مخزوم قوتها في طريق محمد : وسنعلم من يكون الغد في ركابه . . . ثم
انصرف غاضباً . . .

ثم ساد المجلس صمت قاتم لم يقطعه إلا فحيح أنفاس زافرة وصدى
أصوات قبول : خست وخسى ابن أخيك .. ثم ساد الصمت مرة أخرى .

عميرة يهمس في اذن عكرمة بن ابى جهل ويقول له
لقد قدنا بفضل ابيك سيفاً كان لنا بالأُمس بتاراً !!
عكرمة يطأطأ رأسه ويزفر زفرة حارة ثم يميل على عميرة ويقول :
يظهر أن خلف هذا الرجل مقدوراً لا بد من وقوعه فانا إذا تركناه تزايد
خطره ، وإذا جاهدناه رقت القلوب الكبيرة له ، فأضافت إلى صفوفه قوات
جديدة ، ولا ندرى وحقك ماذا نفعل به غدا .

* * *

سرى بمكة نبأ إسلام حمزة سريان الكهرباء ، فصبغت قلوب لوقمه ،
ورقصت أخرى للحنه ، واشتدت سواعد المسلمين ، ودخل الناس في دين
الله أفواجا .
واسـ تشاط غضب قريش لهذا الحادث المفاجيء ولم يكونوا على
استعداد لسماعه في مثل هذا الظرف .

« اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين »

حديث شريف

وأخذ زيد بن حارثة نوبته في حراسة الباب وملاحظة ماعساه يحدث خلفه من خلال الثقوب ومراقبة الداخلين إلى دار « الأرقم بن أبي الأرقم » حيث كان يجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه للبحث في أنجع وسائل الدعوة الإسلامية وانتشارها .

وبينما يقوم بدوره . كان لا يني عن التحدث مع بلال الحبشي بين الفينة والأخرى مادام الجو هادئاً والأُمُور تسير في مجراها الطبيعي ثم نظر مرة من ثقب الباب ولكنه لم يعد كهادته بل أطلال النظر وأمعن ، فرأى بلال منه ذلك ثم تحركت فيه غريزة التطلع إلى المجهولات فقال له . ما وراءك ؟

زيد - انظر أليس هذا الرجل الطويل القامة العريض المنكب هو عمر ابن الخطاب متشحاً بسيفه معتزلاً بقوته يتحدث مع نعيم بن عبد الله في حدة وغضب ؟ . إنه هو بلا شك وليت شمرى ما الذي أتى به صوب دارنا في مثل هذه الساعة ؟

بلال - لعله نافر إلى ناذيه عند دور آل عمر بن عبد الله بن عمران أو يعم شطر ذلك اليهودي الحمار يشرب منه حتى يعل (١) كهادته .

زيد - إنه غاضب الوجه نائر النفس يهوى يديه ، ويصك الأرض

(١) يعل : يشبع

بقدميه ، وكأني به يعتزم أمراً إذا . تسمع إليه قليلا وانصت لبقية حديثه
مع نعيم وحديث نعيم معه .
... وأين تريد .

عمر - أريد محمداً ذلك الذي فرق قريشا وعاب دينها وسب آلهتها
ومزق روابطها فهجر الولد أباه ، وقاتل الأخ أخاه وعصت المرأة أهلها
وظلقت الزوجة زوجها ، وصبا العبد عن دين سيده وتمرد عليه . مما اضطر
قريشا إلى البطش به وحمل هؤلاء الساكنين على الهجرة ومفارقة الأهل
والوطن !! إن قلبي ليتمزق حين أرى هؤلاء الساكنين قد خرجوا إلى
الصحراء هائمين على وجوههم إلى عالم من المستقبل المجهول .. أنظر : هذه
أم عبد الله جثمة وزوجها عامر بن ربيعة - وهما من تعرف بنا صلة
ورحما - قد شذا رجلاهما إلى الحبشة على ناقه عجفاء يرودهما الموت ويرادانه
وولدهما الصغير يسكى على كتف أمه وينتحب وهو بعد لما يزال الظل
الظليل والخير الوارف . فرجل هذا شأنه في إحداث كل هذه الأحداث
لا يد أن أقتله لأريح قريشا منه وأنيم الفتنة بعد الإيقاظ .

نعيم - والله لقد غشتك نفسك من نفسك يا عمر أتري بني عبد مناف
تاركيك عشي على وجه الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل
بيتك وتقيم أمورهم .

عمر - يقي ؟؟ ماذا تقول ؟؟ بيت بن الخطاب قد أعوج عوده ..
التوى أمره . أم ماذا ؟ تكلم .. وأى أهل تزعم

نعم - ختنك (١) وابن عمك سعيد بن زيد واخيتك فاطمة :

عمر - ما خطبهما وحنك ؟ لا تزدد في عذابي . . تكلم .

نعم - قد أسلمنا والله

عمر - صانحا - ياللعار أسلما ؟؟ يالذل الأبد وشقاء الذكرى .

ثم ترك نعيما وآب إلى بيت أخته غاضبا مسرعا بينما سقط زيد وبلال خلف الباب من شدة التهافت والاعياء لما شاهدا وسما وتخيلا أنه سيحدث ثم سمع بلال يقول في صوت خافت يشبه صوت المختصر : لقد أنجاب عنا والحمد لله كابوس الشير .

وقطعت فاطمة قراءتها فزعة وقالت لا ستأذيها

صه ، فاني أسمع وقع أقدام ابن الخطاب .

فصمت (خباب) هنيئة . ثم قال هامسا لا شيء . . . أكاد لأسمع شيئا .

فاطمة (في خفوت) : إنه خلف الباب ولعله كان يستمع إلينا ، فالي

مخذعنا فاختيء من جبروته

وما انقطع صوت المرتلين للقرآن حتى أقن عمر أنهم أحسوا بوجوده ،

فاقتجهم الباب فليهما غاضبا فأخفت الصحيفة بسرعة تحت فخذيها ثم قال لها

ما هذه الهيمنة ؟؟

فاطمة - ماذا ؟؟ لا شيء . .

فتغضبت عضلات وجهه ، وبرز أسفل فكيه ، وطلوى راحته اليمنى في

شدة وأشاح بها في وجهها مهددا وقال :

(١) العتق : زوج الاخت

لا . قد أخبرت أنكما أتبعنا محمداً . . . وقذف سعيداً بقبضة يده في وجهه ، فنهضت فاطمة ووقفت بين أخيها وزوجها لتكفنه عن إيدائه . فضربها الأخرى بقبضة يده في جبهتها فشجها وسال الدم منها ، فأهاج ذلك شجاعته فقال له :

نعم أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما شئت .
ثم راحت تنشج وتبكي والدم ينزف فيغطي وجهها ويغشي ثيابها .
وما ان سمع عمر بكاء اخته ورأى وجهها وراء نقاب من الدم - حتى ذابت قسوته ، وانماعت غلظته ، ورق لها ، وحنا عليها . ثم دنا منها وربت على ظهرها يستغفرها ويمسح الدم عن جبهتها ووجهها ويستسمحها . ثم رأى ان يتلمس منها ما يتقرب به اليها . وكان قد ادرك حين قامت تذب عن زوجها امر صحيفتها ، فقال لها :

اعطني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون فيها . حتى انظر إلى ما جاء به محمد فاطمة (في صوت محزون) : إنا نخشاك عليها .

عمر - وحق اللات والعزى لأعيدنها بعد قراءتها سالمة
فاطمة - إنك نجس .. وهذا قرآن كريم لا يمسه إلا المطهرون ، فاف
شئتها فقم إلى خلوتك واغتسل حتى أسلمها إليك .

فقام عمر إلى ماء فاغتسل ثم أسلمت اخته إليه الصحيفة فتداوها واخذ
يقرأ أول سورة : « طه . ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن
يخشى . تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلا ... الخ » راح يقرأ فيها
ويعيد مستملحا مستغذبا ، متأثرا مشدوها ، ثم قال

ما احسن هذا الكلام واكرمه

وما سمع «خباب» كلامه هذا حتى اطل براسه من خلف باب المخدع وقال
يا عمر ، إني والله لأرجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني

سمعته يقول :

« اللهم ايد الاسلام بعمر بن الخطاب او بعمر بن هشام »

فالله الله يا عمر .

عمر - ويحك !! إنه صوت خباب ، إلى ياهذا وكن آمنا وتعال فدلني
على محمد أين يكون حتى آتيه فأسلم .

* * *

يا للفرع الأ كبر .. هذا عمر يا بلال .. قد يعم دارنا مرة أخرى
كأنه موكل بازعاجنا طيلة هذا اليوم ، ولكنه في هذه المرة هادى النفس ،
ساجى الجوارح ، يسير الهويناء ويتكلم فى أناة ويشير فى تؤدة .. نعم هو
متشح بالسيف . ولكنه بصحبة خباب بن الارت يتجاذبان فى أخوة ،
ويتحدثان فى صفاء .. وعلى كل حال فانه يجب أن نخطر بأمره رسول الله .
فذهب بلال وأخطر رسول الله ومن معه بشأنه . . فصمت رسول
الله وأطرق ، وفرت الصحابة إلى سيوفهم يحملونها استعداداً لما عساه
يحدث ثم صاح حمزة :

- أن ائذنوا له .. فان كان قد جاء يريد خيراً بذلناه له . وإن أراد شراً

قتلناه بسيفه .

ثم أذن له فدخل ، ونهض رسول الله واستقبله فى منتصف الطريق

م (٦) صور اسلامية

وأخذ بمجامع ردائه ثم جذبه جذبة أشعرتة قوته ، ثم قال له :

- ماجاء بك ؟؟ ما أراك تنتهى حتى يرسل الله عليك قارعة !!

فاهتز جسم عمر رهية، وأطرق رأسه استحياء . . . وتراخت أطرافه

ثم قال :

- جئت يا رسول الله لأومن بالله ورسوله

رسول الله - صائحا - الله أكبر . . . الله أكبر . . .

* * *

يامعشر قريش . . . الا إن ابن الخطاب قد صبأ . . .

صيحة ذوت فردتها أجواز الفضاء فى مكة وتناقلتها الألسن فى كل

مكان . واستقبلتها الأذهان بالدهشة والفرع . وتكتب الناس لها فى كل

ندوة زرافات ومثنى يتساءلون ويستقصون . . .

ومر عمر ببعض النوادى فاسترعى انتباهه صوت من خلفه يقول :

هذا هو الصابىء .

عمر - كذبت . . . بل إن الله قد هدانى فأسلمت .

فاجتمع الناس حوله يناوشونه ويناشهم . ويشادونه ويشاددهم .

ويماركونه ويماركونهم . حتى أصيب الجميع بالنصب والاعياء فدعوه إلى الجلوس

فجلس بينهم فى مكان المحور من الدائرة ، فأخذ البعض يهمس فى أذن

البعض الآخر والدهاء حولهم فى صمت . كأن على رؤوسهم الطير ينتظرون

ما يقضى به الموقف على عمر . ثم ابتدره أمية بن خلف قائلا :

- أسحرك محمد يا بن الخطاب ؟ أم استهوتك أختك وخدعتك ختنك

عمر - لا.. والله ليس بساحر ولم يستهون، ولم يخدعنى أحد. ولكن الله هدى
أبى بن خلف - وكيف يستطيع إهابك (١) أن يجمع بين ماضيك .
بالأمس تعذب المسلمات بسوطك وجبروتك . ثم منعك لهم وزيادك
عنهم غدا ؟!

عمر - لقد مسح رسول الله على صدرى ودعا لى بالخير والثبات. وعفى عني
أبو سفيان - ولكن محمدا يعاف الخمر ويحمل عليها . ومثلك من
يكرع منها حتى يعل . فماذا يكون مصيرك . يوم تطوف أطياها برأسك ؟
عمر - مطرقا - فلترق دنائها . ولتحطم قواريرها . ولنذهب إلى
هاوية الجحيم . فانها ليست فى الواقع إلا شر المفاسد والسفه .
وبينما هم كذلك فى نقاش مستمر . ونجد مستمر . وإذا بالعاص بن
وائل يفد عليهم فى مجلسهم تحت زوبعة من الجلبة والضوضاء . فساء لهم
- ما خطبكم ؟

الاسود بن ينفوت - لقد صبا اليوم عمر
العاص - مه . . هذا رجل قد اختار لنفسه أمرا . فماذا تريدون
منه ؟ ؟ ؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ ؟ خلوا سبيل
الرجل ودعوه لشأنه . فإن لهذا الأمر ما بعده .

وفتح أبو جهل باب منزله على أثر قرع عنيف ليعرف من الطارق .
فألقاه عمر بن الخطاب فحياه أحسن تحية ورحب به أجل ترحيب ثم قال له

(١) الاهاب : الجلد.

مرحبا يا ابن أخى .. ما جاء بك ؟

عمر - جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله وصدقت ما جاء به
ولم يكد عمر يتم كلامه حتى انصفق الباب عاليا خلف أبى جهل .
فدوى صوته رهيبا فى الدار وما حولها . ولفت ذلك أنظار المارة فوقفوا
يشهدون ما يمكن أن يأتیه الجبار عمر . . .

وقف عمر أمام الباب الذى وصد فى وجهه وفكر مغضبا . وطال
التفكير ثم ذكر أن الذى فعل ذلك أبو جهل عدو من أعداء الدعوة
الاسلامية . وأن فى غضبه وتواريه رضاء من الله . وعجزا وهزيمة له .
وأن فى إغلاق هذا الباب . إغلاقا لباب النى والشرك . . ثم نظر عمر
إلى السماء . فاذا هى مضحية ضاحكة ساجية . وكأنها مرآة السكينة والسعادة
قد انعكست أشعتها على صدره . فتنفس الصعداء مرتاحا . وابتسم منشرحا
وعاد إلى رسول الله . وفى قلبه من حلاوة الايمان وبشاشة اليقين . مالا
يحملة إلا قلب عمر

حَسْبِيَ الْقُرْآنُ

الدور الهام الذي قام به اعجاز القرآن

بين العرب في سبيل الدعوة الاسلامية

« ومن آياته الليل والنهار والشمس »

« والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا »

« للقمر . واسجدوا لله الذى خلقهن »

« إن كنتم إياه تعبدون »

قرآن كريم

توارت الشمس بالحجاب . وخلفت وراءها عالما فاغر الفم حزينا .
لا تدرى أمن وحشة الليل أو جفوة الفراق . لولا أن ذيوها الحمراء وقفت
في أثرها تلوح للكون براية الوداع . فتخفف من وقع البعد وتعزى بأوبة
ولقاء ... ولف المساء جثمان مكة بثوب من الظلام . وبدأت رحمة الطبيعة
ترسل اشفاقها على الكون من عيون النجوم لامعة براقة فتتكشف أفنية
مكة وابنيها تحت حراسة الجبال قائمة في صف كالمردة ، يهتدى على
بصيصها السادرون الى بيوتهم ، والقاصدون الى دار الندوة تلبية لدعوة
أبى جهل بن هشام . للنظر فيما استحالت اليه دعوة رسول الله من القوة
والاعتاش ثمرة إسلام حمزة بن عبد المطلب أحد كبار الصناديد من بنى
عبد مناف .

ومتلأت دار الندوة بالسادة والاشراف من قريش وغيرها وكانوا
لفرط أحزانهم كأن كل شخص منهم في دائرة على انفراد غارقا في محيط
من التفكير العميق يتوارد على ذهنه شتيت من الصور وتلاحق أمام عيننا

شواخص المستقبل وأبطاله في وضع مخيف ، كما أزعجه فصل من روايته
فزع ورجع فجأة الى الوراء ... ثم يطعمه تمهيد لفصل آخر قد تكون آثار
الهزيمة غير بارزة فيه فيعود إلى طبيعته حتى . اذا سمع تكبير النصر وعويل
الهزيمة وولولة الفارين ورأى غبار الفوز . عاد فجأة الى الوراء فزعا مبهوتا .
حتى خيل للخدم والعبيد أن سادتهم قد أسلموا جفونهم لراحة الكرى
تعبت بهيا كلهم وتداعب عما همهم . أو ان نشوة الخمر تلعب برؤوسهم فتارة في
صحو وأخرى في غيوبة واسترخاء . فينظر بعضهم الى بعض ، ويتبادلون
ابتسامات العجب والدهشة والحذر . . وكأن ذلك السراج التهافت المترنح
في زاوية المكان يمثل في هذه الحالة . معنوية هؤلاء . وما هم عليه من حيرة
وضعف واستسلام .

ثم دخل عليهم عتبة بن ربيعة فجأة وصاح بهم . فاستفاقوا في هزة واحدة
ثم شخصوا إليه . وهم سكوت كأنهم صورة لبعض التلاميذ أمام أستاذهم
في مدرسة لمحاربة الأمية ثم قال :

محمد في المسجد يا معشر قريش . فان شئتم عرضت عليه أمورا ، فاذا
قبل بعضها أعطيناه أيها شاء حتى يمكن أن يكف عنا ويرعوى عن سب
آلهتنا . وتسفيه أحلامنا . .

أبو جهل - أتحدثه هكذا ممن عند نفسك يا بن ربيعة دون أن تتفق
على رأى معين

عتبة - ومتى تتفقون وقد شدت جفونكم بأسباب الفضاء ، ونامت ألسنتكم
وأفواهكم كأنكم في إغناء ؟ ؟

أبو سفيان - إن وقع المصاب أذهل الصحاب

عتبة - أى مصاب ؟

أبو سفيان : أى مصاب ؟ اسلام حمزة بن عبد المطلب فارسها المغوار

ومسددها الكرار .

عتبة - الاعتدال فى كل شىء حكمة وأبو الحكم قد تناول على محمد حتى

زايل المعروف وزاد على المألوف وإن للدم فى النهاية حيننا وتجاذبا وللانسانية

بعد القرابة بقية نصفة .

عبد الله بن أمية - دعونا الآن من هذا الشرح وانظروا فى خطبكم

نبيه بن الحجاج - أرى ان وجود محمد فى المسجد بالقرب منا فرصة

ننادى بانتهازها . وما عساه يكون موضع اجماعنا معروف . فأى مطعم لرجل

يحمل على قومه كل هذه الحملة اكثر من أن يكون له فيهم امرة ، أو يدخر

دونهم ثروة ؟؟ ألا يكون ممن يتخبطهم الشيطان من المس . فاعرض عليه

شيئا من هذا فانا لا ندرى أ يكون بيننا غدا أو يكون مشغولا بمخاطبة

السما !!

ضحك ومرح فى المجلس

العاص بن وائل - ستضحكون كثيراً وتهكون اكثر

السمهان بن خلف - اذهب اليه وفاوضه عنا فى ذلك ونحن فى انتظار

النتيجة •

أصوات - نرجو لك التوفيق يا أبا الوليد

دخل عتبة بن ربيعة المسجد على رسول الله فالفاه يصلى فانتظر حتى

أتم صلاته ثم ناشده

- السلام عليك يا محمد

رسول الله - وعلى المؤمنين السلام

ثم قال له !

يا بن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها
رسول الله - قل يا أبا الوليد

عتبة - يا بن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا . جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر منا مالا . وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا (١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فماذا ترى في ذلك؟؟
رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وشخص إلى عتبة بن ربيعة وقال له

أفرغت يا أبا الوليد ؟

عتبة - نعم يا بن أخي

رسول الله - استمع مني إذن ما أقول

فرجع عتبة بظهره إلى الورااء واعتمد على ساعديه من خلف وصعد

(١) يقصد به جنبا بلاحقه

بصره صوب رسول الله (ورفع حاجبيه وجعد جبهته وحدد ذهنه في شغف إلى ما يسمع من رسول الله جواباً له) وقلبه معلق بين جناحي الخوف من الرفض والامعان في الدعوة وبين الرجاء في أن يلين جانبه ويوطئ كنفه فيكون له الفضل في أن تضع هذه الحرب أوزارها ، ويكون مؤذن السلام بين محمد وقريش قال

إيه (١) يابن أخى

رسول الله — بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة . وهم بالآخرة هم كافرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون . قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم : فان أعرضوا فان أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم

(١) زدني من حديثك

ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به
كافرون إلخ .

سمع هذا عتبة بن ربيعة وكان أول ما سمع متكئا على ذراعيه من خلف
وكما أحس بأثر القرآن في نفسه ووقعه على فؤاده اعتدل رويدا رويدا حتى
رسم ظهره نصف دائرة وظل مطأطئا رأسه يستمع للقرآن يبشر وينذر
ويعنف ويحذر حتى انتهى رسول الله في قراءته إلى قوله تعالى (ومن آياته
الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) .

فسجد رسول الله ثم سلم عن يمين وشمال فرفع عتبة وجهه شاحبا
مكفها ورد على الرسول السلام ثم قال له النبي
هل سمعت يا أبا الوليد

عتبة — لم تسمع أذني ولكن سمعت كل فلذة في جسدي ثم ستأذن
وانصرف .

« * »

دخل عتبة بن ربيعة على قريش وهي ما تزال مجتمعة قلقة راجية
مطمئنة مزعجة . شأن من ينتظر الفصل دائما في أمر خطير فألفته يحمل
وجها غير الوجه الذي ذهب به . ثم جلس مطوقا تحت عبء من الهموم
ثقيل . ولعله كان حائرا بين عاطفتين تتنازعانه . الأولى عاطفة المحافظة على
علاقته بقومه وزعامته فيهم . والثانية عاطفة الرضا عما سمع من محمد رسول الله .

ولكن أبا جهل قد سئم الانتظار ومل الصمت فصاح بعتبة أن
- تحدث .. فماذا دهاك وما خطبك ؟ بل ما وراءك يا أبا الوليد فاعتدل
عتبة في جلسته ثم شخص إلى وجه أبي جهل وأراد أن ينحنى عائداً إلى
اطرافه فصاح به أحدهم

- ما خطبك يا أبا الوليد تحدث ؟

عتبة - أتريدون أن أتحدث

أصوات - على أحر من الجمر

عتبة - لقد سمعت والله قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا

بالسحر ولا بالكهانة .

امتعاض وجلبة في المجلس .

عتبة يواصل كلامه قائلاً :

- يامعشر قريش . أطيعوني وأجملوها بي . وخلوا بين هذا الرجل

وبين ما هو فيه . واعتزلوه . فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ

وخطورة . فان نصبه بقية العرب فقد كفيتموه بغيركم . وإن يظهر على العرب

فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به

صوت - حسبنا . . حسبنا . فنحن في غنى عن رشذك ونصيحتك

فأطرقت رأس أبي جهل وأخذ يحدث نفسه وهو يقلب كفا على كف

فسمع قائلاً يقول :

- والله لقد سحره محمد بدوره .

عنه - هذا وأبيك رأي في محمد إن كان لرأي محل بينكم

زمنة بن الاسود - مختدا - كفى يارجل أليس فينا رجل رشيد ؟

عتبة - اصنعوا به ما شئتم فأنتم طلقاء

النضر بن الحارث - اشهدوا أن هذا الرجل ساحر

زمنة - لا . . لا بل هو كاهن .

نبيه بن الحجاج - أقسم انه ليس إلا شاعرا

عبد الله بن أبي أمية - لا . . بل إنما يعلمه بشر من اليمامة

أبو سفيان - ليس هذا مربط الفرس . بل صفوه بما شئتم وإنما كيف

نجاهذه وندفع عنا شره قبل أن يسقط في أيدينا

نبيه - من الخطأ يا أبا سفيان أن تصف الدواء قبل معرفة الداء وإلا

كان عملنا خبط عشواء

أمية بن خلف - لو أننا صنعنا ذلك أول الأمر لما رجع عتبة بصفقة

الغبوب .

عتبة - هاتوا ما عندكم من جديد واعرضوه عليه مرة أخرى

الأسود بن عبد الطلب - على ألا يذهب إليه واحد بمفرده حتى يتعذر

انتصار محمد على الجماعة

عتبة - ليس الأمر أمر مفرد وجماعة وإنما الأمر كل الأمر هو ما يلقي

عليه من أسئلة

أبو جهل - لا أريدها أسئلة يمكنه الرد عليها ، بل أريدها إعجازا

وإحراجا يفيض عن طوق الثقلين

عتبة - وإذا أجاب رغم هذا على ما تطلبون ؟

أبو جهل - لن يستطيع ذلك أبداً وسترى
عتبة - ولو فرض المستحيل وتم . فكيف يكون المال ؟
أبو جهل - يكون هذا محل بحث آخر

عتبة - ابحثوا إذن مطالبكم وافلوها
أبو سفيان - يجب أن تؤلف جمهرة من عتبة بن شيبه ونبيه بن حجاج
ومنيه أخيه والحكم بن هشام والعاص بن وائل لوضع هذه المطالب حتى إذا
أعدت عرضت على القوم في ندوة أخرى

أصوات - مرحى . مرحى .
أبو سفيان - عمو مساء فقد كاد الليل أن ينتصف

« ما بي مما تقولون شيئاً وما جئت »
 « بما جئتم به اطلب أموالكم ولا »
 « الشرف فيكم ولا الملك عليكم . »
 « ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل »
 « على كتابا وأمرني أن أكون لكم »
 « بشيرا ونذيرا » حديث

الطريق وعمر ، ينخفض أحيانا في تواضع . ويرتفع أخرى في عزّة
 وأنفة ، وعلى حافتيه وقفت ولائد الصخر قائمة على الطريق . شاهدة على
 أمنه من التيه . . وأشرف قریش وسادتها في طريقهم الى الكعبة . وكانهم
 في عمامتهم وثيابهم البيض تحت ضوء القمر ، حرجة (١) لفها الطقس بلغائف
 الثلج . وفي صعودهم وهبوطهم . موكب من الزوارق بين يدي الامواج ،
 وفي همسهم في آذان بعضهم البعض . سمف النخل (٢) لعبت بها أيدي
 الرياح فمال بعضها على بعض في حفيف وتماطف . والناس على طول الطريق
 تمايل وتتساءل عن سر هذا الموكب الساري من أشرفهم صوب الكعبة .
 تعلو وجوههم علامات الجدة . وتزيد في صمتهم رهبة الليل . فكأنهم أشباح
 متحركة أو أطيف حية لا يدري الحالم ماذا ترمز اليه . ولا ما تحمل من

(١) مجموعة أشجار (٢) الجريد

أسرار . وهناك على مرمى البصر من الكعبة . يشاهد الرائي رجلاً طويلاً القامة عريض المنكبين ضخم الرأس تدلت على منكبيه غدائره (١) وقد قبضت يده اليمنى على يده اليسرى خلف ظهره وأخذ من مكانه مرتاداً يمشى فيه ذهبة وجيئة يطلق يمناه أحياناً ليشير بها هنا وهناك ، ثم يدينها من صدغه ويقف هنيهة متأملاً منزعجاً كأنه يخاطب شخصاً آخر مغيظاً منه حاتقاً عليه . ثم يعود ثانية لاعتقال يده اليسرى خلف ظهره . ويواصل ارتياده ثم يعود ثالثة . فيقف على صخرة عالية . ويضع راحته فوق عينيه ليحجب أشعة القمر عنها ويرصد الطريق الذاهب الى داخل مكة قلقاً على تأخر القادمين . حتى اذا شاهد غباراً تسير تحته دوائر العمام البيضاء صاح قائلاً

— يا لقريش

أصوات — جادك الغيث يا أبا الحكم

أبو جهل — أزعجتني والله غيبتكم

نبيه بن الحجاج — لا أزعجت على حبيب يا أبا عكرمة

استقر المكان بالمؤتمرين . وعاد اليهم بعض الراحة في في (٢) الكعبة وبدأت أثقال المهمة التي اجتمعوا لها تبرز الى عالم الحقيقة . بعد ان كانت قد فارقتهم في لحظات التلاقي والتسليم . فعادت الدماء الى حرارتها وسرعة تفاعلها . والاعصاب الى يقظتها وارهاقها . ونجاة أطلق أبو جهل الشرارة الاولى وقال

(١) ضفائر الشعر (٢) الظل ليلاً

اجتمعت (الجمهرة) ووضعت من القواعد ما يكفل إحراج محمد فأرسلو
في طلبه الآن

شيبة بن ربيعة - ولكن الغرض من إحضاره لا يصح أن يكون
بمجرد إحراجه ومخاصمته

نبيه بن الحجاج - طبعا ليس الغرض هو المخاصمة المحض والاحراج
وإنما يكون الالتجاء عند الضرورة

شعبة بن ربيعة - وأية ضرورة تلجئ إلى المخاصمة والاحراج؟ إن
كنتم أصحاب حق فاقنعوه به . وإلا فدعوه .

أبو سفيان - أراك يابن شيبة تحابى هذا الرجل وتنتصف له ولا أدري
لهذا من سر !!

الحكم بن هشام - اعذروه فما لاس هذا الرجل إنسان حتى عاد
بمعقل غير الذي ذهب به

شيبة بن ربيعة - ولعل هذا من قوته وتأثيره على نفس مخاطبه
الحكم - شأن كل ساحر .

شيبة - والله ما هو بساحر . وإنه يتحدث بما لا يقدر عليه لسان بشر

الحكم - لم نجتمع لمثل هذا الهزر الصقيع . يابن ربيعة !!

شيبة - أرجو أن تحترم وقارى ومكاتنى . كما أرجو أن تحترموا
عقولكم، واجتماع كهذا لا يصح أن يكون الغرض منه مجرد الكيد والمخاصمة
وإلا فلسنا عجزة عن وضع حد لأعمال هذا الرجل

عتبة بن ربيعة - هذا منطق معقول وإلا فلا فائدة من هذا الاجتماع

أبو جهل — وهذا الآخر ينتصر لأخيه بدوره .
شيبة — ولا هذا أيضا ما اجتمعنا لأجله .

عكرمة — دعونا من المناقشات حول هذا الموضوع قبل ان يستفحل أمره . وأرسلوا لنا في طلب الرجل
الحكم — ليذهب اليه صديقه شيبة ابن ربيعة !! فقد هام بحبه وشغف
بقرآنه .

أبو سفيان — كانك تريد أن نخسر شيبة الى الابد !! اذا كانت
جلسة واحدة قد أحدثت فيه كل هذا الاثر . فكيف به اذا تكررت
الجلسات !! ؟ ؟

عكرمة — ليذهب اليه واحد من هؤلاء السود . فترفع نفس محمد عن
مخاطبته . بينما لا يطمع العبيد في مصاحبته
نبيه بن حجاج — يالك من أبله !! ومتى ترفعت نفس محمد عن استمالة
الخدم أو العبيد . ومن حمل دعوته الى أعماق المنازل والنوادي غير هؤلاء
مدفوعين بحب من وطأهم من كنفه ، ونزل الى سواء مجالسهم
زيمة بن الاسود — إذن ليذهب اليه أكثر من واحد . وليكونوا
من السادة المعروفين بقوة المعارضة

عبد الله بن أمية — قد يكون هذا تعظيما لشأنه وتكريما في نظر الدهماء (١)
شيبة — لقد حاربنا والله المقام !!

لا تريدون رسلكم عبيداً حتى لا يكونوا موضع تأثيره !! ولا سادة ، حتى

(١) العامة من الناس

لا يكون ذهابهم موضع تكريم لمحمد !!

النضر بن الحرث — دعوني أذهب اليه وحدي . ولتفعل الظروف

بي ما تشاء

وقف النضر بن الحرث أمام منزل رسول الله بعد أن طاف به مرات

وكانه يتحدث نفسه قائلاً

أيطلع الملك من هذا المنزل الصغير وتطل العظمة من هذه الكوى
الضيقة . وينبعث النور من هذه الظلمة القائمة . أيكلم محمد ربه في السماء من
تحت هذا السقف !! ويخرج الشر زاحفاً من هذا الباب إلى صفوف
قريش فيمزق وحدتها . ويفرق كلمتها !!

ليس هذا البيت بالمعسكر تصهل فيه الخيل وتلمع فيه السيوف . ويكسو
بياضه سواد الجيوش فنعد له عدته . ولا محمد بالقوة الخفية فنقول إنما هو
جنى أو ملك لا قبل لقوة البشر به ؟! وإنما هو فرد لا يحصى ظهره إلا بنوع عبد
مناف لصلوة الرحم . لا لصلوة دعوته بهم . ولكنه أحدث كل هذا الانفجار ،
وأزعج الصغار والكبار . وجعل مكة وما حولها أواراً وناراً . إذن لا بد
وأن يكون وراء هذا قدر لارد له ولا عثار

وهل لمثل أن يقف على باب ههنا ؟؟ هو باب ككل الابواب صنعت وحداته
من أعجاز النخيل . وضمت أجراءه الدسر (١) المسننات . ولكن يظهر أن
خلفه رجلاً ذا شأن خطير . اجتمعت لخطره قريش في شيوخها وساداتها .
وتصدت له بالأوس صناديدها وقواتها فما فلت من غربه ولا ثنت من عزيمته

(١) انساب

وهل اذا لقيني ولقيته أعود بعقلي إلى قريش . أم أتركه معه ؟ لست أعظم من شيبه ابن ربيعة شأنا ولا أوفر ذكاء . ولا أقل تمسكاً بدين الآباء والجدود . ولكنه عاد إلى قريش بغير قلبه الذي ذهب به . وعاطفة غير التي راح بها ، ورجع بما ألّب عليه سخط البعض وبغض البعض ، وهزم الآخرين

ولكن ماذا يجدى بعد كل هذا الذي يدور بخلدى . ها أنا ذا أمام منزل الرجل . بل إنى أمسيت منه على صدى الصوت والقوم فى انتظارى . والوقت يمر سريعاً والقلق دائماً يلزم المنتظرين ، فعلى أن أناديه ولتفعل المقادير بى بعد ذلك ما تشاء

دق النضر بن الحارث باب رسول الله دق المرهوب من جلال الموقف وطيوف الذكريات . ثم عاد فنادى فلم يجبه غير صدى صوته من أعماق السكون . ثم تسمع لصوت ينبعث من فروج الباب بعيداً فى قرب ، هادئاً فى رهبة . متسقا فى لحن . حنوناً فى بكاء . فأرهف سمعه نحوه . وتداخل فى الباب حتى ليكاد ينفذ من بين فروجه الضيقة . واعتزته هزة مرعشة فأدرك أنه لا بد مصيبه ما أصاب شيبه بن ربيعة . غير أنه سيخسر قومه ويفقد مكانته فغالب نفسه . وقاوم شعوره . وحمل على الباب حملة عنيفة سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو هائم فى تلاوته فقال :
-- من بالباب

النضر بن الحارث - رسول قريش إليك يا محمد
رسول الله - رسول قريش ؟؟ أثابت قريش الى رشد هاتى أرسلت

إلى في مثل هذه الساعة ؟ اللهم حقق آمالي في قريش . واهد قومي فانهم لا يعلمون

وخرج رسول الله الى الطارق مسرعاً . وهاء الفرح يفيض من وجهه وأشعة السرور تطل من عينيه فسلم على النضر بن الحارث ، ودعاه الى الدخول فصمت حائراً بين الخوف من لدخول لثلا يصيبه ما أصاب شيبة ابن ربيعة ، وبين الحنين الى خلوة مع رسول الله لعله يصل معه الى ما لم يصل اليه سواه ، وأخيراً غلب الرفض على الدخول بعد ان طالت غيبته على قريش فانندى رسول الله عباءته وصحبه الى حيث اجتمعت قريش وابتدروهم قائلاً

- عموا مساء يا بني قومي

أصوات - عم مساء يا بن عبد الله

- عبد الله ابن أمية - يا محمد . إنا قد بعثنا اليك لنكلمك . وانا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك . لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسببت الآلهة . وسفهت الاحلام . وفرقت الجماعة . فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك . فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا . فنحن نسودك علينا . وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً (١) تراه قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك

رسول الله - ما بي مما تقولون شيء وما جئت بما جئتم به أطلب
أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني اليكم رسولا
وأُنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً . فبلغتكم رسالات
ربي فان قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وان تردوه علي ، أصبر لأمر الله
حتى يحكم الله بيني وبينكم

أبو سفيان - وإن كنت غير قابل منا شيئاً يا محمد مما عرضناه عليك .
فإنك قد علمت أنه ليس في الدنيا ما هو أضيّق من بلدنا ولا أقل ماء منه .
ولا أنكد عيشاً ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به . فليذهب عنا هذه
الجبال التي ضيقت علينا وليسط لنا بلادنا سهلة ذلولة . وليفجر فيها أنهارا
كأنهار الشام والعراق . وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن
يبعث قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم
باطل . فان صدقك صدقتنا وعرفنا به منزلتك عند الله . وأنه باعثك نبياً ،
ورسولا كما تقول :

رسول الله - ما بهذا بعثت يا أبا سفيان وإنما جئتمكم من الله بما بعثني
به وقد بلغتمكم ما أرسلت به اليكم . فان قبلوه فهو حظكم من الدنيا والآخرة
وان تردوه علي ، أصبر ، لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم
أبو جهل - وإن كان لا يرضيك هذا ولا ذاك فخذ لنفسك شيئاً .
وسل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك . بل
سله يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة لتعينك في مهمتك
التي تبتغي فإنك تقوم في الأسواق كما تقوم وتلتمس المعاش كما تلتسمه ، حتى

نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت كما تزعم رسولا
رسول الله - ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه مثل هذا . وما
بعثت اليكم بهذا . ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا . فان تقبلوا ما جئتكم به
فهو حظكم في الدنيا والآخرة . وإن تردوه علي ، أصبر لأمر الله حتى يحكم
الله بيني وبينكم

العاص بن وائل - بل أسقط علينا كسفا من السماء فانا لن نؤمن بك
حتى تنزل علينا فتحرقنا !

رسول الله - هذا إلى الله إن شاء يفعل بهكم . فعل
أمية بن خلف - يا محمد . أيعلم ربك أننا سنجلس معك هذا المجلس
ونحاسبك هذا الحساب ؟

رسوله الله - نعم . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور
أمية - ولماذا إذن لا يمدك بما تسأل فيه . ويعلمنا ما تراجعنا فيه .
ويخبرك بما هو صانع في ذلك ؟

أبو سفيان - مقاطعا أمية بن خلف - الحق انه قد بلغنا إنما يعلمه
رجل باليامة يقال له الرحمن . وانا والله يا محمد لن نترك دين الآباء لنؤمن
برحمانك أبدا .

أبو الحكم - ولن نتركك وما تبلغ حتى تهلكنا أو نهلكك أو تأتي بالله
والملائكة قبلا

وما سمع رسول الله ذلك حتى غادر المجلس وذهب إلى بيته . مطرق
الرأس أسيف البال . على ما تقدم به قومه اليه من صنوف الاحراج ، ثم أحس

بوقع أقدام تتابعه . ثم عرف أنه عبد الله بن أمية فظن أنه الثمرة التي خرج
بها من هذا النقاش . ولكنه عاد إلى ظنه يراجعها ، وكأنه يحدث نفسه قائلا :
انى لم أحقق من رغبات قريش شيئا حتى أكون قد استطعت أن
أكتسب من المعركة واحدا . ولم أدفع أمامهم بمعجزة تنال من جموح أحد
فيهم . وموقفهم منى وإن كان موقف تعنت وإرهاق . إلا أن موقفى أيضا
كان سلبيا إلى حد ما . إذن فهذا الرجل الذى يتبعنى وإن كان ابن عمى
إلا أنى لا أعتقد أنه أخو هداية أو ريب اقتناع

ثم مضى لا يحدثه ولا يتظر إليه فدنا منه صاحبه ثم قال له :
يا محمد . عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم . ثم سألك
لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك عند الله ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل .
ووالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أشهد
ذلك منك ، حتى إذا وصلتها فأتنا منها بصك وقع عليه أربعة من الملائكة
يشهدون أنك رسول الله ولو أنك فعلت ذلك فوأيمن الله لا أصدقك
ثم انصرف . . . ومضى رسول الله إلى منزله حزينا

أخذ عبد الله بن أمية طريقه إلى قريش في مجتمعها فسمع على البعد
جلبة وضوضاء صادرة عنهم . هذا يقهقه كالقرد . وذاك يصيح كالثمل .
وثالث يمثل خطيبا فيقاطع بالتصفيق استحسانا أو سخرية أو مزاحا ، ثم دخل
عليهم عبد الله وهم كذلك كأنهم فى إحدى الحانات أو دار رقص أو فى مستشفى
الأمراض العقلية . إلا أبو جهل الذى ظل محتفظا بصمته غارقا فى تفكيره .

ولم يكن أبو سفيان أقل منه وجوما . ولا أكثر تفكيرا . فصاح بهم قائلا
علام كل هذا الهياج . ولماذا كل هذه الضجة ؟ ؟ .

نبيه بن الحجاج - على هذه الشبكة التي أحكمنا حلقاتها حتى أقت
بالصيد بين يدي الصياد ! .

أمية - أين هذا الصيد وأين غنيمة الصياد ؟ !

نبيه - أنت لا تنكر يا أمية أنها كانت حملة لها مابعدا . واحراج

شفى بعض ما نحمل لهذا الرجل من غل وحسد

أمية - هذا صحيح . ولكن المرض لا يزال يقض المضجع ويثرق
الريض . فهل انتهى محمد إلى غاية . أو وقفتم معه على نهاية أو وصلنا معه
إلى حلف يحدد موقفه منا أو موقفنا منه ؟ ! لا هذا ولا ذاك . إذن فعلام
هذا الضجيج ؟

شبية - وإذا كنا قد ربحنا من محمد موقعة فقد خسرنا مواقع . على
أن معركته لم تربحنا شيئا . أما معاركه فقد أربحته الكثير وهامى آثار دعوتنا
في كل بيت من بيوتكم

نبيه - حسبنا أن ينكفئ إلى أهله الليلة محسورا محزوننا .

شبية - ولكنه غدا سيلتهم كل شيء . ونبيت نحن طوال حياتنا

حزاني محسورين

أبو جهل - محمدا - لا كتب على قریش شيء من ذلك أبدا ،
يا قوم إن محمداً قد أبى علينا إلا ماترون من عيب ديننا وسب آلهتنا . وأنى
أعاهدكم وأعاهد الآلهة على أن أقضى عليه . وسأتربص له بمحجر لا أطيق .

حمله غدا . حتى إذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ثم لكم أن تسلموني
لبنى عبد مناف : أو تمنعوني منهم

شبية — كأنكم ستعلنون الحرب غدا على بنى عبد مناف بهذا الحادث
أبو سفيان — إن بنى عبد مناف لا يرضيهم كل هذا الذى يتحدث به
إلى الناس طعنا فى ديننا وأحلامنا وآبائنا . فديننا دينهم وأحلامنا أحلامهم
ووشيجة الرحم تربط بين الجميع . وأكبر ظنى أنها لن تمنعه فى هذه المرة
وقد طال به الغرور وتمادى به حبل الاصطبار

شبية — يظهر أننا سننقع فى وهدة (١) الامس . وستلازمننا نفس
النتائج . وندفع لها نفس الثمن الذى دفعناه . فبالامس تلاحيت يا أبا جهل مع
محمد . فكان من ثمار ذلك إسلام حمزة وأنتم تعرفون من هو حمزة . وما
مقدار الخسارة التى خسرناها باسلامه . والليلة تريدون قتله ولا تدرى كم
يكون الثمن الذى ندفعه غدا ذلك

عبد الله بن أمية — ومن الذى سيسلم فى هذه المرة على قبره ؟ !
نبيه — لا يبعد أن يحمل رايته من بعده أبو بكر أو عمه حمزة أو ابن
عمه على ابن أبى طالب . بعد أن يأخذ بدمه بنو عبد مناف
أبو سفيان — ان محمدا يكلم السماء . وينزل عليه قرآنه كما يزعم .
ولم يدع واحدا من ذكرت أسماءهم لأن مثل هذه الدعوى ، فإذا مات محمد
وقام واحد يدعيها منهم كان مكانه فى هذا الادعاء بارز الكذب . لامع
الاقتراء . فإذا قام بنو عبد مناف يطلبون دمه فليأخذوا من دمائنا ماشاءوا

(١) المكان المنخفض

حتى يعلوا (١) منها ماظموا ضحية للآلهة وقربانا ، وانقاذا لكرامة الآباء
وعقول الأبناء

الحكم — سأفعل ذلك مهما دفعنا من ثمن و ليرفع راية محمد من
شاء من أتباعه بعد أن نضرب لهم الإمثال . ثم نشير لهم إلى قبر صاحبهم
ونهايته .

ثم ساد المجلس بعد ذلك صمت حزين ووجوم قاتم . ثم قام كل إلى
منزله وهو غارق في عالم من الوهم . وسحابة من الظلام رغم ضوء القمر .
كانهم أحجار الشطرنج سرت فيها الحياة . لعظم مايتوا لمحمد وهول
ما تراءى لهم في أفق المستقبل القريب . ومن منهم سيكون بين الضحايا ومن
كتبت له السلامة وطول البقاء .

« سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر »
 « الاول ماذا كان شأنهم العجيب . »
 « وعن رجل طواف قد بلغ مشارق »
 « الارض ومغاربها ماذا كان نبأه . »
 « وسلوه عن الروح ما هي . فأن »
 « أجابكم عن هذه الثلاثة فانه نبي »
 « مرسل واتبعوه . والا فهو تقول »
 « وافعلوا به ما شئتم بعد ذلك »

احبار يهود

سرت أنباء المؤامرة على قتل رسول الله سريان الكهرباء . رغم شدة
 الكتمان فطلع الصباح على مكة وكأنها وادى القردة . يتحدثون بالاشارات
 ويتفاهمون بالنظرات . ويتهامسون في فحيح . ويتعثرون في دقيق الحصباء .
 كأن الفرع قد جلس على ألسنتهم . واستولى على أعصابهم
 وأضحت الكعبة محل أنظار الكثيرين من الاشراف . ممن اختبأوا
 في الحوانيت والأندية الواقعة حولها ، وأرسلوا عيونهم عن بعد يشهدون
 مصرع محمد دون أن يغمسوا أصابعهم في دمه . وكأنهم وهم حولها هدف
 لتعليم الرماية . أو معبودة فاتنة أخذ الكل بدرس محاسنها . ويستشف

جمالها أو صنم جلس الجميع حوله يتبتل بالنظر اليه

وغدا رسول الله الى مكانه الذي اعتاد الصلاة فيه بين الركن اليماني والحجر الاسود . فاحتمت الدماء حارة . ورمته العيون بالشرر . وغلا عليه . رجل الحقد . واشتد ضغط الاسنان حتى سمع أزيزها ، ثم جاء أبو جهل فمشوا له لاهئين . وبشوا زافرين . وتبادلوا لفة اللحاظ . وتراسلوا عن طريق الحواجب . ثم شجعوه بقبضات أيديهم في الفضاء . وشاركوه بمجموعة من هزات رؤوسهم في الهواء

• ثم دار أبو جهل على كعبه باحثاً عن أضخم صخرة ترفعها يده . ليحقق بها وعده ومبتغاه . ويدفن تحتها أشد العداة . فتفقد الأرض هنا واستعرضها هناك . ثم هبط في منخفض . واعتلا ظهر ربوة . ثم أشار بأصبعه على صخرة كبيرة وقال .

هذه ضالتي ..

ثم طاف حولها . وسبر ثقلها . ثم انحنى عليها وعالجها حتى رفعها وسار بها فوجفت قلوب النظارة بمزيج من الفرح والاضطراب . وبهرت الانفاس بقرب الخلاص من عدوهم والخوف مما وراء المصاب . وغالبت صفرة الرعب حمرة الانتصار القريب فهزمتها . فأضحوا أحياء يحملون وجوه الموتى ، وكان كلما دنا أبو جهل من رسول الله تحاذلت سيقانهم ، وغارت عيونهم ، ولما دنا من رسول حتى لم يكن بينهما إلا ذراع . جفت حلاقيمتهم . ودارت الأرض بهم وتهافت بعضهم على بعض وأغمض بعضهم جفنيه اختياراً أو اضطراراً ، حتى لا يرى هذا المشهد الفظيع . وضرب البعض الآخر بأيدهم

صفحة الفضاء تشجيعاً لحامل الصخرة .

وكم كانت الدهشة عظيمة حينما شاهد المجترئون وأبصر المنعمضون ،
على رؤية أبي جهل وقد تراجع عن موقفه فجأة . ثم سمعت قدماءه في مكانه
وارتعدت فرائضه . وييست ساعده بما يحمل . وشحب وجهه ومات لسانه
وشدت أهدا به بأسباب السماء . حتى خيل لقريش أنه قد أدركته نوبة
تصلبت لها أعصابه . فقاموا اليه يتبينون أمره فألفوه تمثالا صامتاً . فآلقوا
عنه صخرته . واحتملوه الى ناديمهم وهو بين صحو وإغماء . ثم جلسوا
جلسة النادبات حول ميت مسجى هذا يستنطقه . وذلك ينظر اليه في حسرة
وحزن . وثالث يسائل صاحبه عما دها أبا جهل . والناس تتوارد في سلسلة
متتابعة ، للتساؤل عن الخطب الجديد . وقد سرى سريان البرق . وجاء
عكرمة ولده يشق الزحام إلى والده مصفر الوجه لاهتاً . ولما وقم نظره عليه
وهو متصلب الساقين صاح

وا أبتاه .. وادرعاه .. واسنده .

فتمطى أبو جهل .. تم ثئاب .. ثم أشار لهم أن يساعدوه على القعود
فمدت اليه عشرات الايادي . فكانت كحزمة الخيزران . مختلفة الاطوال
والأقطار وساعدته على الجلوس ، ثم جلس أبو سفيان بين حاجبيه ثم شاء
الكلام فخانه لسانه وأطبقت عليه أسنانه ، فوضع يده على كتفيه وهزها
مرات ، ثم غالب أعصابه وقال

- أبا عكرمة ..

- لبيك يا أبا حنظلة

- ما بك ؟؟ تحدث • فالقوم خلفك في ماتم

- ان مابى شيئاً كثيراً وان قلبي ليفزع كلما حاولت ذكره

- تشجع وتثبت . فقومك حولك يشدون أزرع ويقومون ظهرك

- ان ما رأيت والله لأعظم من أن تقف أمامه قومي

نبيه بن الحجاج - يهمس في أذن أخيه ويقول له

لقد داخل عقل الرجل شئ

أبو سفيان - حدثنا عنه ولا تخف يا أبا عكرمة . فلقد روعنا صمتك

وهذهنا خطبك

أبو جهل - يبتلع لعابه - ثم يقول :

قت لأفعل بمحمد ماقلت لكم عنه البارحة . فلما دنوت منه عرض

لى دونه فخل من الابل . ما رأيت والله مثل هامته ولا عنقه ولا أنيابه .

فهم بى أن يا كلنى . فتراجعت دونه فى غير وعى ولا شعور : وما استطعت

لشدة الفزع أن ألقى مايدى وكأنها يبست عليها وتصلبت . ولا أدرى

ماحل بى بعد ذلك

ثم أسبل عيذه من شدة الاعياء وطرح رأسه على كتف جاره متعبا إلى

الوراء . والكل شاخص اليه فى صمت كأن عيونهم شدت إلى وجهه بالاهداب

فقطع هذا السكون صوت النضر بن الحارث يقول :

يامعشر قریش . انه والله قد نزل بكم أمر ماأتيتم له بحيلة بعد ، فقد

جاء فيكم محمد غلاما حدثا . فكان أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة . حتى

إذا رأيتم الشيب فى صدغيه . وجاءكم به قلم ساحر . لا والله ما هو بساحر

لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدتهم ثم قلتم كاهن . ولا والله ما هو بكاهن
لقد رأينا الكهنة وخواجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ولا والله ما هو
بشاعر . فقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها . هزجه ورجزه وقلتم مجنون
ولا والله ما هو بمجنون ، فقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسه . ته ولا
تخليطه .. يا معشر قريش انظروا في شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم
الوليد بن المغيرة - وهذه ضحية جديدة قد تملكته شعوذة محمد وأخذت
عليه قلبه وحواسه

أبو سفيان - حتى أنت يا بن الحرث !؟ أنت الذي كنت بالامس
تجلس مجلس محمد وتحدث الناس أحاديث رستم واسفنديار وتقول لهم إني
لا حسن حديثا منه ؟

النضر بن الحرث - هذه في الواقع حال لا يمكن السكوت عليها والتدليس
فيها على أنفسنا . فقد سئمنا ومج الناس ماتهمون به محمدا دون أن يستطاع
إثبات شيء من ذلك عليه أفرد عليه العاص بن وائل مقاطعا
دعنا وأبيك من حديثك هذا وكفى ماسمعنا •

منبه بن الحجاج - جدير ببن الحرث أن يقوم ويجلس بجوار شيبه بن
ربيعة حتى يتجاوزان جسما كما تجاوزا فكرة •
وضحك من في المجلس الا النضر بن الحرث وشيبه بن ربيعة ثم تحدث
أولهما قائلا !

قد يضحك الرجل من شدة البلاء :
عكرمة .. لا - بل نضحك مما أصابك وزميلك شيبه

أبو سفيان - وقد يكون أيضا من شدة البلاء

شبية - والله لا أدري ماذا فعلت قريش حتى الآن تجاهد محمدا وتناوئه وتصمه بما ليس فيه. فلم تتقدم شبرا بينما يقدم ذراعا. فلما تناوئتموه بالأذى. وثب بقاء، وعزمت على التخلص منه فكان هذا هو المآثم يفيض جزعا والتياعا.

منبه بن الحجاج - كأنك قد نسيت انتصارنا عليه بالأمس وملاحقته بالأسئلة حتى لا يكاد يبين.

شبية - وهل تظن أنه رفض الإجابة على مثل استلثكم عيا؟ وهل تعتقد أن رب محمد طوع رغباته وخوالجه. حتى يحقق لكم كل ما تطلبون لو أن الأمر كذلك لا قلب المربوب ربا والرب مربوما.

وإذا كنتم في شك مما أقول. فعليكم بأهتكم هامى علي مرمى الطرف منكم سلوها أن تزيل الجبال. وتشق الأنهار. وتلين الأرض حتى تصبح حقولا وحدائق.

أبو جهل - تربت يداك. وكيف تعيب آلهتنا إلى هذا الحد إذا تسامحنا معك في الخط من تصرفاتنا؟

شبية - لا بد من ذلك إذا كان لا بد من مجابهة الحقائق. وإلا فسنظل في تيه وضلالة حتى يقضى لمحمد بالنصر في النهاية. وتصبحون من عامة الناس بعد السيادة والقيادة

النضر بن الحرث - لقد غرركم والله جمال حلمه وأطمعكم والله سمو أخلاقه. فاذا يتموه واحتمل، ولكن عند ما تأمرتم على حياته بروز لكم م (٨) صور اسلامية - ١١٣ -

القضاء المقدور في صورة فحل من الابل عظيم، يذود عنه ويهدد بالويل والتبور
وإذا كان شيبية بن ربيعة قد لامس محمدا فسحره . فقال ما قال
مدحافيه وثناء على قرآنه . فمن سحرني بدوري كما تدعون الآن ؟ مع أني لم
أحادثه ولم ألامسه ، وإذا كان محمد يسحر على القرب والبعد فما الذي ظهر
لابي جهل وروعه إلى هذا الحد فروعنا معه ؟ تحدثوا ؟ ! ! ! وافلوا أمركم
ثم حاولوا أن تجابهوا الواقع ولو كان مرآ .

الأسود بن المطلب — هذا الذي تقوله معقول غير أنه لا بد لي من
أن أقول !

إذا كان محمد رسولا من عند ربه فلماذا لا يؤيده في كل مواقفه وهاتحن
بالأس قد سألناه فيما لم يجب على واحدة مما سئل عنه . فكيف ودعه إلهه
وتخلي عنه في مثل هذه الساعة .

شيبية — أغلب ظني أنه لم يودعه ولم يتخل عنه ولكن حكمة الاله
فوق حكمة الانسان . وعلمه فوق علم البشر . وأن ما يظنه الانسان خيرا له
قد يكون وبالا عليه . وما يمتقده وبالا قد يكون خيرا ، فعدم إجابة محمد علينا
لا عجزا منه ولا تخليا لربه عنه . ولكنها الحكمة التي قد لا ندركها .

أبو سفيان — كأنتك واحد من أصحابه ! ! تتحدث كما يتحدثون .
وتؤمن بما يؤمنون . وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين

شيبية — وغدا يتحدثون بهذا وتؤمنون به ما لم تقوموا بعمل أكثر
حكمة وارسخ اتزاناً .

ابو سفيان - أشيروا علينا بما صنع فقد بلغ منا اليأس مبلغه
وحارت بنا سبل التفكير والبحث حول هذا الأمر الذي جاء به محمد
الأسود بن المطلب - أرى أن تستشيروا آهتكم في أمره ، فإن
شاءت اتبعناه وإن شاءت مضينا في مخاصمته ، حتى يقضى بيننا وبينه
عبد الله بن أبي أمية - بل استشيروا أزلأمكم فإنها تصدق كثيرا
شبهة - وهل تروا أن كهانكم يرويدونكم على الاسلام ، فتسقط
مكائهم ويصبحون آحادا في عداد الناس بعد الرئاسة والسلطان
العاص بن وائل - ومالكهان وقضيتنا التي نحن بصددها . إنما نسأل
الأزلام ونستشيرها . وفيها دلالات الخير والشر دائما

شبهة - ولكن الكهان هم الذين يستنطقونها ، ويتحدثون عنها فهم
إن شاءوا بشروا ، وإن شاءوا حذروا .
العاص - أترى أنهم يكذبون عليها
شبهة - مادام الأمر يتعلق بكيانهم ونفوذهم ، فهم بلا شك سيكذبون
وهل هناك عليهم من رقيب أو حسيب .

ابو سفيان - إذن ماذا نصنع
شبهة - أرى أن ترسلوا رسلكم إلى أخبار يهود بالمدينة ليصفوا لهم
محمدًا في شكله وأخلاقه وعاداته وما يقوله . فانهم أهل الكتاب الاول
وعندهم علم من الانبياء ليس عندنا . ولا نعرفه . ولعل في إجابتهم ما يكشف عنا
ما نحن فيه

ابو سفيان - حسبنا ذلك . وما اعتقد ان احدا يخالفك في هذا الرأي

ولكننا نريد انتقاء الظاعنين ، حتى يستطيعوا القيام بهم - هذه الأمانة على أحسن وجه وأكمله. لأن نترك ذلك لكل من يريد. فأرى أن يسافر الحكم ابن هشام وأمية بن خلف.

النضر - كلاهما متعصب لدينه شديد العناد فيه ، فقد لا يحملون إلينا إلا ما يتفق ورغباتهم ، فنفقد المشورة ويضيع الوقت المناسب لعلاج هذه الحال .

شيبة - أرى أن يسافر النضر بن الحرث لعلمه بالتاريخ ومحبه للمعرفة والاستقراء . ولعل في اعتدال فكرته ما يرضى المتشددين في دينهم ، ولهذا يجب أن ينضم اليه عقبة بن أبي معيط حتى يحدث الاطمئنان في نفوس الجميع .

أصوات - مرحى . مرحى (١)

نازل بنيت بالحجارة يدرج حولها صبيان يرتدون ملابس فضفاضة ملونة ، قد شدوا وسطهم بمناطق من الجلد الرقيق وعلى مرمى البصر مزارع فسيحة اختلطت فيها حمرة أرهار العصفور بزرقة أزهار القرطم . وتلاقت فيها أغصان الرمان الميافة . بأفنان الكروم الناعسة وفي الناحية الأخرى بساط سندس فيسح من الاعشاب

(١) كلمة تقولها العرب في مواطن الاعجاب بشيء وهي تحمل معنى كلمة «برافو» الانجليزية

والسعدان (١) تطوف به قطعان النعم فتلتهم منه ما تصل اليه حتى تأتي عليه كأن بينها ثأراً، وعلى بعد خطوات تنبعث جلبة وضوضاء يمتزج فيها صوت الأطفال بصوت الرجال ويشوب عريتها لهجة غريبة عن سكان هذه البلاد .

تقدم الرسولان إلى حيث تنبعث الضوضاء فألفياها مدرسة لتعليم أبناء يهود لفة التوراة فيما يشبه الكهف المظلم ، وقد جلس في مؤخرته رجل قد امتدت به سنه . وقد بمرور الزمن عينه . واستطالت على صدره لحيته وانحنى على نفسه من شدة الهرم .

وما أن رأى الأطفال هذين الرسولين يطلان عليهما حتى انقطعا عن التلاوة ، فنهروا معلمهم لجنوحهم إلى اللعب والتهاون في الدرس ، فحدثوه بما لم يفهم الرسولان منه كلمة واحدة ، فاندش المعلم (٢) وقال :
من بالباب ؟؟

النضر بن الحارث - ضيف جاء بعد سفر طويل يطلب . . .
المعلم ما طعا - ليس لدينا طعام إننا فقراء ، إننا فقراء . أكل لوحك يا شاؤول
النضر - ماجئت يا معلم القوم لا طلب طعامك ، ولكن لا طلب علم
يهود وأستفتيهم في شأن جسيم
المعلم - وهل معك زادك بعد سفرك الطويل ؟
النضر - معنا منه بقية .

١ شوك تأكله الأبل
٢ تكلم بالعربية بعد العبرية

المعلم - ليس لدينا متسع من الوقت لسماع تفاهات بنى يعرب...أكل
أكل يا شاؤول

النضر - يا معلم القوم إن معى زادا كثيرا ، وإن لى بأهل هذه البلد
صلة ورحما . فلا تزعج نفسك طويلا ، وهدى روعك من هذه الناحية .
المعلم - إذن تفضل فادخل .

النضر - وإن معى رفيق طريق فهل تسمح له بأن يكون معى ؟
المعلم - يتأفف ثم يشهق ويزفر ثم يبحث بيده على الأرض حوله ويقول :
وهل لدينا متسع لرجلين ، وعلى أى حال ادخلا سماحكما الله .
المعلم - ممن الرجلان ؟

النضر - من قریش . . . سادة من سادة .

المعلم - ومتى واقعتم أرض يثرب ؟
النضر - أمس البارحة .

عقبة بن معيط همس فى أذن النضر بن الحارث فيقطع النضر على المعلم
كلامه ويقول له : ألا تسمح لنا بقدح من ماء ؟
المعلم - وهل انتهت بقية الزاد التى معكم ؟
النضر - لا تزال لدينا غير أنه ليس لدينا ماء .

المعلم - ولكن الماء من ضروريات السفر ومستلزمات الزاد
النضر - هو ذلك ، ولكننا حضرنا إلى هنا بغير ماء .
المعلم - متضجراً - ثم نادى :

يا شاؤول .. إن كنت قد أكملت لوحك فاسق ضيوفك .

شاؤول - إن أُمى اليوم تعصفر (١) الصوف . ولعل الماء لدينا شحيح
المعلم - قم أنت يا شريح .

شريح - ليس فى يتتنا أحد اليوم يا معلمى .

المعلم - قم أنت يا جدعان . .

جدعان - يصمت قليلا ثم يخرج ويعود بالماء فيشرب عقبة ثم تناوله

المعلم ليشرب فتحسسه بيده فأدرك أنه قدح منزله . فصاح قائلا :

جدعان ! ويحك هذا قدحى . ومن أذن لك باحضاره ؟ ومن أعطاك الماء ؟ !

جدعان - قلت لهم إنه لمعلمى .

المعلم - ولكن بقية الماء - بعد أن شرب الأعرابى . - تدل على تبذير

ما تعودناه قبل اليوم .

جدعان - الحق أننى ملأت القدح حتى لا أعود ثانية فى طلب الماء

- وكيف تركوك تملأ وتفيض ؟ حادث له ما بعده !! وهل تلوت على

ألواحك اليوم ؟ ؟ ؟ ! ! !

جدعان يتراجع إلى الورا . ويجهش بالبكاء .

النضر - إن كان قد أساء التصرف فلاجلنا ومن أجلنا ، أرجو أن

تدعه تكرىما لنا وفضلا .

المعلم - هذا تلميذ خبيث ومبذر ، وأخشى أن يتخذ من هذا الحادث

قاعدة للمستقبل .

عقبة - أرجو أن لا يعود وسوف لا نعود إلى طلب شىء جديد .

المعلم - هذا حسن وقد تفاهمنا .

النضر - نريد أن نجتمع بكبار الأثبار لنطرح عليهم سؤالاً قد تطفئ
الاجابة عليه نيران حرب عندنا . ويحقن لها دماء كثيرة .

المعلم - حرب ودماء ؟ إذن لقد ظهر في مكة كنز من الذهب اختلفت
حواله القبائل والبطون ، وإلا فما الذى يؤدى إلى الحرب غير هذا ؟
النضر - لا وأبيك لم يظهر بها كنز ولا لقيا . وهى كما تسمع عنها ضيقة
الأرض آسنة الماء ، فقيرة الدخل ، والأمر الذى جئنا لأجله ستسمعه عند
عرضه على الأثبار .

المعلم - حسن .. وسأجمعكما بهم الليلة فاذهبا الآن لشأنكما وعد بعد
الغروب تجدى فى انتظارك مع أحد التلاميذ لنذهب إلى نادينا الذى نجتمع فيه
وفى المكان الذى اتفق عليه جاء النضر بن الحرث وصاحبه وذهبوا
جميعاً إلى نادى يهود وهناك فى عريش ضيق وتحت سقف من بقايا ما أكلته
السوس . وفى ضوء حائل حزين ، ألقى على ركبتيه رجل متكهل فوق سعف
متفرق يطل بين يديه على وريقات بالية يلاحق أجزاءها المتداعية هنا وهناك
ويضم فتاتها إلى بعضه . ليستطيع مواصلة القراءة فى صوت أجش كأنه
أضراس الساقية . وحوله ثلاثة شيوخ لامست لحاهم حجورهم يعبثون فيها
بأصابعهم كأنما يشقون فيها مسارب وطرقات . ويومثون برءوسهم بين الفينة
والفينة إيماءة التأمين لما يقول القارىء . وعلى أجسام الجميع جلايب مخططة
قد غاب تحت رقاعها أصل الجلباب . فوقف المعلم الأعمى يستمع قليلاً ثم
فاجأهم قائلاً :

- سلام عليكم

- وعلى المعلم ومن معه السلام

ولما استقر بالجميع المقام وتبادلوا عبارات التعارف ابتدرهم النضر قائلا:
ما رأى أخبار يهود في رجل له فينا رحم ونسب . ينحدر من أقوى
القبائل وخلاصة العرب . نشأ فينا وفيًا صادقًا أمينًا . وجاء يدعو إلى
دين غير ديننا ، وينهانا عن الواد والخمر والزنا ، ويقول بنبوة موسى وعيسى
ويدعى أنه على صلة بالسما يحدته ربه منها ، وأنه مبعوث خالق السموات
والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، وقد جربنا معه وسائل الشدة تارة
والاغراء أخرى ... ففشلنا وهو دائماً ينتصر ... فخرش أحدهم في
لحيته وقال :

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول . ماذا كان شأنهم العجيب .

الثاني - ثم سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها
ماذا كان نبؤه .

الثالث - ثم سلوه عن الروح ما هي ؟ وما حقيقتها ؟ فان أجابكم عن
هذه الثلاثة فانه نبي مرسل واتبعوه ، وإلا فهو متقول ، وافعلوا به ما شئتم
بعد ذلك

« ويسألونك عن الروح قل الروح »

« من أمر ربى وما أوتيتم من »

« العلم إلا قليلا »

قرآن كريم

هؤلاء أشرف قریش يسرون صوب منزل الرسول فى شبه دائرتين مركزهما النضر بن الحرث وعقبة بن معيط. قادمين من المدينة بعد اداء مهمتهما تتناهبهما الابصار ، وتشع حولهما ابتسامات الرضا والارتياح أشبه ما يكونون بخليتي نحل تحوم وحداتها حول محور واحد . وتنتقل أفرادها فى محيط محدود ومركز معين . فهذا يهينىء بسلامة الوصول. وذاك يتطامن على حسن النتيجة . وثالث يسأل عن قافلته فى طريقها الى الشام للتجارة . والناس على طول الطريق تحرسهم بعيون الغبطة . وتطوف حولهم بأفئدة السرور . يهمس بعضهم فى أذن بعض . وترتفع أصابعهم بالاشارات تصاحبها النظرات - الى السفيرين

وصلوا إلى منزل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فخفتت الاصوات الجاهرة ، وتواصوا بالصمت والاستماع ، كأنهم أمام محراب ، أو بطانة ملك من قادة وحجاب ، فاستيقظت فى رأس الجميع طيوف الحوادث وأشباح الذكريات . فشغلوا باستعراضها ، وغابوا بين ثنياتها (١) وتاهوا فى فصولها

حتى نسوا أنفسهم في مكانهم ، وذهلوا بشواغلهم عن مهمتهم . حتى أفاقهم كثرة العامة حولهم وتزايدهم حول امرائهم حتى . كأن مكة جاءت تستعرض اشرافها . وكأن الجميع قد اتخذوا من هذا البيت الصغير كعبة ومثابة وامنا .. فبرز أبو جهل من بين الجميع يهمس في اذن شيبة ، ثم يرجع إلى الوراء ليوسوس في اذن النضر بن عتبة ، ولعله كان يشاورهم فيمن يستفتح باب الرسول من بين الحاضرين فانبرى لذلك عتبة بن ربيعة ودق على الرسول بابه في أدب وخشية ، ثم سكت يتسمع الجواب فكان ما سمع هو ذلك الصوت الملائكي الشاذى بكلام رب السماء . فعاوده ذلك الحنين الذي كان يلامس فؤاده كلما ذكر جلسته الى رسول الله في المسجد يستمع قرآنه . فدق قلبه دقات هادئة . ورقت أعصابه رقة مرهفة فأفسحت لهذه الموجات مكانا رحبا في نفسه . ومستوى جذابا بين مشاعره فتسنى نفسه كرة أخرى على باب الرسول . والكل ينظر اليه في شغف وقلق . يتعللون لصمته . ويتأولون في ذهوله . ويتذكرون عوائده وخلقه . ثم ذكروا في النهاية تعظيمه لكلام محمد ، واجلاله لقرآنه . فأدركوا سر صمته . فهتفوا باسمه فرفع وجهه فجأة مستيقا من غشيته ، ثم تلفت عن يمين وشمال باحثا عن مبعث النداء ، فألقى اياد تهنئ مستفسرة عن سر صمته فتذكر موقفه ، واستدرك مهمته ، فعاد يدق الباب وكلما زايلت يده مكانها (استسلاما للعاطفة . وحنينا الى الصوت الكريم) هتفوا به من جديد فيدق الباب .

ثم اطل رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم من كوة داره . وقال

— من بالباب ؟ .

ففرغت صفوفهم لصوته . وشخصت ابصارهم لطلعتـه . وتمطلت
السنتهم عن اجابته عدا عتبة الذي تراجع عن موقفه قليلا ثم طالع وجه
رسول الله وأبتسم وقال :

على بابك قریش فی شیوخها . قد جاءتك بعرض جديد .

رسول الله — أرجو الله لهم الهداية والتوفيق .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأهم بالتحية فردوها
عليه ، ثم تقدموا صوبه زرافات ووحدانا ثم بادأه النضر بن الحرث قائلا :
يا بن اخي نعرض اليوم عليك امورا ثلاثة إذا أنت اجبتها لقریش
كانت بك مصدقة .

رسول الله — ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى الى .

عتبة — أجب عليها أو استوح فيها من شئت .

رسول الله — على بما معكم .

النضر — اخبرنا يا محمد عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت
لهم قصة عجب . وعن رجل كان طوافا وقد بلغ مشارق الارض ومغاربها
ثم اخبرنا عن الروح ما هي .

فمسح رسول الله على لحيته يده واطرق قليلا ونظره يندو ويروح
كأنه يستذكر شيئا ثم قال :

— اخبركم بما سألتكم عنه غدا

النضر — نأتيك أو تأتينا يا محمد

رسول الله - إنما بعثت إليكم خاصة وإلى الناس كافة .
ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى داره . وانصرف قريش
إلى نواديها . وأخذ بعضهم ينظر إلى بعض نظرات تشف عن سرور .
وتشع عن رضا بما وصلت إليه الأمور . فظنوا وقد أمهلهم رسول الله
في الإجابة على ما سألوا أن قد أوقفوه موقفا حرجا . واركبوه مركبا صعبا .
ثمذكروا أن هذا من ثمار النضر بن الحرث وصاحبه عقبة بن معيط . فأحاطوا
بهما من جديد ، وأغرقوهما في سيل من الحفاوة والتكريم
ولما وصلوا إلى ناديهم . وأخذوا من الراحة قسطهم تساءل أبو سفيان
معجبا :

ما هذه العلوم التي استأثر بها يهود دوننا . وحملت محمدا على
الصمت والنسيأة (١) ؟ !

النضر - هؤلاء يقرأون التوراة ويعلمون الكثير عن الأنبياء ويحدثون
عن الماضي . ويزعمون معرفة المستقبل .
أبو جهل - وكيف يجيئكم محمد إلى ما طلبتم . وقد عجز بالأمس
عن مثل ذلك .

أبو سفيان - ماتعنى بمثل ذلك ؟
أبو جهل - قد سألتناه أن يسير الجبال ويمجرى الأنهار . وأن يدعو
الملائكة له قبلا .

(١) يقصد التأجيل في الإجابة

النضر - ليس هذا الذى طلبتم بالامس إلا عنت وارهاق . أما اليوم فليس إلا علما ومعرفة فلو قد أجابنا محمد إلى ما نطلب اليوم لكننا به مصدقين .

أبو جهل - مصدقين ؟! ما هذا الذى تقول ؟ تريد شيوخ قریش وساداتها على التصديق بآبن أبى كبشة .

النضر - ويح أبا عكرمة وما فائدة الاثمار والتشاور وتحمل وعناء السفر وركوب متن الغربة ؟

أمية بن خلف - أغلب الظن ان ذلك لم يقصد إلا لسبر غور الرجل عقبة بن معيط - ليس هذا ما قمنا لاجله . وركبنا الصعب فى سبيله أبو سفيان - وفى الحق إننا لم نتفق قبل السفر على ما يجب أن يتخذ فيما لو أجابنا محمد إلى ما نسأل بل تركناها لتقدير الظروف

عتبة بن شيبة - وإذا كان قد فاتنا الاتفاق على ذلك فما هو الوقت الذى ينبغى فيه التفاهم على الخطة المستقبلية فيما لو أجابنا الى ما طلبنا

أبو سفيان - دعونا مؤقتا من تحديد هذا الموقف حتى نسمع قبل ذلك علم يهود فى هذه المسائل الثلاث فانى إلى معرفتها مشوق

أبو جهل - هذا ما كان يدور بخلدى مذوطئت أقدام النضر وصاحبه أرض مكة

أمية بن خلف - وكيف يطرح مثل هذا فى حجر نادينا... فلعل خبره يتسرب الى محمد . فنفقد ميزته ونخسر معه كل ما بذلنا من جهد فى سبيل الحصول عليه

ابو جهل - لعله ليس يبتنا من له خبيثة أو نخشى منه عثرة اللسان .
وإذا كان ولا بد من احكام الرتاج وتضييق الشئون . فلا علينا من ابعاد
الخدم عن مجال الخدمة . وتعليق الأبواب دون السادرين والصادرين (١)
ثم أهاب أبو سفيان بالخدم فخرجوا وأمر باغلاق دار الندوة ثم استعد
النضر ابن الحارث لما سيتحدث فيه وقال

حدثنا احبار يهود أن الفتية كانوا في حاشية الملك الظالم دقيانوس
فراضهم على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا الا الايمان بالله ثم هربوا إلى
كهف بالقرب من مدينة إقسوس فدخلوه ودخل معهم راع مع كلبه فناموا
نوما ثقيلا مئات السنين إلى أن اقترض عهد هذا الملك الظالم وحل مكانه
ملك صالح فأيقظهم الله وأخذوا يتساءلون عن مدة نومهم فقطع حديثهم
أحدهم وقال دعونا من مثل هذه المناقشة وأرسلوا واحدا منكم يشتري لنا
طعاما من المدينة وكانت معهم نقود فضية من عهد الملك دقيانوس فلما رأى
بائع الاطعمة هذه النقود معه ذهب به إلى دار الملك فظن الملك أن هذا
الرجل قد عثر على كنز ثمين فانطلق مع رجال مملكته إلى الكهف بصحبة
الرجل الذي أطالت السنون من شعره وأظافره حتى أصبح في حالة مرعبة
فلما ذهبوا إلى هناك وجدوا سكان الكهف على مثل هذه الحال ثم قصوا
عليه قصة حياتهم وسبب التجأهم إلى هذا الكهف ثم قصة نومهم العميق
ثم بعثهم بعد ذلك أحياء ثم استدعوا الملك وعادوا إلى مضاجعهم وتوفوا
بين يديه فألقى عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد منهم تابوتا خاصا به

الحارث بن النضر من النادر والد اخلين فيه

من ذهب ثم رآهم في المزام كارهين للذهب فاستبدل بالذهب الساج وبنى
على باب الكهف مسجدا

ولعلمها كانت عظة لامة هذا الملك وكانت قد انقسمت على نفسها
حول أمر البعث بعد الموت فقد كان بعضهم ينكر ذلك وبعضهم يثبتة أما
عدتهم فسته وسابعهم كلبهم

أبو جهل - ان أحبار يهود يتحدثون بمثل كلام محمد ! وإلا فكيف
إذا متنا وكنا ترابا وعظاما نعود بعد ذلك أحياء ؟ !

النضر - هذا ما قاله أحبار يهود ولعلمهم صادقون . وإلما الذي جمعهم
مع محمد على هذه الآراء ، وما تعلم في مدرسة ولا عرف إلى القراءة طريقا
ولا جلس مجلس التلميد منهم ولا من سواهم ، فقد عاش فينا وعرفنا حياته
طورا بعد طور فليس بعيدا أن يكون محمد على صلة بمن حدث موسى وعلم
قومه هذا الكلام

أبو سفيان - دعنا يابن الحرث من شرحك الآن وتفسيرك وحدثنا
عن الرجل الذي كان طوافا بين مشارق الارض ومغاربها

النضر - حدثنا أحبار يهود انه كان عبدا صالحا يدعى الاسكندر
وكانت خلفه جيوش جراحة ذات عدد وعدد لم يترك من الارض معمورا
إلا وطئه ، ولا مسكونا إلا جاس خلاله ، وكان يدعو الناس إلى التوحيد .
فقاتلوه وقاتلهم وكان كلما قتله أعداؤه أحياء الله ليواصل دعوته . وقد بنى
سدا عظيما من النحاس والحديد بين جبلين كبيرين

أبو سفيان - يظهر أن أحبار يهود أصيبوا بالخرف كما أصيب صاحبنا

وانك يابن الحرث أصبحت على مقربة منهم ، وإلا فكيف يحيا إنسان ثم يموت ثم يحيا ! وما علمنا بهذا في آبائنا الأولين . وكيف جمع الاسكندر من الحديد والنحاس ماسد به بين جبلين شائخين . وكيف أذا به والنحاس بين أيدينا فوق النار كل صباح ومساء . فما انصهرت له عارضة ولا ذابت له صفيحة . ومع هذا فهات سيفك وضعه في اتون من النار فانه لا يلبث أن تحمر صفائحہ ، ولكنه لا يذوب . فاذا زایل النار عاد كما كان بعد قليل النضر - هذا والله ما سمعته من يهود . وليس هذا يعيد مادامت هناك

قوى لم نصل اليها بعد

أبو جهل - مقاطعا ..

ياشيخ كفى كفى !! حسبنا وأبك لقد سقطت قيمة هذه المشورة لعنت يهود وأجبارها وما حولها

الاسود بن المطلب - ألا ترى ياأبا الحكم انه سواء علينا أكان ما جاءنا من أجبار يهود صدقا أو كذبا مادام ذلك يوقف محمدا هذا الموقف أبو جهل - ولكن ذكر مثل هذه الانباء وتكرارها قد يجعلها مألوفة على آذاننا . وآذاننا الآن تعاف مثل هذا الخرف والتخبط

عقبة بن معيط - قد يكون هذا صحيحا الى حد ما . ولكن هذه رغبتكم في تعرف ما حملناه اليكم من يهود .

أبو جهل - هذا صحيح . ولكننا لم نكن نفهم انكم ستحملون البنا مثل هذا الخلط .

عقبة بن معيط - هذا هو الذي سيعقد لكم لواء النصر على محمد ومن

معه . وهو الذى أهمه اليوم وأحزنه .

أبو سفيان - على أى حال هى كأس مريرة .

عقبة - وإن كان لا بد منها

أبو جهل - على أن هذا لا يمنع من أن نعرف المسألة الثالثة .

النضر - أما أنا فحسبي قريباً ؟ ! بعد أن كنت فيكم منذ

ساعة بين الاحداق .

عقبة - وأنا لا أعرف من أمرها شيئاً .

أبو جهل - حدثونا على أن تجردوا الاجابة من شعوذة اليهود

أبو سفيان - نريد أن نعرف المسألة قبل أن يجيب محمد فنستطيع أن

نوازن بين الاجابتين فى الوقت المناسب

النضر - فى الحق اننا لم نلتق من يهود بخصوصها شيئاً . فهو سؤال

لا جواب له عندنا أو عندهم

تتابعت اجتماعات قريش فى ناديهها كل مساء . وكلما وفد (شريف) على

المجلس تساءل فى استخفاف هل من جواب ؟

فيتضحك الكل ويميل بعضهم على بعض كالسكارى ثم ينفرد أبو جهل

بالرد ويقول لقد خاصمته آلهة السماء !

فيعود الصخب والتضحك من جديد وبين هذه الضجة كنت تسمع صوتاً

يقول فى غنمة الثمل . لله ابوك يا بن الحزث . هو الذى هباً لنا كل هذا السرور

نبيه بن الحجاج - ولا تنس صاحبه

السكران - وابن معيط شريك النضر بدوره ستذكره قريش ما ذكرت
هذه الليالى الزهراء .

ابو سفيان - لا تنسوا يامعشر قريش انه هذه الليلة تكمل اربع عشرة
خلت على (غدا) محمد الذى وعده . وان (غده) هذا قد امسى دهرآ
لا نطبق عليه اصطبارآ ، فلما أن يأتى فيعلن جهله بما سئل . ويعلم بذلك تخليه
عن دعوته التى شق بها صفوفنا . واما ان يجيئنا فيكون حدآ فاصلا بين
زعمه وزعمنا ..

السكران - امهلوه حتى تأتية بنات (١) الله بالجواب ولكن كيف تنزل
بنات الله ويخطرن على الارض قبل أن يزججن الحواجب والعيون

* * *

هذا مساء اليوم الخامس عشر من وعد رسول الله لقريش بالاجابة
الى ما طلبوا . وهذه أصوات العامة تطوف حول بيته وترسل عيونها إلى
نوافذه . تحمل الغمز السمج . واللمز النابى

وهذا رسول الله بين يدي ربه . تارة ساهم غارق في بحر آماله . وتارة
أخرى يتحدث في وسوسة وخفوت ، وثالثة ساجد صامت وان سمع لقلبه
لحن الوجيب ، ورابعة يزفر حارآ ويقول :

إليك يارب اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس
ومرة خامسة - يستقبل بيت المقدس (٢) يتلو آيات الذكر الحكيم فى

(١) كانت قريش تزعم ان الملائكة بنات الله .

(٢) كان هو القبة الاسلامية الاولى

ثم قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)
وبينا كان رسول الله يتلو كتاب الله عليهم كان فريق منهم قد أخذته
نشوة الطرب لجرس هذا الكلام ووقعه على نفسه فراح يهز يمينا وشمالا
وأسلم فريق آخر جفنه لعالم من التفكير في سمو هذه المعاني . ورقة هذا
الاسلوب . واطرق فريق ثالث حتى غرق الى الاذقان في بحر من اللذائذ
الروحية التي لا صلة له بها من قبل . وأبو جهل وأبو سفيان وعكرمة يرمون
هؤلاء جميعا بنظرات كالشرر . وزفرات كابخرة الجحيم
وما انتهى رسول الله من قراءته . حتى صاح النضر وعقبة في صوت
واحد كأنهما على وفاق في ذلك وقالوا

— هكذا والله قال احبار يهود وزاد كلام محمد صدقا وجمالا
فجحظت عينا أبو جهل وولده عكرمة وأبو سفيان بن حرب .
واحمرت وجوههم حنقا وغیظا واتقدت صدورهم بالحسد والحقده على رسول
الله لحسن توفيقه الى ما جاء به

النضر — ما رأيكم في الذي تلى عليكم ؟
أبو جهل — لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
فانصرف رسول الله محزوننا تشيعه عيون الحقده والكراهية ثم ساد
المجلس صمت رهيب لم يشقه سوى صوت أبي سفيان يقول
والله لقد ضاق بي الفضاء وأظلمت الدنيا في وجهي ولا أدري ما أنا
فاعل بعد اليوم . . اننا ان ناظرناه غلبنا . وان خاصمناه انتصر علينا . لقد
انقطعت بي أسباب الخيل

الاسود بن المطلب - لقد ظننا أن قد ظفروا بعد هذا الصمت الطويل
نبيه بن الحجاج - ولكن ما الذى حمله على كل هذا الصمت . حتى
أطمعنا فى كنفه وحرك ألسنتنا فى عرضه ؟

عتبة بن ربيعة - قلت ولم يرقكم قولى . إن رب محمد لا يصح أن يكون
ظلالا لمحمد ، ولا صدى لكل رغباته ، والا لا تقلبت الأوضاع ، فالذى خلق
هذا الرجل وأرسله لابد وأن يكون أعظم منه وأحكم تدبيراً . فهو يمدّه
حيث يجدى المدد . ويزوده حيث ينفع الزاد . ويميره حيث تكسبه الهيرة
موقفاً جديداً .

أبو سفيان - متهمك - وأين هذا الموقع الذى كسبه فى معركة اليوم
عتبة - سل نفسك . . لماذا كنت مغيباً محققاً
أبو سفيان - متهمك أيضاً - ولماذا كنت كذلك ؟

عتبة - لأنه لم يكن بين أكثر الحاضرين وبين الاسلام إلا خطوات
ألم ترمم ما بين مشدوه حلم . ومطرق سامم . وطروب هائم . . . بخمر
ما كان يقول محمد

الأسود بن المطلب - إذن قد عرفنا سلاحه فعلياً ألا نتمكن أحداً من
سماع قرآنه والا تفلتت منه قريش تفلت الابل من العقال

عتبة - وما نصنع فيما أخذ عنه واستظهر منه ؟
أبو سفيان - نلغو فيه ونمن فى اللغو ، ونلحد فيه ونشتد فى الالحاد
عتبة - نجحتم إن صدقتم .

« وإذا ذكرت ربك في القرآن »
 « وحده ولوا على أدبارهم نفوراً . »
 « فحزن أعلم بما يسمعون به إذ »
 « يسمعون إليك وإذ هم نجوى إذ »
 « يقول الظالمون إن تبعمون إلا »
 « رجلاً مسحوراً »

قرآن كريم

هذا أبو جهل يسير في الضحى صوب الكعبة . وقد تدلى نصف عباءته على الأرض لا نشغاله بصفرة غدירתه . يتابعه ظله المديد . ويحاكيه في كل حركة وسكون . ثم أخذ بذيل عباءته وهزه بقوة في الفضاء . ثم أعادها إلى مكانها من منكبه المريض ، وعلى امتداد الطريق التي مر بها كان يحاذيه أخذود (١) يستقيم أحياناً وينعرج أخرى ليس إلا أثراً من آثار ذبابة (٢) غمد سيفه ، وبينما هو يشد حمائله ويؤكد منطقته (٣) صافح أذنه صوت يقول :

- عم صباحاً يا أبا الحكم

فالتفت إلى يمينه بسرعة خاطفة فآلفاه أبا سفيان . فرد عليه قائلاً :

- نعمت ونعم بك بنو أمية يا أبا حنظلة . . لقد وافيت حيث تطلب .

ولعلك قد أدركت سر عطف عتبة بن شيبه والنضر بن الحرث على دعوة محمد

ولعلك أدركت أن لهذا القرآن الذى يدعيه من السماء أثراً عميقاً في نفوس سامعيه .

أبو سفيان - هذا ما أعلمه . ولكن كيف السبيل إلى مجاهدة هذا أيضاً أبو جهل - أن نطالب وصول الناس إلى حيث يستمعونه . فنحرس ماحول المسجد . حتى لا يصل صوته إلى الناس

أبو سفيان - ولكنها طريق العبادة وسبيل إلى بعض الحوائج . أبو جهل - لا أريد أن نأخذ الطريق على الناس . ولكننا نجاهد الوقوف بالقرب منه إذا ماجأ إلى صلاته أف له هذا هو . . . قد جاء في صمت الداهية ومشية الجريء الثبت (١) فاصمت حتى يمر . أو فلنبادر لننثر رجالنا حول المسجد حتى يقفوا دون الناس . أبو سفيان - هيا ولنبادر بتنفيذ الخطة

دخل رسول الله إلى المسجد ووقف في مقام إبراهيم يتأهب للصلاة . وقتيان قریش تثب كالثعالب هنا وهناك ، حتى غدا المسجد في شبه حصار محكم . فلفت وقوفهم أنظار السابلة ، ودنت الأفواه إلى الآذان بالوسوسة فأدركوا سر الحصار . ولكن صوت رسول الله بالقرآن لم يدعهم في تأملاتهم طويلاً حتى صافح آذانهم ، فوقع من نفوسهم موقع السحر . ومن صدورهم مكان العذب الفرات ساعة ، الهجير ، فاسترخى نشاطهم ، وأنساهم حاجاتهم وصرفهم إلى حيث ينبعث الصوت الساجي الرخيم . فهتف بهم عكرمة قائلاً - ليتجه كل إلى بغيته التي قصد . . . فنظروا إليه ثم نظر بعضهم إلى

بعض ثم فكروا في حيلة للاستمتاع بهذا الجمال هنية

فأخذ أحدهم يتشاغل بربط سيور خفه واقتدى به الثاني فأخذ يتظاهر
بالبحث عن شيء فقدته ، وبدأ الثالث يجمع حصيات من الأرض لحاجة في
نفسه وإن لم يكن لواحد منهم على الأرض من حاجة ، ولكنه جمال القرآن
تنفته روح محمد لالسانه ، ويغمته قلبه لاصوته ، فهز الأثير (١) هزاً ، ويزلزل
القلوب زلزالاً ، ويشيع في الأجسام لذائد ضافية من حيث لا يدري أحد من
أين دخلت إليه .

ثم دنى أبو جهل من بعض الأشراف مجتممين وقد أخذته الدهشة
والمعجب وقال :

- أستمع ما يقوله محمد في صلاته ؟

أبو سفيان - وماذا قال يا أبا الحكم فأنك أوعانا ذكراً وأسرعنا حفظاً
أبو جهل - كأنه وحقك يرد علينا فيما أخذناه عليه بالأمس في حديثنا

عن حراس النار التسعة عشر

أبو سفيان - لم أكن بالأمس بينكم فماذا قلتم في هذا الصدد ؟

أبو جهل - إن محمداً كان يحذرنا النار وحراسها التسعة عشر . فهزئنا

منه ومن حراس ناره . مادمننا مئآت وألوفاً ويم تسعة عشر حارساً فحسب
قسمته اليوم يقول :

(وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين

كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً)

(١) أرق عناصر الهواء

أبو سفيان - كأن محمدا لا يسمنا بالكفر من عند نفسه . بل ربه
الذى يعلمه ذلك في قرآنه

أبو جهل - وانا لنفخر بهذا الكفر الذى ينمنا به . ما دام
لا يدعونا الى الايمان بالمستحيلات . والا فمن ذا الذى لا يعظم عليه أن
يصدق بحياة الاموات وبعضهم من جديد لحساب يختم بجنة أو نار !!
أبو سفيان - انه لا يقول ذلك فقط . بل سمعته بالأمس حول داره
يتحدانا في ذلك تحديا عنيفا فيقول

(قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقا مما يكبر في صدوركم . فسيقولون
من يعبدنا . قل الذى فطركم أول مرة فسينفضون اليك رؤوسهم ويقولون
متى هو . قل عسى أن يكون قريبا)

النضر بن الحارث - كأنكم وقد أخذ عليكم قرآن مجيد كل مشاعركم .
رحم تختلفون لسماعه . تارة حول بيته وأخرى حول المسجد . ثم تأتون
فتحرمون على الناس الدنومنه !!

أبو جهل - لا وحقك يا أخاه انى سمعت منه ماسمعت عرضا . وبحكم
قربى من مكانه الذى وقفت فيه

النضر - وحرصك على استظهار قرآنه ليس إلا من قبيل التفكه على
ما أظن !!

أبو جهل - هذا تهكم لا ذع . ولا أعتقد أن مثلى بلغ من الهوان إلى
أن يقف موقف الحساب

النضر - لا يشك أحدا يا أبا الحكم في صدق وفائك قريش . ولكنى

أريد أن أقول . لقد سحرك بدورك !
أبو جهل - وهذا مالا أثبته أيضا لاني (تمويذة) ضد السحر والسحرة
النضر - لعلك نسيت خطبك يوم الصخرة التي حملتها لتصرع بها محمدا
أبو جهل - إن حياتي إلى اليوم بعد ظهور ذلك الفعل ومحاولته
التقافي لسر جديد ، ولو كنتني . لكنني الآن حرضا في الارض أو رمادا
تدروه الرياح

أبو سفيان - لا محل لهذا التلاحى العنيد على قارعة الطريق
النضر - وأنت يا أبا سفيان ، كيف استظهرت عن محمد آية البعث
والنشور؟ فإذا كان أبو الحكم قد استظهر ما استظهر تقرب مكانه من محمد
اليوم . فكيف حفظت عنه ذلك وهو في داره بالأمس ؟
أبو سفيان - لم يكن مروري الامرورا عابرا حملت زهاده اليكم هذه
العبارات لعل فيها ما ينفعنا فيما نحن إزاءه مع محمد
النضر - فلنتعاقد إذن على أن لا نسعى لسماع قوائمه وأن نقف دون
الناس في ذلك حتى ينصرف عنا أو ننصرف عنه
أصوات تعاقدنا على ذلك . ولتشهد علينا آلهة الكعبة

اعتكف رسول الله أياما في منزله . فكان لا ينتهي من الصلاة الخاشعة
إلا إلى التلاوة الضارعة ، ولا يوقف التلاوة إلا إلى حلقة من أصحابه . قد
جلسوا في حجر داره يرتقبون طلعه ارتقاب التائه في بطن الصحراء ظهور
النجوم الهادية ، وتأمل الملاح الضال حوأم العمران وطواره الآهله . حتى
إذا ظلم عليهم وقفوا لهيته فأحاطوا بهولته وأنصتوا لخطوته فلا يشق هذا

الصمت الا صوت رسول الله دارسا أو محفظا . ولا يخرج من مقام التعليم
الاحبوا أولاده الصغار وتسلقهم ظهور صحابته . فتتخلل ذلك فترة مرج
يمتزج فيها المزاح البريء . بالتشريع العالى . والدعاة العفة . بالترية السامية .
والتدليل الكريم . بالاخلاق العظيمة

وينما يدارس محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه فى سورة الرحمن قال
عنه حمزة .

والله ما سمعت قريش هذا الكلام يجهر لها به حتى أصاحت آذان
وتوطأت أكناف . واستسلمت لجرسه نفوس . واستهوت لصقله قلوب .
فهل من رجل يسمعها إياه حتى يخرج رسول الله إليها
أبو بكر - ومن لها سواك

حمزة - ولكنى حديث عهد بالاسلام ولا أحفظ منه إلا القليل
عبد الله بن مسعود - أنا لها وابن بجدة
حمزة - انا نخشاهم عليك وليس لك من عشيرة تمنعك منهم
ابن مسعود - دعونى فان الله سيمنعنى

وينما قريش تسمر فى نوادها . إذ شق عليهم مكانهم صوت يحمل
كلما أشبه ما يكون بما يسمعون من رسول الله . موزون
السجع . متسق الحلقات ، مترابط العبارات . مصقول اللفاظ . منسجم
الاسلوب ليس بشعر ولا نثر ، بل فوق ما تعودوا سماعه من خطباء ذى
الجنة والمجاز وحلبات عكاظ (١) ففرع عكرمة فزعة أشبه ما تكون بمن به

(١) أسماء ثلاثة لبعض أسواق الادب عندهم

جنة (١) وذهب يتعرف من هذا الذي خالسهم، ودخل الى المقام يتلو قرآن محمد . وليس بمحمد .

ذهب اليه فعرفه ثم عاد فابتدره أبوه قائلاً :
من هذا الناعق داخل المسجد كالغراب
عكرمة - هارثا - هذا القزم (٢) عبد الله بن مسعود
أبو جهل - أمه مجلة (٣) أم يقرأ من عند نفسه

عكرمة - ان معه اقحافا وخزفا يقرأ فيها كلاما أشبه ما يكون
بكلام محمد . .

أبو جهل - وكيف اجترأ ابن أم عبدة (٤) على أن يجهر بين نواديها
بما نكره . فوحق الالهة لاسون الارض به ثم سارع اليه وخلفه الكثيرون
وأخذوا يضربونه على رأسه ووجهه . وهو ممن في القراءة لا ينظر
اليهم ولا يتوسل ولا يتوقف حيث يريدون منه ذلك . حتى أصابوا
وجهه بجراح وتخضب ما بين يديه بدمائه ، ولم يقطع تلاوته حتى انتهى
من حصته في سورة الرحمن ثم عاد الى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالفاه بين اصحابه . فابتدره حمزة قائلاً :

هذا الذي خشيناه عليك منهم .

-
- (١) جنون
(٢) القصير القامة
(٣) صحيفة
(٤) يميرونه بسواد ابيه

ابن مسعود - والله ما كان اعداء الله أهون على منهم في وقت من
الاقوات هو انهم على اليوم . ولئن شئت لا غادينهم (١) بمثلها غدا
أبو بكر - لا .. حسبك قد استمعتهم ما يكرهون

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضمد جراحه ويمسح عليها وهو
يقول في سبيل الله ما لقيت يا ابن مسعود فغادت جراحه كأن لم تكن شيئا..

انتصف الليل إلا قليلا . وقام أشرف مكة الى منازلهم . ولم يبق
منهم إلا ابو سفيان وأبو جهل والخنس بن شريق وابن وهب الثقفي
وكل منهم يدور في رأسه سؤال ويعلو لسانه استفسار يريد أن يوجهه
الى صاحبه عن سر بقاءه الى مثل هذه الساعة رغم دخول الوقت وقرب
انتصاف الليل . ولكنه لا يلبث ان يعود الى نفسه ويقول محدثا اياها
قد يكون الذي أقعدهم الى مثل هذه الساعة ، هو الذي أقعدك ! وبماذا
تجيب لو وجه اليك مثل هذا السؤال ؟ ! .

فيعود كل إلى صمته ويسرح نظره في صاحبه ثم يعود الفضول فيحفره
إلى التساؤل فيرفع رأسه من جديد . يدور فيها هذا الاستفسار ثم يفتح فيه
سائلا . ولكنه لا يلبث أن يطبقه فرقا من شبح الجواب

فرأى أبو جهل بد كائه . اني ينتشل نفسه ومن معه من هذا الحلم
المخيف ، فاتخذ من حوادث الامس فصلا للسمر والسلوى اعلاه يظفر بطرف
من نوايا الجميع فقال :

« ١ » اذهب اليهم وقت الغداء

— لقد شفيينا بعض ما بنا في ابن أم عبدة بالامس
الاخنس بن شريق — وما ذنب هذا المسكين لقد وقع
فيما وقع فيه سواه .. ،
أبوسفيان — ليقع من شاءه الوقوع، ولكن على أن لا يكون ذلك على حسابنا
ابن وهب الثقفي — ولكني وتحقكم قد أشقت عليه من شدة ما نزل به
أبو جهل — ليتعظ سواه به ، سيما وقد غاظني منه أني لا أدرى كيف
دخل إلى المسجد دون أن يشعر به أحد ، رغم ارضاد الطريق
ابن وهب — ضاحكا — وكيف لا ، وهو ناحل قميء (١)
أبوسفيان — غير أنه ذو صوت ندى ، وجرس شجي
الأخنس — بل أجمل منه ما كان يقوله
ابن وهب — لاشك أن ما يقول محمد وأصحابه فوق طوق البشر
أبو جهل — وهل يقول محمد إلا أساطير الأولين ؟ !
أبوسفيان — كأنك توافق ابتداء على جمال ما يقول محمد . وإن
بخالفت في انه من كلام رب السماء
أبو جهل — يطرق — ثم يقول تقريبا .. على أني أقول هذا بيننا فقط ..
أبوسفيان — ولكن أساطير الأولين قد حفظها رهبان النصارى
وأجبار يهود وقد سمعوا جميعا ما جاء به محمد فلم يتهمه واحد منهم بذلك .
أبو جهل — قد اتهمه بذلك كهان قریش وهم منا بمنزلة أجبار من
يهود . والكهان من النصارى

(١) نصير

أبو سفيان - ان كهانتا ليسوا أهل كتاب وما عرفوا تاريخ الأنبياء
فهم جماعة يستقسمون ويستندفون (١) فقط. فهم أبعد ما يكونون عن تعرف
سير الاولين وأساطيرهم . والا فلماذا التجأنا إلى أحبار يهود بالأمس
لمرض قضيتنا مع محمد عليهم .

أبوجهل - هذا صحيح . ولكني لا أستطيع ان أنكر على هذا الكلام
جهاله وتنسيقه ، سواء أ كان من عند محمد أو من السماء . على أن يكون هذا
ميننا فقط .

الأخنس - هذا وأبيك ما اعتقد

بن وهب - هذا ما كان من أمس والليلة ، وماذا نصنع غدا ؟
الأخنس دعنا من الغد حتى يخلق الغد . وهيا بنا الى المضاجع فقد
اتصف علينا الليل . ثم سلم كل على صاحبه وانصرف وقد زعم كل عن
الآخر أنه قد ذهب ليصيب قسطه من النوم والراحة ، فساروا بين الافنية
والدروب . وغابوا بين المنازل والربوع . حتى ظهروا أمام بيت رسول الله
فوقهوا دونه تحت قبة الظلام يتأملونه ساكنا كالليل . وادعا كالوداعة متواضعا
كالتواضع . تطوف حوله ذكريات الحوادث الخالصة . وتجم عند بابه
قريش . وبشع من كواه الضيقة . نور مصباح حزين . وينبعث من فجواته
صوت موسيقى ساحر . تكاد ترقص له جوانب الليل . وتراعى حواشيه
حوله ، لم يحدد رخامته لحن . ولم يقس بانسجامة غناء ، فأنسل كل منهم الى
حيث وقف متلفعا بالنفس (٢) يتلفت يمينا وشمالا كأنه لص هارب أو شرطي

«١» يقومون بخدمة الامم «٢» الظلام

ينتظر الإيقاع بفرائسه ويتسمع القرآن فيهم بنظمه ، ويحقق لوقعه . ويستبطن .
 له الزمن . ويحرص على أنفاسه لا يخرجها إلا بقدر . حرصاً على كل ما يشدو
 به رسول الله حتى إذا امتدت يده الطبيعة تمسح من لوحة السماء
 بعض النجوم . وتنفس الفجر عن زفرات السديم تطارد سحابة الظلام ،
 جمع كل منهم رداءه وتلفع بفضل طيلسانه (١) وتلفت يمينا وشمالا حتى إذا
 لم يجد ماراً ولا سارياً اندفع إلى بيته فاتفق أن اصطدم كل بصاحبه
 وهو في طريقه إلى ما يقصد فنظر بعضهم إلى بعض مبهورا . ثم ألقوا دفعة
 واحدة بحركة واحدة . كأنما يفكر كل منهم في طريقة للخلاص . . . وكيف
 ذلك والذنب مشترك والأدلة قائمة . والاحساس بالجريمة يعقد الألسنة .
 وينيب الشجاعة ، ولكن أبا سفيان قد تشجع ورأى أن خير وسيلة للدفاع
 هي الهجوم . فسأل أبا جهل قائلاً :

- من أين أت يا أبا الحكم ؟

- أبو جهل - كنت في زفاف عفراء بنت سعد سيد بني النضر

أبوسفيان - وأنت أين كنت ؟

الأخنس - لقد ذكرت وأبيك بعد أن غادرتم الليلة أن أعود أحد
 بني عمومتنا في مرضه لا نشغالي نهاراً ، فذهبت ولا زلت أعالجه وأمرضه حتى
 هذه الساعة . وقد تركت أهله حوله في حالة أسيفة

ابن وهب الثقفي - وأنت بدورك أين كنت إلى هذه الساعة ؟

أبو سفيان - كأنك تريد أن توقفني موقف المسئول منك وأنا من أنك

(١) ما يلف على الرأس والعنق معا

كأبرأ عن كابر فخرى بك أن لا تعود إلى ذلك . وإلا فوجه هذا إلى نفسك
وأجب عليه ثم سلني بعد ذلك

ابن وهب - دعك من هذه المقالطة فاني أقسم باللات والعزى ما كان
واحد منكم حيث زعم .

ثم انصرفوا إلى دورهم . وفي الليلة التالية أخذ كل منهم مكانه الذي
لما إليه بالأمس وقد ظن أن أحداً لم يره ولن يراه . وأسلم أذنه ومشاعره
إلى الصوت الذي جازف بسمعته ومقامه بين قومه من أجله ، وما ان
أغمضت النجوم جفونها ، ومزقت الشمس قبابها ، حتى أخذوا يبالغون في
التنكر ، ويمعنون في التخفي ، ويتسللون في هدوء . فتلاقوا مرة أخرى
فوقفوا إزاء بعضهم أشباحاً صامته حتى شق سكوتهم صوت ابن وهب الثقفي
قائلاً لعل مريضك لا يزال يعانى مابه !

ابن شريق - في استحياء - لعله كذلك

ابن وهب - ولعل عروس الأمسى يا أبا الحكم قد آجبت الليلة غلاماً
فرحت بهدايا الميلاد ! ! فلم ينبس أبو جهل ببنت شفة
ابن وهب - وأنت يا أبا سفيان حدثنا وأبيك عن مشاهداتك الليلة
وأخبارك الطريفة فاني لا أريد أن أوقفك منى موقف المسئول

أبو سفيان - في دهاء - يالك من غيور على قضية قريش . لقد أسر
إلى بعضهم الليلة أن محمداً سيذهب في جنح الليل إلى الطائف ليعرض
نفسه على أهلها ويدعو الناس هناك إلى الاسلام . فرأيت أن أنهس حقيقه
الأمر بنفسى . فألفيت محمداً غارقاً في صلاته وقرآنه . وكما سمعت تلاوة

أيقنت بوجوده ، فأزداد إيماناً بكذب مبلغي هذا الخبر
بن وهب - ولكننا وضهنا لهذا الأمر حلفاً أو ما يشبهه على أن
لا نتسامع قرآنه وأن نحول يئنه وبين الناس
أبو سفيان - مادام هذا الذي قبت به وأمثاله لا ينظر اليه بعين الرضا
والارتياح . فما على من بأس في أن أستريح وأن أترك الدار تنعى من بناها
بن وهب - دعها أنت تنعى من تنعى . فانه لو رآكم سفهاؤكم على مثل
هذا الحال لتأبونا فيما نفعل ولستقط سلطاننا عليهم . بل لاستحالت دار محمد
كعبة جديدة يحج إليها أهل الحضرة والوبر

ثم نصافحوا وأخذ كل طريقه إلى بيته وهو بعض أصبع الندم ، على
سوء المصادقات التي أماطت اللثام عما كان يظن أنه سبطل سرّاً مكتوماً

وفي مثل الساعة التي يذهبون إليها شاقهم الذهاب إلى حيث ينبعث
سحر القرآن ولكن شبح الفضيحة يبرز لهم حيناً ويختفى أحياناً . حتى إذا
غلب الشوق الملح شبح الخوف وشدة اللامة . ذهب كل إلى حيث جلس
البارحة . وظلوا مأخوذين مشدوهين سكرى بجمال القرآن . حتى هددتهم
الشمس بكشف الحجاب فمكس كل طريقه الذي اعتاد الرواح منه . فراراً
من المصادقات السيئة التي تحالف الجميع . فكانت النتيجة الحتمية أن التقوا
مرة ثالثة . . فرأى أبو سفيان أن يعاجلهم بالسؤال على عادته الأولى في
المهجوم قبل الدفاع فقال :

— من أين وإلى أين يا بن وهب

ابن وهب - من المكان الذى كنت فيه . وإلى مثل ما أنت
ذاهب إليه

أبو سفيان - وأنت يا أبا الحكم ؟ .

أبو جهل - دعونى أقول الحق . فما أريد أن أكذبكم ولا أحب أن
ألتوى بكم . إنه ليسوقنى قرآن محمد مذسمته . وأشمر نحو نظمه بحنين
عاصف . وحب ملح

ابن وهب - ولكن كيف يكون المصير لو علم الناس بأمركم . بل
كيف ترضون ضماثركم بينكم وبين أنفسكم إزاء ما تعاقدتم به
أبو سفيان - أئحدث نفسك أم تخاطب الجميع ؟

الاخنس - يظهر أننا جميعا مرضى بهذا الحب . والحقيقة أن المأقبة
ستكون وخيمة فيما لو شاهدكم عامتكم أو علموا بأمركم . فلنتعاقد منذ الآن
على عدم الحضور مرة أخرى بعد ذلك

أبو الحكم - هناك فلنتعاقد أمام الآلهة . حيث تقضى بقضاءها على
من يخون هذا العهد من جديد

أغمض رسول الله جفنه وتصبب منه عرقه . ثم أخذ يحرك شفته فى
خفوت وهمس . وأصحابه يحوله يتواصون بالصمت . ويرمقون رسول الله
ويحبسون أنفاسهم حتى لا يقطعوا عليه جبل الوحي . ثم فتح
رسول الله عينيه ومسح عرقه وأقرأ قومه السلام ، ثم ابتسم وقال : لقد
أقرأنى أخى جبريل قوله تعالى

« وإذا ذكرت ربك (١) في القرآن وحده ولوا على أديبارهم نفوراً
نحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمو
إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً »

فعرف الصحابة ما يدور حول بيت رسول الله ليلاً . ومبلغ تأثير
القرآن في نفوس أعدى أعدائه فضلاً عن سواهم وفرحوا بذلك أشد الفرح
وازدادوا به إيماناً على إيمانهم

« وضربه لنا مثلاً وتسى خلقه »
 « قال من يحيي العظام وهي رميم »
 « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة »
 « وهو بكل خلق عليم »

قرآن كريم

ودخل على المجتمعين العاص بن وائل فأشاروا بأصابعهم نحوه مهللين
 متضاكين حتى علت صيحاتهم ، واختلطت أصواتهم .. وإن كان صوت
 الوليد بن المغيرة يسيطر على كل ذلك في قمة راعدة .. وكما أراد التحدث
 إلى العاص بن وائل غلبته ضحكات أشبه ما تكون بهمة القرد الهرم ..
 ثم غلبه الجدة على نفسه وقال :

حدثنا يا ابن وائل ماذا قلت لصاحبك (خباب) ؟

العاص بن وائل — لقد علمتم اذن ما كان من أمري وأمره . والا
 لما ضحكتم لمقدمي ..

الاسود بن عبد المطلب — انها وحقك نادرة مستملة وانها لتكون
 أكثر ملاحاة لو سمعناها من أفك

العاص — جاء إلى (خباب) هذا يطلب ديناً له في ذمتي ثمناً لأسياف
 ابتعتها منه . فقلت له . أليس يزعم محمد صاحبك هذا الذي أنت على دينه
 أن في الجنة ما يبتنى أهلها من ذهب وفضة وثياب وخدم ؟ فقال :

بلى .. قلت له انظرنى إذن الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك
الدار . فأقضيك هناك حقك . فوالله لن تكون أنت وأصحابك آثر عند
الله منى . ولا أعظم حظاً فى ذلك

فتضاحك القوم وتمايلوا وتمازجوا .. ثم واصل العاص كلامه وقال :
والأدهى من هذا والامر أن محمداً يزعم أن الوحي قد هبط عليه بتأنيبه
وهجائى . وان ربه قد قال له فى شأنى : (أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال
لأوتين مالا وولدا . اطلع على الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً . كلا
سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً . ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) .
فقابل القوم حديثه الاخير بجو أقرب الى الجدل منه الى المزاح . ثم
أخذ بعضهم ينظر الى بعض . كأن كلا منهم أراد أن يقرأ فى وجه غيره
الآثار التى أحس بها على أثر التلاوة .. ثم واصل العاص حديثه وقال :
ثم زعم أن جبريل قد نزل عليه بكل هذا اثر انصراف (خباب) كأن
جبريل كان خلف بابه !!

فتضاحك القوم فى فتور

ثم تحدث ابو جهل وقال :

اضحكوا .. اضحكوا اليوم كثيراً !! كأنكم فى غفلة عما استطعمونه

من شجرة الزقوم يوم يؤدى العاص ما عليه لخباب ؟!

أبى بن خلف - ولم لا نرحب بالاكل منها وهى عجوة تبض زبدآ
كما أخبرتنا بالامس ..

ابو جهل - ولكن محمداً لم يرقه ذلك . فواح يقول عنها (ان شجرة

الزقوم طعام الائم كاللؤلؤ ينلى فى البطون كنى الحميم)
ابو لهب - كنى الحميم أم كنى قدر أبى كبشه (١)
ضحك وضجة

أبى بن خلف - قد يكون مقولا الى حذما ، بعض الذى يدعو اليه
محمد ، الا أن يدعو الناس الى الاعتقاد بذلك اليوم الذى يمت فيه ربه
الرمم والرفات . وتنبت فيه أشجار الزقوم فى أصل الجحيم . ونشاد بجوارها
جنة عالية قطوفها دانية . ثم يزف أصحابه الى الثانية . ويقذف بنا إلى
الأولى !!

تصايح وتضاحك

ولقد ذهبت اليه أس وحملت مى عظما بالياً قد ارفت (٢) وقلت له
يا محمد أنت تزعم أن الله يمت هذا بعد ما أرم (٣) ثم فته ييدى وفخته
فى وجهه . فأغمض جفنه غاضباً ثم قال .. نعم إني لأقول ذلك . وسيبعثه
الله وإياك بعد ما تكون هكذا . ثم يدخلك النار

ضحك وسخرية !!

... وليته اقتصر على ذلك !! بل أرسل فى أعقابى آية تطاردنى على
السنة جماعته كهدهنا به . ونزعم أنهم - انزلت عليه من السماء يقول فيها .
(وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها

(١) كنية أصقوها بزواج حليلة السعدية مرضعة النبي ، كانوا يبرون بها رسولاً

الله (٢) بتشديد التاء - تحال

(٣) يفتح الهزة والراء وتشديد الميم

الذى أنشأها أول مرة . وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا فإذا أنتم توقدون)

فماذ القوم ينظر بعضهم الى بعض لوقع الآيات فى قلوبهم كأنها تيار
من الكهرباء يهز مختلف الاعضاء . فتكاد ألسنتهم تنطق بالاعجاب بها
والثناء . لولا عوامل الخوف والعتاد والكبرياء . فاكثفوا من الاعجاب
بالصمت . ومن حنان الغريزة بالحيرة والتردد

أبو سفيان - كأنى بمحمد وهو غاضب من نثر الرقات فى وجهه . قد
بدأ يتأثر من مهانتنا . ويثور من تهدينا .. مع أن عقبة بن معيط قد ذهب
اليه منذ أيام وبصق على وجهه ولم يفعل الا أن مسحها واستعاذ بربه من
الشياطين . ولعلها كانت مرضاة لصديقه أبى بن خلف الذى أقسم عليه ليفعل
ذلك أو يهجره . جزاء استماعه لمحمد فى إحدى جلساته

أبى بن خلف - لم يثر محمد من ذلك لانه رجل معتدل فيما يحكم به على
خصومه ، ويوزع عليهم من جزاءات !! فقد اكتفى من خصمه بالندم يوم
القيامة على ما فعل ، لعل فى تخفيف جزاء عليه ما يدعو الى إقابته وتوبته
وقد نسته بالظالم فقط . ولعلها أخف من (الكافر .. والفاجر) ينثرها علينا
كل يوم فى سخاء !!

الاسود بن عبد المطلب - وهل حكمه هذا كان بوحه ، نفسه أو بوحه

بين السماء

أصوات .. وحى من السماء طبعاً !!

الاسود - وماذا قالت السماء إذن

حقبة - انتهى الى أنه قرأ (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) . فلعل ذلك هو رد السماء .

ابو جهل - وهل علمت بأمر بن أم مكتوم الاعمى (١)
فضحك الوليد بن المغيرة ضحكته الخشنة الداوية حين سمع ذلك .
ومرت بذهنه صور سريعة مما حدث ثم قال :

مسكين هذا « اللزم (٢) » . لقد سولت له نفسه باسلامي وطمع في هدايتي . فوقف يقص على أنباء جنته وما تحويه من أنهار اللبن والخمر والعسل . وأسراب الطيور والطلح والكروم والمان . والخور والولدان . وأنا أسايره واخادعه حتى جاء ابن أم مكتوم واستقرأه آيات من القرآن . فبس في وجهه وأعرض عنه مؤملا في نفسه هدايتي وإسلامي فلم يظفر مني بشيء . كما لم يرض عنه تلميذه ابن أم مكتوم . ثم انتهى الى أن عاتبه ربه بعد ذلك في هذا عتابا شديدا فقال له (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى .

-
- (١) جمل أبو جهل من واجبه أن يفاجئ المجتمعين بانارة آخر الحوادث .
حتى لا يدع لآثار القرآن الى نفوسهم سبيلا
(٢) هو المعنى انقلب للكلمة (عمد)

فلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة)
 ابو لهب - ياله من تعنيف له ما بعده .. لكن محمداً لم يعرض لك إلا
 بما هو هين . وناهيك بما قاله في شأني وفي شأن أم جميل (١) « ثبت (٢)
 يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلي ناراً ذات لهب
 وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (٣) »
 عبد الله بن الزبيري - أظن لو أن هذا الكلام من عند محمد لا من
 السماء . لما عاتب محمد به نفسه هذا العتاب المر .. إلا أن يكون ذلك منه
 دهاء ومكرآ

أبو جهل - وبأي شعور قابلت أم جميل هذا الهجو الشديد
 أبو لهب - لقد جمعت ثيابها وسألت عنه حتى قيل لما انه بين أصحابه
 في المسجد فحملت حجراً كبيراً وذهبت اليه تريد أن ترضخ رأسه به .
 ولكنها لم تره رغم سماعها صوته . فاكثفت بأن رجزت تهجوه
 مذمما عصينا - وأمره أيننا - ودينه قلينا (٤)
 أبو جهل - وكيف اكثفت برجزها الصغير دون أن ترضخ رأسه
 بما كان في يدها
 أبو لهب - تحدث أم جميل انها علمت وجوده وسمعت صوته ورأته
 بين الجالسين عن بعد ، ثم غاب عن ناظرها بعد ذلك فلم تعد تراه

(١) زوجته (٢) هلك

(٣) ليف (٤) كرمنا

بو جهل - لعله سحر نفسه أو سحرها بدورها !!

أبو سفيان - يخيل إلى أن عمرو بن العاص أضحي في واد ومحن في واد . فانه لم يشاركنا حديثنا . ولم يدل بدلوه بيننا . ومذ أتى من الحبشة وهو معتم النفس كثير الاطراق .

عمرو بن العاص - لا أجد - واللآل - محلا . لكل هذا العرس تقيمون معاملة في جوانب ماتم . فيا طالما هددنا محمداً وتهكمنا بدعوته وسخرنا به وبمن اتبعه وأرسلت شعراءنا ألسنتها فيه بقيلة السوء . وعرضنا أصحابه على كل ضروب العذاب وقد مناله الرشوة ، فلم يغن ذلك عن دعوته فتىلاً !

وهذا نجاشي الحبشة يمنع أصحاب محمد ويحميهم . فاستوى مقامهم عنده . وقرت عيونهم بجواره . وهذا حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب يؤمنان بدعوته فعادت إليها الحياة من جديد . وأضافا إليها قوة أصعب من أن تغلب .

وكل هذا يتم بينما تتضحكون وتتصايحون كأنه لم يكن هناك ما يستحق التفكير والجد .. ولعل من العتة أن نعتبر حشو التراب على محمد . أو وضع الشوك في طريقه أو غمزته ولمزه ، انتصاراً للقريش بينما تسير دعوته سيراً حثيثاً تأخذ في طريقها الحكمة الصناديد .

أبولهب - ليس هذا كل ما فعلناه بمحمد وأصحابه . ولكننا نلناهم بالأذى وعرضناهم على كل ضروب التعذيب والنكال

عمرو - وماذا أجدى كل ذلك .. إن القافلة تسير ونحن ننظر إليها

وإن إسلام عمر قد أطاح بكل ما فعلناه فرووا رأيكم وألقوا بأخر مسهم في
كناتكم، فلما صادف من خصومنا مقتلا أو طاش وطاشت معه سيادة قریش
الوليد بن المغيرة - وماذا نستطيع أن نصنع بعد كل هذا الذي حدث !
ابو جهل - في رأي أن نحرق عليه منزله بليل فيقضى مع أهله ، فتستريح
ونريح .

ابو لهب - ومن ذا يستطيع ذلك بعد ظهور ذلك الفحل يريد أن
يلتهمك زيادا عن محمد ، على أننا سنستهدف بعد ذلك لعداء بني عبد مناف
من أجل محمد وعداء بني خويلد من أجل خديجة وأولادها يذهبون طعمة
للخير ان بنير جزيرة

ابو سفيان - وما رأيكم لو اجتمع عشرة أشداء من عشر قبائل حول
محمد ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفوق دمه في القبائل فلا يستطيع
بنو عيد مناف أن تقف أمام الجميع

ابو جهل - وماذا تصنعون اذا ظهر لكم الفحل الاورق ذو العنق
العجيب والناثب النابي

ابو لهب - كأنك لا تزال في رعب من هذا البعير !! وماذا يصنع
فلك أمام عشرة شجعان

ابو جهل - بعير !! وحق اللات وهبل ، انه لم يطيح وخدمه بعشر
قبائل مجتمة لا بعشر قسطنطين

ثم جاء المجلس صمت عميق ، هذا يعتمد بدفته على راحته شارداً الدهن

وذاك مطرق الرأس سابع الفكر ، وثالث يستعرض ما عساه يكون قد بقي
من أسلحة النضال يكافح بها محمداً وصحابته . ولكن واحداً منهم لم يفتح
فيه بجديد يقوله . لأنما قد ضرب الله على آذانهم ثم استفاقوا فجأة على دقات
الدفوف (١) تستقبل غير قريش قادمة من الشام تحمل التجارة . فانصرفوا
جميعاً مطرقين تحت أثقال من التفكير عن سلاح جديد يقاومون به نبي
الاسلام ودعوته

السيف الاخضر

كان سلاح المقاطعة آخر ما لبثت اليه
قريش في مناهضة الدعوة الاسلامية في
مكة . ولكنه سلاح قد ارتد إليها
كغيره منلولا

« لتتعاهد قريش في وثيقة يدمغها »
 « أشراقها على أن لا تنكح من بنى »
 « هاشم والمطلب ولا ينكحوا منا ولا »
 « نبيع لهم شيئاً ولا يتاعون منا . »
 « وأن تعلق في جوف الكعبة »
 « إسهادا للآلهة على ذلك . وتوكيداً »
 « للحلف في نفوس الجميع »

عمرو بن العاص

وعلم عمرو بن الوليد فجأة أنها مع أبيها في « الشباب » لمقاطعة قريش
 للمسلمين يصيبها ما يصيبهم وينالها ما ينالهم من تشريد وقطيعة وجوع .
 فراح يرتاد طريقها الى بستان أبيها يستنطق آثارها . ويستوحى ذكريات
 لقائها . ويجلس تحت ظل الكرمة التي كانت تجلس عندها فيذكر على ذهب
 الأصيل شعرها المتألق على كتفها . وفي ظل الكرمة هدوءها . وفي صفاء
 الجدول . عيونها وفي ثني الفصون قدها . وفي شدة الهزار (١) صوتها وهي
 تنادى أمها ، فتهيج به الذكرى شجوناً وتتبخر الشجون دمعاً هتونا .
 وقد تثقل على كاهله وطأة الذكريات فيطأ طأ رأسه . ويحني هامته فيروح ويندو
 باحثاً منقباً عن صخرة وقفت عندها يوماً . أو ربوة أشارت اليها عرضاً .

(١) طائر ذو شدة جميل

أو شجرة كان يرونها أن تتعلق بأغصانها • وتتأرجح تحت أفنانها
ثم غربت الشمس فضاغت ظلمة الليل من ظلمة نفسه • وزادت وحشته
من وحشة مشاعره • فندأ إلى المنزل يسير ويبدأ تحت أثقال التفكير •
صامتا تتناهبه لواعج الحب • مطرقا كأنما يتسمع دقات قلبها وتردد أنفاسها •
هامسة في آذان الطبيعة الهاجمة • والكون الحالم •

وتحت سراج مترنح كجسمه الهزيل • معتكركمينه الدامعة ، محترق
كأنفاسه الملهبة ، اعتمد عمرو رأسه • وأسلم للتصورات والاخلية عقله • وطار
بخياله فوق شعاب مكة وكهوفها • وطاف حول محبوبته (سبية) مع
أبيها في معسكر المسلمين • تنضج لهم ما استطاعت يد الرحمة إرساله اليهم
خلصة من قریش .. فألفاها أمام الموقد كالشمس تضيئ من نورها على وجه
القمر في اطار من غدائر الليل وجدائل الدجى • تمد أناملها الى النار
فتزداد اشتعالا • كأنها صف من الشموع • ثم تقبضها عنها فيخبو أوارها
ويقر تراقصها • كأنها لا تشتعل إلا فرحا لرؤيتها • ثم تطل على القدر
فيستقبلها بخاره • كأنه زفير الشوق ينبعث من رئين انهما طول الصعود
والهبوط ، ثم تحكم عليه غطاءه • وتعرض عنه فيئز حزنا • ثم يفور غضبا •
ثم تقوم منقبة عن ماء تسف به طعامها العسادي • فيسير النور في ردائها
الاسود • وتسبقها أشعة الأمل في وجود الماء • ولكن سرعان ماتدكر انها
في دائرة الحصار ، وان الماء قد نفذ • فتعود حانية الرأس • كسيرة النفس •
فأثار كل ذلك شجاعة عمرو • وأشعل غضبه فصرخ صرخة لاشعورية وقال:

يا لظلم قریش !!

فنداعى له من فى المنزل . وتنادى العبيد والخدم . فالفوه جاحظ العينين
مرتفعش اليدين شريد الدهن .. ثم أغمض جفنه وغاب عن الوجود . ثم عاد
فاستفاق من غشيته . وفتح عينه على ازدحام هؤلاء جميعا حوله . وأمه قبالة
وجهه تستفسر منه عن سر صرخته . وتكرر على مسمعه ما فاه به وتلحف
عليه فى الرد والاجابة . وهو لا يجيب إلا بالتلفت . ولا يرد إلا بنظرات
حائرة فى وجوه أهله .. وكما أمعن فى التلفت والصمت أمعن القوم فى
الحزن والحيرة ..

ثم ساد المجلس صمت عميق . لا تتحدث فيه إلا العيون الحزينة
والزفرات المحتبسة الجازعة ، حتى تكلم أخوه بكر قائلا :
لا بد وأن يكون قد أصاب أخى مس من الجن . أو خبل فى عقله
سيف - وما علاقة الجن والخبل (بظلم قريش)
الوليد - أخشى أن يكون ولدى قد أصيب بسحر محمد . فان فى صرخته
وعبارته ما ينبىء بذلك

بكر - غداً نعرضه على الكاهن الاكبر . ما دام لا يريد التحدث

بشئ .

ثم قام القوم الى نواديهم ومضاجعهم يائسين من الأمل فى تحذته اليهم
وبقيت أمه بجواره . تعالج فيه مواضع الصمت وتحسس منه سر هذا
الفرع . حتى إذا أنهكه تفاعل دمه . وأضنى به اضطراب نفسه ، استند
إلى حائط حجرته وأغنى قليلا . وأمه ترقب منه ذلك . ثم رأت شفنيه
تتحركان فى خفوت . فدنت تستمع اليه فاذا به يقول :

سمية .. سمية .. بأبي أنت وأمي

فبهتت الأم .. ١١ .. وراحت تحدث نفسها عن من عساها تكون ..
تلك التي يفتديها هذا المعتوه (بأبيه وأمه ١١) قبل أن يأخذ رأيهما في هذه
الفدية ١١ وما دخل قريش في هذه المعركة الغزامية إلا أن تكون هذه الفتاة
مطلبية أو هاشمية (١) ممن حرمت نسأؤهم على رجالنا ؟! ولم تشأ أم عمرو
أن تخبر أحداً بما يهجس به ولدها . تأجيلاً للشر

وتنفس الصباح عن جمهرة من الاهل والأقارب . يتقدمهم الوليد .
تحمله عصاه . قد جاءوا ليحملوا ولدهم على الذهاب الى الكاهن . ليرى فيه
رأيه . فأشاح عمرو بوجهه وقال :

ليس بي يا أبتاه مما تزعمون شيئاً

الوليد - مابك إذن يا بني ؟!

عمرو - مطأطأ الرأس - لا شيء يا أبتاه

الوليد - إذن ما الذي حدث بالأمس فأقض علينا المضاجع . وسهد

منا الجفون

فزفر عمرو في حزن عميق . ودبول متهافت وقال :

لعلها أضغاث أحلام

بكر - أحلام اليقظة هذه أم ذا ؟؟

ام عمرو - ومن « سمية » هذه إذن وما سر هذا النحول الذي

نت فيه

(١) نسبة الى المطلب وهاتم

عمر - مبهوراً - سمية ؟ ماذا تقولين يا اماء

ام عمر - تلك التي افتديتها بأبيك وامك سلفا !!

وهنا أدرك عمرو أن أمره قد عرف . وأنه لابد وأن يكون قد جرى لسانه بما كشف عن خبياته . فلم يجاه بدأ من مجابهة الواقع في وجه الجميع فطأ رأسه استحياء وقال :

نعم .. إني أحبها .. إنها عيني التي أنظر بها وسمي الذي أسمع به .
وقلبي الخفاق . وروحي المحلقة في سماء السعادة

بكر - سمية بنت من هذه ؟

عمرو - سمية بنت عدي بن فهر بن هش

الوليد - مقاطعاً وصائحاً - يا للنازلة !! ابن هشام المطلي ؟

عمرو - نعم هي بعينها

الوليد - مقاطعاً - بعينها ؟ ! صهن يا لعم . والا أطحت رأسك

عمرو - لان تطيح رأسي أيسر من أحيي بدونها

بكر - ضارعا - إنها مطلبية يا أخاه .. وإن قرشا قد عقدت فيما بينها حلفاً

أن لا تنكح من بني هاشم والمطلب . ولا ينكحوا منا . وألا تتبعهم شيئاً ولا
نبتاع منهم ، وأن تجافي محمداً ومن معه حتى يهلكوا . وقد كتب منصور
ابن عكرمة لهم كل ذلك في وثيقة دمجها رؤساؤها وأشرافها . وعلقت بعد
ذلك في جوف الكعبة إشاراتاً للآلهة على ذلك وتوكيداً للحلف في نفوس
الجميع .. فكيف تبنى (بسمية) وأبوك هذا الواقف واحد من هؤلاء
الدامنين لهذه الوثيقة . كآخر سهم في كنانة قريش يجاهد محمداً وجماعته

عمرو - هذا شأنكم ومحمد ، وما شأن الواله لا يعرف إلا وكره يحوم حوله . وإليه يأوى ويسعد

الوليد - في صوته الأجنش - يا فلان الأبد ولوثة المستقبل ، نشر قریش كنانتها أياما وليالى وتغلى كل حيلها لحرب محمد وجماعته ، حتى اذا أدركت غابتها أو كادت ، دلفت تنقض ذلك من أجل (سمية ١١) قبحت أنت وسميتك فوحق اللات والعزى لن تعرف بناتهم الينا سبيلا ، ولن يعرف ذكر اننا اليهن سبيلا . وسوف تحرمهم قریش طعامها وبضاعها حتى يذوق محمد ومن معه مرارة الحرمان أو يقلع عما يقول .

عمرو - وما ذنب الذرارى في هذه الملحمة

بكر - ليدوق آباؤهم مرارة الحرمان والبوار

عمرو - ناشجا - ولكن خيالها لا يفارقتى . وهو اها لا يرحمنى . ثم اهتزهزات عصبية عنيفة . وراح يبكى وينتحب . تشاطره أمه وأخوته حزنه وبكاه ، حتى استحال المنزل الى مأتم . وأبوه فوق رأسه والسيف فى يده كتمثال جبار لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا

* * *

ونفذت بضاعة فهد بن عدى . فأخذ يعدد دراهمه مسرورا . ويحصي ربحه مغتبطا . ويستدكر قيمة ما باعه الى أجل . ثم نهض قائما ينفض عن ثيابه غبار الطريق . وراح يتفقد حالة زملائه من تجار قریش . فألفى أكثرهم على مثل حاله ربحا ورواجا . ثم مر بزميله (مرة) الطلبي فألفاه مهموما لكساد بضاعته ، ينظر اليها كأنها جيفة عفنة . وينظر القرشيون اليه . كأنه دمية فى

سوق العاديات . فوقف على رأسه طويلا لعله يفتق من سهومه أو يدرك أن خلف ظهره من يرقبه ويرثي لحاله . ولكنه لم يفعل . فضنط على ظهره بركبته . فأفاق ثم التفت الى مبعث ذلك . فوجده فهر بن غيث رقيق حباه . وخدين تجارته . فاستجلسه فجلس . ثم ابتدره فهر قائلا :

أأرضاك سوء حالتك . وبوار تجارتك ؟ ماذا دهاك حتى كفرت بدين قريش . وآمنت بهذا الذي آمنت به . وما الذي أصابك من حظ الحياة . حتى تسد هذا الخسار .. قل لي وأبيك من أي صنف هذا الدين . هل هو قوت تطعم منه أبناءك الجياع . أو لباس تستر به عورتهم . أو سلاح ترد به عادية الاعداء عنك .

هذه قوافل بنى عبد شمس ونوفل تنأهب للسفر الى اليمن . وهذه قوافل بنى قصي وزهرة . تعد عدتها الى بلاد الشام . وهذه قوافل أخرى تنهيا للرحيل الى الحبشة . تحمل الجلود والحبال والتمر . لترده أقمشة وفاكهة شامية ، وأنت على مثل حالك من الكمد والحزن . وبضاعتك على مثل ما ترى من الكساد . وأبناؤك على مثل ما تعلم من الجوع والشقاء . فدعك من محمد هذا . وعد إلى دين قريش ، يعد لك اليسر والرخاء .. إني في الواقع لا أدعوك الى حظيرة قريش بلسان الدين وإنما أدعوك بلسان التجارة والاتقاع وإلا فماذا يطلب التاجر من الحياة إلا أن يبيع وينساع ويتربح ويثري . فاذا عز عليك يا أخاه أن تعود الى قريش من أجل دينها . فدع اليها من أجل مالها ..

(مرة المطلبى) رأسه هزات التسليم المؤقت ثم قال :

إن ديننا هذا الذى تحدثت عنه . يعلمنا أنه مامن دابة فى الارض إلا على الله رزقها . وإن فى السماء رزقنا بقدر معلوم . وإن الدنيا مجتمعة لا تستطيع أن تضر أو تنفع إلا بأذن الله . وإن قرىشا يوم تعتقد أنها بهذه القطيعة غالبية على أمرنا . فذلك ماسوف تخفق فيه وتفشل . وإنها كلما حاربتنا أثبتنا جدارتنا للبقاء . وكلما عذبنا طهرتنا وصقلتنا للملاقاة الشدة والبأساء

فهر بن عدى - يالك من مسكين لا يزال بك طائف من سحر صاحبك وإلا فحدثنى عن رزقك الذى فى السماء أين هو وأين مكانه . ورزقك الذى على الله . من الذى تقاضاه عنك . وخلقك محزوناً محروماً .. ولماذا بارت تجارتك حيث نفقت سواها . وركد ريحك حيث تسير فى ركاب غيرك
مرة المطلبى - إن الرزق بلا شك موجود ومعلوم . غير أنه يجبس ويطلق اختباراً وابتلاء من الله لعباده المتقين

فهر - ولماذا حبس رزقك دون سواك ؟ بل لماذا كنت أنت فى مكان الابتلاء دون غيرك ؟

مرة - لا ف الله لا يبتلى إلا خيرة عباده . ولا يختبر إلا أشدهم احتمالاً وجلداً

فهر - اذا صح أن الكساد والفقر ، مقياس الاحتمال والرضا والمحبة . فانى أعلن منذ الآن تنازلى عن هذا الرضا وهذه المحبة !!
مرة - لكم دينكم ولى دين

* * *

ستيقظت عاتكة الصغيرة قبيل الاصيل على إحساس منها بالجوع .
وراحت تلقى بنفسها على ناحية من أمها « فاطمة » ثم طلبت اليها طعاما .
فلما لم تجب الى طلبتها مدت يدها الصغيرة الى وجهها تحوله صوب وجهها
لتستمع لطلبتها . ولكن وجه الأم كان غويقا في لجج من التصورات والاخلية
الحزينة . فلم ترع لظلامتها بالا . ولم تعط لشكواها أذنا . ثم عادت فاستمعت
اليها أخيراً تحت اللاح والدأب ..

وكم كان قلبها يتعزق لكل مقطع من مقاطع فئاتها في طلب الطعام حيث
لا طعام . ولم يكن لدى الأم المسكينة إلا أن تجيب ابنها بالمطل والتسويق .
ثم تقوم الى رحلها متشائلة بالبحث عن طعام لها . فتدرج الفتاة خلفها .
يشيع فيها السرور المزيج بالبكاء . حتى اذا قسى عليها عامل الجوع، عادت الى
طلب القوت في شيء من الاجهاش والنشيج . فتعود الأم الى تمثيل الدور
من جديد و « عاتكة » تجرى أمامها الى الرحل . تساعدوها على البحث
والتنقيب . حتى اذا عضها الجوع وقسى عليها، راحت تبكي وتلتجب .
وأما هائمة حيرى تلبي نداء الدموع بالدموع . بعد أن ضاقت في وجهها رقعة
الفضاء . ولف الكون أمامها بلفاع الأسى والحزن . ولكنها تعود الى
مكافحة عواطفها وتجادل نفسها : وتقوم الى مداعبتها بقلب كبير . وتبش في
وجهها بأساير مستعصية . وتبتسم لها بشفة ذابلة . والفتاة تضحك باكية .
وتمرح عابسة . وتدرج عائرة

ثم ونيت عنها أمها في ذلك لحظة بفعل التعب . فتعالى صوت « عاتكة »

بالبكاء . وهي مكبة على وجهها في حجر أمها ، وأمها لا تجد سبيلا في التفريج
عز. نفسها إلا أن تستجيب لدموع بنتها بدموعها في صمت . وأن ترد على
نحيبها بنحيب مثله أو آخر

واسترعى طول بكاء الطفلة أسماع بعض المسلمين في رواحهم . فتوافدوا
يجرون أقدامهم من الجوع والضنك . لا يعينهم على السير إلا روح الايمان .
ولا يقيمهم الى النجدة إلا أريحية الاسلام . ثم وقفوا أمام أم لا تجد ماتقوله
من شدة التأثر . وفاتة منطوية على نفسها في حجر أمها . لا تعرف من ألقاظ
لقتها إلا لغة الخبز . .

وحلق طائر الأسى على الجميع لحظة يستمعون فيها الى نشيد الجوع .
والحان الظلم الصارخ في وجوه ضامرة . شاحبة . وعيون جاحظة غاضبة .
ترمى بالشرر هؤلاء القوم المتحجروالقلوب

ثم هوى أحدهم على الفتاة فاحتملها يسائلها شكواها وهو يعلاها . ويمسح
على ظهرها حنانا عليها . ومرح عينيه في وجهها الذابل ، فكاد يذوب
جوى عليها وأسى . ثم أشار على أمها بأن توقد تحت القدر ناراً حتى توهما
بأن هناك طعاما يطهى . فتعزى به حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . ثم
راح يسرى عنها بحديث قصصى فأخذ يقول :

حدثني أبى عن جدتى أنه جىء لها يوماً بأرنب ولم يكن لديها ماتطويه
به ، فراحت تجلب الماء من العين القرية منها . فالتقت أثناء الطريق باحدى
قريباتها . وأخذت تتحدث معها . ثم عادت تحمل الماء بعد لآى . وكان
في حساسها أن لديها من الوقود مايكفى للطهى . ولكن خانها في ذلك زعمها .

فخرجت تحتطب . ثم جاء جدى منأهبا لطعام شهى يشتهي من لحم الارنب
الذى أضناه العدو خلفه حتى أصابه

فاستقبلت خياشيمه بخار المرقه . فأهاجت فيه شهية الطعام وأسالت
منه اللعاب . وفتحت فى معدته آفاقا واسعة لا يردنهما إلا جفنة من تريد
يستوى فوقهما جثمان الارنب العتيد . ثم نادى زوجته فلم يلب صوته إلا
صداه . فأدرك أنها لا بد وأن تكون قد خرجت لبعض حاجتها . فأخذ
يذرع حجرته ذهبه وحياة يستبطنه . وزوجه . ويهدى شهوته ويتلعب لعا به .
ثم ينفس عن غضبه وقلقه . بالتطلع من كوته . يتسلى برؤية السابله . ويتلهى
بالتشاغل ببعض الشؤون . وهو بين هذا وذاك على أحر من الجمر . . حتى
وافت زوجته تحمل الخطب . وتمنى نفسها بأكلة هانئة . فابتدرها زوجها
بالسؤال عن سر غيابها فقالت :

- كنت أحتطب

- وما مآل الضيف الهنىء ؟

- فى قدره بخير !! وها هو الخطب سيكمله طهيا وانضاجا

- هيا « يا سوده » فان الجوع يكاد يفتك بى ، وها أنذا أساعدك فى

تقضيـم الخطب وتحطيمه للعار . .

ثم سبقها صوب القدر ودفعه فضوله إلى أن يطل فيه فما لبثت امرأته

أن سمعته صارخا

- أين الأرنب ؟

- الأرنب ؟؟ فى القدر

ثم أظلت بدورها فلم تجده فصعقت في مكانها . . ثم شاهدا آثار ماء
في خط مستقيم ، فأدركا أنهما جريئا قد سطا على الأرنب وراح به ١١
وخلف وراءه أمعاء ملتبية . ولعابا سائلا وشهوات اسيفة

كان عبد الله المطلي يقص هذا أمام الفتاة المسكينة الجائعة . ويتخذ
من القدر المعلق على تنوره مثالا لأحاديثه . فتبتسم عاتكة لآثاره . ابتسامة
حزينة تفر عن شفة جافة . تضيء خلفها أسنان ثلجية مفلجة .

ولكن قارص الجوع لم يدعها في أحلامها طويلا ، فعدت تدرج صوب
أُمها وتسائلها عن السويق (١) ولم تجد أُمها ما ترد به عليها بعد كل هذا
الاصطبار فبكت عاتكة من جديد

فأهاج حالتهما شجاعة عبد الله . فغادر رحلتهما صوب مكة . معتزما
أن يأتي لهما بطعام مهما كلفه ذلك . فلهفته حراس الشباب من قريش
ووضعوه تحت رقابتهم . فأدركوا سر نزوله إلى مكة . فأحاطوه برقابة شديدة
حتى لا يمكنوه من الحصول على ما يريد . ولما أدرك عبد الله منهم ذلك
وقف في وجههم غاضبا ناقما . متحفظا لكل ما تأتي به المقادير وقال

أتظنون يا معشر قريش أن مثل هذا الاعنات يفل من عزمنا . أو
يوهن من إيماننا . لا والله . إن الإيمان غذاء الجائع . ورداء العارى .
وقوة الضعيف . وانكم إن وصلتم بهذه الأسلحة إلى إرهابنا وتجويعنا فلن
تصلوا إطلاقا إلى إيماننا الذي في قلوبنا . وإذا كان إيمان الكبار ذنبا . فما
ذنوب الذراري الصغار تموت جوعا

(١) طعام يشبه الدشيخة اليوم عند البدو

هذه (عاتكة) الصغيرة بنت حكيم تتضاغي في حجر أمها جوعا .
وتتولى ألما . ولا منقذ لها إلا أوراق الشجر يأكل منه الكبار . ويمافه
الصغار . . ما ذنب هؤلاء وما جريمتهم وهم ينو أخوالكم وعمومتكم . .
إن من يمت منا فسوف يموت شهيدا . ومن يعيش فسوف يذيق قريشا
مر النكال

عكرمة — ليت شعري !! ومن عساه يعيش بعد هذا الحصار المحكم
عبد الله — إن الآجال محدودة والارزاق مقدورة . ولن تستطيع
قريش مجتمعة أن تضر أو تنفع بغير إرادة الله
.. واجتمع الناس على هذا التلاحى من كل صوب . وتأثر أحدهم ورق
لحال (عاتكة) الصغيرة وما روى عنها . فدرس في جيب عبد الله قطعة من
الخبز القديد خلصة

ثم عاد عبد الله إلى رحله وقد أنهكه العناء . وأذهله الجوع . فأخرج
قطعة الخبز القديد في يده . وما كاد يقضم منها قضمه حتى سمع بكاء عاتكة
من خلف الخيام ففتح فاه مستذكرا إياها . نادما على نسيانه أمرها . ولو
أن ما بفمه يصلح لطعامها لبذله لها . ثم حمل الباقي إليها وقدمه لها . ثم راح
يذاعبها حتى نامت مؤثرا طعامها على طعامه . وسلامتها على سلامته .

« ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه »

« بشر ، لسان الذى يلحدون اليه »

« أعجمى . وهذا لسان عربى مبين »

قرآن كريم

وصاح عكرمة فى المجتمعين صيحة زائرة وقال :

وما ثمرة هذا الحصار طيلة العام مادمننا نتطوع بحل عراه فى مثل هذه
الاشهر من كل سنة . بعد أن يكون قد بلغ الضيق بالمسلمين غايته ، والجوع
نهایتته ، وأصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار . . وهامى نيرانهم
بين الشباب تحدث ألسنتها أجواز الفضاء . ويشع ضوءها على وجوه طالفة
بالبشر والرفاء . . وهامو الأفق يردد أصواتهم بالتهليل والتكبير . انتظارا
لما يأتى لهم به الغد من رد حريتهم . والحصول على ما ربههم ولقاء الناس من
أطراف البلاد

الوليد بن المغيرة — ولكنها الأشهر الحرم !! تنام فيها الخصومات
وتحترق فيها الدماء . وتبرد فيها الأحقاد . منذ القدم احتراماً للآلهة
عكرمة — وفى سبيل الآلهة تقوم بتعذيب أخواننا وأبناء عمومتنا .
فيجب أن يظل التعذيب قائماً . والحصار مشرعاً حتى يعود هؤلاء المارقون
إلى صوابهم . أو يموتون

النضر بن الحارث — دعمهم يتنفسون فانى قد سمعت من حكم الفرس

أن الضنط يحدث الانفجار . وأن شدة الظلم تؤلف بين قلوب المظلومين . فلو لا مثل هذه الأشهر . يعود فيها المسلمون بعد الحرمان والشقاء . إلى حياة النعيم والهناء . لرمونا بأخر السهام وقامت الحرب بيننا وبينهم على ساق وقدم . ولعل في عودهم إلى الحياة الرافلة . والعيش الرغد . ما يجلبهم في مصانعة قرش . حتى لا يتعرضوا لمثل ما تعرضوا له من النفي والتعذيب والمقاطعة . ولا تنس بعد ذلك أن هناك من أصهار المسلمين وأبناء عمومتهم من يرى في صحيفة المقاطعة ظلما فادحا . وقسوة منكرة لا مبرر لكل ضروبها العاتية . فلو لا فترة التنفيس عن المسلمين في الأشهر الحرم . لثار الكثيرون على نظام هذه الصحيفة . وتواطأوا على الخروج عليها أو تمزيقها

عكرمة — ولكن محمدا وجماعته سيتحيزونها فرصة مساحاة . ويعودون إلى طرائقهم في مطاردة الحجاج وملاحقتهم . وإيذاء أسماعهم بالنيل من عقولنا وآلهتنا دون مراعاة حرمة هذه الأشهر التي ماهيئت إلا لعبادتها وتقديم القرابين لها . فيكون كمن ينال من مضيفه وثوقا من كرمه

النضر بن الحارث — وكيف يرتكب مثل هذا الشطط ونحن شهود أحياء . . . علمنا أن نخوف الوافدين إلى مكة من أطراف البلاد شره . . وأن نحذرهم سحره . وبهذا نفسد عليه أمره

الوليد — كأننا سنزحف إلى الهوة التي وقعنا فيها باختيارنا . دون أن نتعظ من حوادث الماضي القريب . فان الالحاح على الحجاج وملاحقتهم والتعرض لطريقهم . قد أحدث في الماضي من الشجار والتلاحم ما أحال الموقف إلى أعظم دعاوة لقضية محمد

النضر - لعل هذا كان ثمرة الاستحماس في التبليغ والمبالغة فيه . وعدم
الحكمة في اتخاذ الوسائل السديدة الموقفة . فاذا ما اتبعنا خطة الكياسة
والحكمة . أفسدنا علي محمد قصده وأمره . دون أن ننتهك حرمة
الأشهر الحرم .

ثم ساد المجلس صمت عميق أحس خلاله كل واحد منهم بثقل الواجب
ووطأة ما يتطلبه الموقف من الحكمة واصطناع الملاينة . ثم عوك النضر بن
الحارث بعض أسنانه ببعض ، حتى سمع لها صرير قاس ، ثم تنفس حارا . وزفر
يائسا وقال :

لو أن محمدا هذا يرتفع بديانته - على الأقل - من وضع العبيد
والأحرار في سواء واحد ، ويكف عن تقبيح الخمر ، وتشويه الكهانة ،
وتسفيه الربا والميسر ، لكان لديانته بعض الخطوة . ولكنه يسمح لمثل
بلال أن يجالس أبا بكر ، ويفرى عامر بن فهيرة على مناقشة سيده الطفيل
بن عبد الله الأزدي ، ويحرض أبا فكيهة على احتقار مالك عنقه صفوان
ابن أمية . ويقبح الخمر وعنده عمر بن الخطاب وقد كان يشربها حتى يترشح
ثم يشوه الكهانة والكهان وهم شفعائنا ، ويسفه الربا والميسر . وهما ثروة
لا ينضب له معين . ثم لا يكتفى بهذا بل يحذرنا من شر يوم عبوس مستطير
ويفرغنا في وصفه بآيات هي أشد في وقعها من الشر والفرع الذي يصف . .
والأفهل سمعتم في شعر الأولين وبلاغة الأقدمين وصفا ليوم كهذا الذي
يقول فيه محمدا « يوم تكون السماء كاللؤلؤ وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل
حميم حميا . يبصرونهم يود المحرم لو يفترس من عذاب يومئذ بينه

وصاحبه واخيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه . كلا
إنها لظى • زراعة للشوى ، تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى »

نبيه — بل هناك ما هو أفدح من ذلك وصفا إذ قال « يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية . فأما من أوى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه .
إني ظننت أنى ملاق حساييه . فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عالية . قطوفها
دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوى كتابه
بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حساييه ياليتها كانت القاضية »
ثم سكت نبيه وأخذ يستذكر بقية الآية . ففتح الكل عيونهم التي
كانت مغمضة خلف عالم من جمال القرآن ثم نظروا إلى نبيه نظرة المستزيد
ولكن ذاكرته كانت قد خاتته . فأنقذ الموقف أخوه منبه وأكمل قائلا :

(ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه
ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا
يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين
لا يأكله إلا الخاطئون)

ثم سكت منبه بدوره فاستفاق السامعون لا تدرى أمن سكرة التلاوة
أم من وقع العبارات وتصويرها لهذا الفرع ، ثم طأطأوا رؤسهم ، كأن متعة
الاستمتاع أوشدة الوقع قد أثقلتها ، فلم يعودوا يستطيعون حملها . وكأنها غريقة
فى بحر لا يجيد فيه السباحة . فأسلت قيادها لاتجاه الأمواج ، دون أن تنبس
بينت شفة ، خشية بعضهم بعضا

وكان ذلك قد أخرج صدر أمية بن أبى الصلت وأثار فيه كامن الحقد

والحسد ، فاحمر وجهه ، واتقلت عيناه ، ثم زفر زفرة ملتهبة وقال :
هذا هو محمد الذي لم يتنبأ لنفسه بوجود ، يصبح راوية لمثل هذا
الكلام العجيب ، بينما أذا الذي تنبأت بوجوده قبل أن يوجد لا يهبط على
مثله ، وأنى لأقسم غير حاث لو أن هذا الكلام من عند إله حكيم
لا ختارنى لروايته وفضلنى على كثير من خلقه

الوليد بن المغيرة — وهل كان ينزل على محمد مثل هذا الكلام
وأترك كابرًا وسيدا قريش ، أو يترك أبو مسعود عمرو بن عمير سيد
ثقيف ونحن عظماء القريتين (١)
أبو لهب — وحقك أنه لم ينزل عليه شيء ، إنما يعلبه (جبر)
النصراني ، أكثر ما يرمينا به

نبيه — لكن جبراً ذو لسان أعجمي وهذا لسان عربي (٢)



ولفت نظر الدعاة من قريش رؤية رجل مهيب الطلعة واسم العينين
مدبب الانف ، تتعارك في رأسه ولحيته فلول الشباب بوفود المشيب ، قد
استوقف ناقته عند ملاحظته له الكعبة ، ثم وضع يده على صدره وانطوى
على نفسه ، ايماءة الاحترام والتقديس ، ثم ترجل وخلفه ناقته تتابع سيره ،
وتتقل خطاه ، كأنها تحاكي خشوعه وتواضعه ، ثم دنا بالقراب منه شاب

-
- ١ — وفيها نزلت الآية الكريمة « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم أهم يسمون رحمة ربك نحن قمنا بينهم مبيئينهم في الحياة الدنيا »
٢ — وفي هذا نزلت الآية الكريمة المنشورة على رأس هذه الصورة

قرشي وهمس في أذنه وأطال الخمس ، فنظر الشيخ إليه من زاوية عينه وتابع ، سيره دون أن يرد على محدثه بكلمة واحدة ، فبادر الشاب إلى تحديثه في مبالغة من الرقة والادب ، فأعاره التفاتة غاضبة وتابع سيره دون أن يرد أيضا ، فنظر الشاب إلى رفيق له يتابعه عن بعد ، نظرة استعانة ، فتجاهل الرفيق أمره وتبأله عليه ، ثم عاد الشاب إلى الإلحاح على الشيخ يمدى على مسمعه ويميد ، فانفجر الشيخ في وجهه وقال :

لعلك لا تجهل أنني شاعر لبيب ، وأستطيع بمحض فطنتي أن أفرق بين السحر والحقائق ، فيما لو قابلني هذا الذي تخبرني عنه ، دون حاجة إلى مرشد .

عكرمة - لا كان من يتهمك بغير ذلك ، ولكننا وقد جمعنا في الموسم حبة هذا البيت وساكنيه ، فما علينا من بأس حين نبذل النصيح ونخبر من الشر

الطفيل - أستطيع أن أكرر لك أنني شاعر وحكيم . ومن كان هذا شأنه يكون من أشد الناس غنى عن النصائح

ثم سار في محاذاة الكعبة يطوف بها مطروقا ، ولعله كان يتحدث نفسه عن من عساه يكون هذا الذي حمل قريشا على أن تحشد ضده كل هذه الحملات ؟ لا بد وأن يكون ذا شأن . ولا بد من أن أتعرف إليه . وبينما هو يطوف ، أتى ملاً من الناس مجتمعا وقد وقف بينهم رجل متكلم ففيض عنه إيمانا والناس حوله بين مستهزئ ضاحك ، وبين مطأطئ الرأس خاشع ، كأن على رؤوسهم الطير ، فأدرك أن هذا هو الرجل الذي تحدث عنه

الشاب . ثم دنا منه وتسمع . فأنصت وأنصت طويلا . ثم سرح نظره في
الفضاء وغاب . ثم هز رأسه إيماء بالرضا والارتياح . ثم أطارق إلى الأرض
وكأنه عاد إلى نفسه يلومها على ما فات من أجل . ونقد من عمر . في عالم من
الشعر بعيدا عن هذا الرجل ! ثم عاد إلى إطراقه وكأنه يحدث نفسه قائلا
واشكلى أمي . . والله إني لرجل لبيب . ما يخفى على الحسن من القبيح
وما على من بأس في متابعة هذا الرجل حتى أعرف خيره وشره . فانه يقول
كلاما فوق الحكم قوة وبيانا

ثم أنهى رسول الله حديثه مع الناس . وسار صوب بيته يتبعه بعض
صحابته . وخلفهم الشاعر الأريب يقود ناقته في إطراقة عميقة . لا يرفع
رأسه إلا ليرى اتجاه رسول الله حتى لا يضل خلفه . ويكاد لا يسبح بخياله
إلا في عالم من المعاني السامية التي سمعها

ثم دخل رسول الله داره فدخل خلفه والكل ينظر إلى هذا الذي لم
يروه قبل ذلك . ولعلمهم سمعوا به ولا يعرفونه . ثم جلس بين يدي الرسول
يستقرئه القرآن . ورسول الله يتلو عليه ما تيسر منه . والشيخ لا يمالك نفسه
من الاهتزاز والترنح على وقع آياته . وجرس عباراته . فشجعت حالته رسول
الله على أن يعرض عليه الاسلام ، فأسلم . ثم قام بعد أن سلم على الجميع .
ثم تساءلت الصحابة من عساه يكون هذا ؟ ! فأجاب على :

هذا شاعر العرب وحكيمها الطفيل بن عمر الدوسي

قفقزوا جميعاً من شدة الفرح به . وراح بعضهم يهنيء بعضا باسلامه

* * *

وكان الواقف عند الشعب يرى شبانا من قريش يتنادون ويتواثبون
ثم يقفون هنيهة ، ويسألون بعض السابلة ، ثم سمع بعضهم يقول لبعض
لقد صعدوا فوق هذا الشعب ثم هبطوا عنده هذه الوهدة . فيرد ثالث ويقول
بل انعطفوا من هذه الربوة ، واستقاموا بعد ذلك إلى داخل مكة . فيجيب
رابع ويقول : وإذن فلا فائدة من البحث خلفهم . والعدو نحوهم . ماداموا قد
دخلوا إلى أفنية مكة وعموا صوب الكعبة . فأغلب الظن أنهم قد اتصلوا به .
وبدأ سحره يسير فيهم . فقال خامس : لقد حدثني واحد من سألته عنهم ،
فقال : انه يغلب على ظنه أنهم لم يقدوا إلى مكة للحج . ولكنهم جاءوا
ليشهدوا محمداً بعيونهم ويروه بأنفسهم . ويجادلونه في دينه الذي يزعمه .
وأنهم من نصارى نجران

عبد شمس — إذن ستكون بينهم وبين محمد ماحمة عاصفة . لأنهم أهل
كتاب . أخذوا عن رهبانهم أخبار الأولين وأسرار الآخرين . فهيا إلى
البحث عنهم حتى إذا كان النصر حليفهم . حصنا (١) في وجهه ، وأيدناهم
في حقهم عليه

ليث — وماذا يعود على قريش في نصرتهم على محمد . أو ماذا يضرها
من نصره محمد عليهم . هؤلاء إن صح أنهم نصارى ثم انتصروا كان ذلك
لهم ولمن أرسلوهم لا لقريش ولا لأهلها . وإن خذلوا ، لم تفقد قريش شيئاً لأنهم
ليسوا منها ولا يدينون بدينها

عبد شمس — ولكن انتصار محمد عليهم . واقناعه إياهم . لما يؤيد دعوته .

وبل قضيته . ويذبح رسالته . سباً وهم أهل كتاب . وذوو علم بأبناء
الأنبياء . وأخبار الرسل . فسلامهم بلا شك سيكون سلاحاً جديداً

ثم نظر عبد شمس عن بعد وحدد بصره صوب مكة ثم قال :

أليس هذا القادم هو سعيد بن حكيم ؟ ؟

فنظر الكل إليه دون أن يجيب أحد . ثم قال ليث :

لا شك أنه هو . . . وأنه لا بد وأن يكون قد حدث داخل مكة

ما يكدر . فان وجهه ينطق بالغضب ويقطر بالفيظ . ثم صاح به أحدهم :

(ما وراءك يا عصام !)

فلم يستطع سعد أن يرد على ليث لهر (١) أنفاسه ، وشدة غيظه . . ثم

انفجر في وجه الجميع وقال :

أين كنتم حين دخل هذا الركب من النصارى يسألون عن محمد ثم

يتصلون به بهذه السرعة الخاطفة . دون أن يلقاه منكم أحد !

ليث — في الحق أنها ليست إلا مفاجأة عجيبة تلك التي تمت في

سويقات بين سؤالهم عن محمد . وعلتنا بأمرهم . وخروجنا للبحث عنهم

واتصالهم به في مثل هذه السرعة . . . ولكن حدثنا ماذا تم في أمرهم معه

سعد — ماذا تم ؟ ؟ وهل يتصل بهذا الرجل أحد ، ثم يدعه يقوم

قبل أن يسحره

ليث — خيبة الله عليهم من ركب بعثهم من وراءهم من أهل دينهم

ليأتوا بخبر الرجل . فلم يطمئن مجلسهم عنده . حتى طارقوا دينهم وصدقوه

(١) تردد الاقاس بسرعة

« يا أهل مكة أنا كل الطعام ولبس »
 « الثياب وبنوهاشم هلكي لا يتناعون »
 « ولا يتناح منهم ! والله لا أقعد حتى »
 « تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة »

زمير بن ابى أمية

ولم يكن يخالط النوم جفניה الساجيين إلا لما . ترصد النجوم .
 وترقب طلعة الفجر لتقوم في جوف الظلام بأداء مهمتها التي اعتادتها
 ونهضت (أسماء) قبيل الفجر . تجمع عليها ثيابها . لتفادر حجرتها
 والكل نيام حولها ، في خفة الأرنب . ومرور الطيف . دون أن تحدث
 من الحركات ما يوقظ النوم . وفي سويعات معدودة كانت أمام منزل حكيم
 ابن حزام تستنجزه طعام عمته خديجة بنت خويلد ، قبل أن يستيقظ حراس
 الطريق المؤدى إلى المسلمين . وتستودعه طعاما لأبيها أبى بكر . ثم عادت
 أسماء قبل الشروق إلى بيتها تتسلل متثددة . ولكن أزيز الباب في مثل هذه
 الساعة كان أعلى من أن تحتمله الآذان وقد شبت أوتارها بالهدوء والراحة
 فتحرك أبو قحافة في فراشه ثم تسامع إلى مصدر الأزيز . ثم أعاره انتباهه
 ثم جلس استعدادا لمعرفة سر ذلك في مثل هذه الفترة التي لا يزال يسمع فيها
 غطيط النائمين . في جو يسوده الصمت ويكسوه الهدوء . فسمع وقع أقدام
 تدنو من أذنه ويزايد وقعها هنيهة بعد أخرى بصحبها حفيف ثياب فصاح

من القادم ؟

فتوقفت أسماء عن المسير والاجابة و راحت تحدث نفسها . أترد عليه فتكشف
عن أعمالها الستار . وقد تبوء منه بالغضب . أم تلوذ بالصمت فيهتف بالخدم
والعبيد . وثور في البيت عاصفة قد تنتهى بنفس المصير ؟؟ النتيجة إذن
واحدة . ومن العبث أن أظل في مكاني صامتة . . . مرت هذه الخواطر
في رأس « أسماء » الصغيرة مرورا سريعا . ثم بادرت باجابة جدها . قبل
أن تعتوره الشكوك . فيحتد عليها ويستغيث بمن في المنزل . فراح يسألها
وهي تجيب الى أن قال لها :

وأين كنت خارج الدار في مثل هذه الساعة ، وماذا كنت تصنعين ؟
يا للهول ! ! تحدثني . : مالك وقد أصابك العي يا بنت أبي بكر . أما يكفي
مارزئناه في أبيك حتى تعاجلينا برزء جديد ! !

فاستيقظ من في المنزل . وتداعوا لمعرفة النبأ . ووقفوا ينظرون إلى
أبي قحافة محتداً ضاربا راحة بأخرى . ثم إلى أسماء الصغيرة . مطرقة الرأس
صامتة . لا تريد البوح بسرها . ثم هتف أبو قحافة (بحبيبة) أمها . فلبت
نداءه . ووقفت بالقرب منه ثم سبح بيده في الفضاء يتلمسها نحو مبعث صوتها
فمدت يدها اليه . فأخذ بمعصمها وقال في مضض :

ليت أمي لم تلدني يا بنتاه حتى لا أوجد في مثل هذا الجحيم ! ! غرر
(محمد بن عبد الله) بولدي حتى حرمتهم قریش الخبز والأدم . ففجعنا فيه .
ومنيننا بفراقه ! ! ثم استيقظ اليوم على صرير الباب تدخل منه بنيتك أسماء
في مثل هذا الوقت ، ولا أدري أين ذهبت ولا من أين جاءت . ثم لا تريد

أن تنبئني ولا أن يذهب بسرهما أحد . فضايق أسماء حروجة الموقف وقد
ارتسمت علام الاستغراب والدهشة على وجوه الجميع . فأجابت جدها في
برة خائفة وقالت :

لم أخرج يا جداه في مثل هذه الساعة إلا .. ثم سكنت تمسح دموعها
أبو قحافة - محتدأ - الا لماذا؟؟ تحدثني يا الحكيمة

أسماء - الا لأرسل طعاما لأبي الذي يكاد الجوع يفتك به ومن
معه . لولا حنين ذوى القربى وأريحياتهم يبكرون إلى إرسال بعض الطعام
عند الفجر اليهم قبل أن تستيقظ قريش لحراسة الطريق المؤدى إلى الشعاب
أبو قحافة - غاضبا - طعام ؟! ويح بنت أبي بكر . وكيف ترسلين
طعاما دون علم منى بذلك . ومنذ كم من الأشهر تفعلين هذا ؟ وماذا تقول
قريش . وقد عهدتني رجلا يحترم وعده وموثقه . . الآن بصرى قد
كف ؟؟ أم تجاهلا لوجودى بينكم !

أسماء - باكية - وماذا جنى - يا جداه - هؤلاء الساكنين . حتى يحكم
عليهم بالقطيعة . والموت جوعا ؟! وإذا كانت قريش ظالمة . فكيف تتطوع
بمعونتها على تحقيق الظلم . والتماذى فيه ؟!

أبو قحافة - أى بنهية . . لملك لا تعرفين ماذا فعل هؤلاء حتى
استحقوا ما هم فيه من ذل وجوع وتشريد وعناء . هؤلاء قد سفهوا عقولنا
وسبوا آلهتنا . وفرقوا كلمتنا . وأثاروا الفتنة فى كل منزل وناد .

أسماء - لقريش أن تتجرد من قلوبها وتفعل بهم ما تشاء . . ولكنى

لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَجَرَّدَ مِنْ قَلْبِي وَحَبِي لِأَبِي وَمَنْ مَعَهُ لَا جَلَّ ..
أَبُو قَحَافَةَ — هَادِثًا — وَمَا وَسِيلَتُكَ إِلَيْهِمْ يَا بَنِيهِ وَالطَّرِيقَ وَعَرَفَ ..

وَالْمَنَافِدَ مَلْتَوِيَّةً

أَسْمَاءُ — مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَامٍ وَأَنَا أَمْدُهُمْ بَمَا أَسْتَطِيعُ مِنْ طَعَامٍ تَارَةً عَلَى قَدَمِي وَأُخْرَى فِي رِجْلِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَرِثِ . يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا ثُمَّ يَنْزِعُ عَنْهُ خَطَامَهُ ثُمَّ يَضْرِبُهُ عَلَى إِبْطِهِ فَيَسَابِقُ الرِّيحَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ تَحْتَ سِتَارِ الظُّلْمَةِ وَفِي غَفْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ

أَبُو قَحَافَةَ — هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو ؟ ! . يَا لِلْخَطْبِ لَقَدْ انْتَقَصَ الصَّحِيفَةُ مِنْ

أَطْرَافِهَا وَخَانَ الْعَهْدَ وَالْيَثَاقَ

أَسْمَاءُ — وَالْيَوْمَ خَرَجَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ بْنُ خُوَيْلِدٍ بِطَعَامٍ لِعَمَتِهِ خَدِيجَةَ . خَالَتُنِي بِهِ أَبُو جَهْلٍ وَتَعَلَّقَ بِمَا مَعَهُ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ مَكَانَكَ حَتَّى أَفْضَحَكَ . فَتَنَاقَشَا وَتَشَادَا وَتَدَاعَى النَّاسُ . وَجَاءَ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ بْنُ هِشَامٍ وَأَخَذَ يُوْثِبُ أَبَا جَهْلٍ عَلَى مَوْقِفِهِ وَيَقُولُ : مَالِكَ وَإِيَاهُ . عِنْدَهُ طَعَامٌ لِعَمَتِهِ . أَفْتَمَنَعَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهَا ؟ خَلَّ سَبِيلَهُ .. فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ عَلَيْهِ ذَلِكَ . فَهَوَى عَلَيْهِ ضَرْبًا بِلَحْيِ (١) بَعِيرٍ حَتَّى شَجَّ رَأْسَهُ

وَأَخَذَ يَطَّأُ بِقَدَمِهِ وَطَأً شَدِيدًا . وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِأَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ رُؤْيَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ لَهُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الْحَالِ يَشْتُمُ بِهِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ . وَيَحْمِلُ خَبْرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الشَّعَابِ

ابو قحافة - يا لها من فتنة شعواء . فريتس تقاثل نفسها ، ومحمد وأصحابه
يشرفون على ذلك من أعلى الجبال .

وهناك بالقرب من الصخرة العالية « بخطم الحجون (١) » جلس
الأربعة في انتظار هشام بن عمرو وأخذ زهير بن أبي أمية يقص على جلسائه
قصة دامية تدور حول فتاة صغيرة أيقظها الجوع في جوف الليل البهيم
وراحت تبكي من قارص الألم . وأما ترد على بكائها يبكاء . فتارة تشمل
قاراً تحت القدر إيهاما بوجود طعام تحت الطهي والانضاج . وتارة أخرى
تقوم الى مناعها فتتظاهر بالبحث فيه عن خبز وقديد . حتى جىء لها باناء
فيه مزق (٢) فكادت تلتهمه التهاما من حرارة الجوع

كان زهير يقص على مستمعيه قصته بين أصوات الأسى ورنين الحزن
لما وصلت اليه حالة المسلمين من أخوالهم وبني عمومهم . وما كاد زهير ينتهى
من قصته حتى أخذ المطعم بن عدي يقص قصة أخرى عن مطلبى (٣) كان
يسير في سوق مكة تحت أسمال بالية ، ومزق مهلهلة . يشع من خلالها جسم
فاره . وفتوة حادة . والدرهم في يده يريد به إيراداً يستر به بدنه البادى
يجمع عليه الخرق بيديه ؟

وكما أحس القرشيون بنسبته الى بنى المطلب أشاحوا بوجوههم عنه
وامتنعوا عن البيع . وتذكروا في حديثهم معه وأغلظوا له الكلام

(١) مكان بأعلى مكة (٢) لبن ممزوج بالماء

(٣) بتشديد الطاء نسبة لبني عبد المطلب الذين يناصرون المسلمين

وعقب البختری بن هشام علی حدیث صاحبه بقصة : « عامر بن سعد »
الذی أصابته نوبة من الخبل لامتناع (أبی دلامه) القرشی عن تزويجه ابنته
(شمشة) التي كانت مخطوبة له من قبل . لا شيء . إلا لأنه دخل مع أبيه في
حلف بنی عبد المطلب . وخرج علی قریش وعهدا

زمنة بن الاسود — فی الحق انه لميثاق جائر وعهد ظالم . وصحيفة
قاطعة للاهل والرحم . وانا لمدينون جميعا بفضل هذا الاجتماع الميمون
لهشام بن عمرو الذی لم تئسسه وحدته عن التفكير والعمل علی ابطالها وتمزيقها
رحمة بأبناء عمومتنا وأخواننا المشردين منذ ثلاث سنوات كوامل

زهير — لقد وافاني هشام فی منزلی والأسي يملأ صدره والغیظ يطل
من عينيه وقال لی : أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء
وأخوالك حيث قد علمت ??

أما أنا فأحلف بالله لو كانوا أخوال أبی الحكم (١) ثم دعوته الى مثل
مادعائك اليه ما أجابك أبداً ، فقلت له وماذا أصنع وما أنا إلا رجل واحد
ووالله لو كان معی رجل آخر لنقضتها

فقال — قد وجدت رجلاً فقلت ومن هو ؟

قال أنا . فقلت ابغنا ثالثاً .. ولعله فعل معكم مثل ذلك . حتى استطاع
أن يجمعنا الساعة لاداء مثل هذا الواجب الكريم
أبو البختری — يظلل عينيه بيده ويقول
أليس القادم هشام ؟ تأملوه . أليس هو ??

(١) أبو جهل

أصوات - هو برمته على بعيره المحجل
المطعم - ياله من بعير مبارك !! ثلاثة أعوام يحمل الزاد في منعة العقاب
وسرعة النسر ، الى أخواننا في الشباب ولم يصب بنقب ولا دبر
زمنة - لا . بل قد نمت وترعرع
ثم واثم هشام فقاموا له احتراماً . ثم بادروهم بالاعتذار عن تأخيرهم .
ثم قال : ان قریشا تأتي إلا مضايقتي وملاحقتي لاستطلاع أخباري وتعرف
حركاتي وقد أبيت إلا أن أضللهم . ثم تفاهموا على طريقة نقض الصحيفة
في مواجهة الجميع .

غدت قریش إلى أنديتها . وجاء زهير بن أبي أمية . ووافاه اخوان
مجلسه الأربعة . وراح يطوف بالبيت حتى أتم طوافه . ثم نظر عن يمين
وعن شمال . واعتلى مرتفعاً من الأرض وصاح :
يا أهل مكة : أنا كل الطعام . ونلبس الثياب . وبنو هاشم هلکی .
لا يبتاعون ولا يبتاع منهم !؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة
القاطعة الظالمة

فسمع زهير من خلفه صوتاً مبهوراً يقول له (كذبت . والله لا تشق)
فالتفت اليه يتبينه فإذا به أبو جهل . ولكنه لم يكذب ينظر اليه حتى سمع صوت
زمنة بن الأسود يقول لأبي جهل : أنت والله أكذب .. مارضينا بها
حين كتبت

أبو البختری - صدق زمنة . لا ترضى حقاً بما كتب فيها

المطم - صدقما وكذب من قل غير ذلك

هشام بن عمرو - هذا والله ما تنادى به الرحمة في كل مكان . ومه

تنبض به قلوب الجميع .

وقف أبو جهل يستمع إلى هذه الأصوات المتلاحقة وينتقل برأسه

إلى مبعث الأصوات واحداً بعد آخر ، فكان كالمهدف يتلقى السهام من

كل ناحية فطأ رأسه . ثم عاد ففزعها مرات ثم قال :

لا شك أن هذا أمر يت بلي

ثم صاح المطم في المجتمعين . . على بالصحيفة حتى أمزقها أو أن

أذهب لتمزيقها

أبو طالب - على رسلك !! لقد مزقتها قبلك الأرضه

فضحك بعض المشركين استهزاء منه .

أبو طالب - لقد أخبرني ابن أخي . وهو عندي صادق أمين . أن

الأرضة أكلت ما فيها من قطعة رحم وظلم . وتركت اسم الله تعالى .

فأحضروها بين هذا الملاء . فمن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطمون .

لأرحامنا . وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وإنا على باطل . فقاموا إليها

سراعا يتدافعون بالسوق والمناكب . ثم وقفوا أمامها فغرى الأفواه

مذهولين . ثم عاد أحدهم يقيتها يقيتها في يده متمجبا ، والكل خلفه كأنهم

في ماتم . فتناولها أبو طالب ثم رفعها في يده وصاح :

الآن قد تبين لكم أنكم أولو الظلم والقطيعة

فكسروا رؤوسهم ثم تنفس أحدهم وقال معترضا

انكم تأتوننا بالسحر والبهتان في كل مكان ١١
فأنشد أبو طالب يقول :

جزى الله رهطاً بالحجون قتابوا	على مملأ يهدى لحزم ويوشد
قعوداً (بخطم للحجون) كأنهم	مقاولة بل هم أعز وأجحد
أعان عليها كل صقر كأنه	إذا مامشي في رفرع الدرع أجرد
طويل النجاد خارج نصف ساقه	على وجهه يسقي النمام ويسعد
كثير الرماد سيد وابن سيد	يخض على تقرى الضيوف ويحشد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا	على عهدهم والناس فيها رقد
هم رجوا سهل بن بيضاء راضياً	وسر أبو بكر بها ومحمد



علم المسلمون وحلفاؤهم من بني هاشم والمطلب بأمر تمزيق الصحيفة .
فكبر المسلمون تكبيرات رددتها أجواز الفضاء . ورددها معهم حلفاؤهم
مشاركة لهم في انتصار قضيتهم على ظلم قريش وعسفها . ثم راحوا يحزمون
أمتهم . ثم أخذوا طريقهم إلى مكة في مثل مهرجان العيد . وليالي النصر
يكبرون ويهللون . ولم يكن هناك من لا يشع من عينيه السرور . ولا
تنطق حركاته بالجلل والجبر . إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . يسير
وسطهم كالمالات حول القمر . والسديم حول الشمس . لا يستخفه الطرب
ولا يطير به الجذل . يجوز العقبات إلى سواها . ويحطم حلقاتها إلى غير ما
أشد التواء . وأصعب مكسراً

سَيِّدُ الْبَرِّاءِ

وسط عاصفة من الكفاح العنيف ،
افتقد رسول الله عمه أبا طالب وزوجه
خديجة في عام واحد فقد بفقدما
درعه بين قومه ، وريحاته في راحته

« ما قالت منى قريش شيئاً أكرهه »

« حتى مات أبو طالب »

حديث

زحف الليل بجيوشه الساحة . وأمست أبنية مكة في حجر الطبيعة
كالعجائز تلفت بالصمت . وانحنى على نفسها من رهبة الليل وسكونه
ووقفت الجبال حول مكة وقفة الحراس الجبارة تبعث بالرعب . وتوهم
بالرجفة والفرع

ولم يكن يشق الظلام إلا ذبالة زيت ضئيلة في إحدى زوايا دار الندوة
كأنها أنفاس مريض متقطعة . وقد أخذت تستقبل الوافدين عليها من أشرف
قريش وساداتها . والكل مطرق ساهم . حزين واجم . لثقل ما يحمل من
هموم وأحزان .

حلق الصمت في سماء المجلس . حتى شق سكونه صوت أبي جهل في
رنة حزينة ، وجرس متداعى النبرات مهدج وقال :

- قضى الأمر . وتمزقت (صحيفة القطيعة) لهؤلاء الخوارج على دين
قريش وآلها . وعاد محمد وجماعته إلى سنتهم المنكرة في الدعوة لدينه .
والحملة على قريش وآلها وأحلامها . وراح يعرض نفسه على الوافدين
للتجارة . والقاصدين للحج . ومثل هذا له أثره السيء على أذهان الناس .

وقد يتزايد الموقف تعقيداً وسوءاً ، لو كان مرض أبي طالب - الذي علمت -
مرض موت . فاذ ذاك تلتقي والمسلمين وجها لوجه . وعلى رأسهم عمرو
وحمزه . وهما من تلمان شكيمة وعصية . فأرى أن يذهب رهط منا للمرة
الأخيرة إلى أبي طالب . لعله يرعوى عن حمايته . أو ينصح لابن أخيه
بالعدول عن دعوته . سيما إذا ألقى نفسه على حافة القبر . وهو حاميه وناصره
دون أعمامه .

شبية بن ربيعة - وماذا يستطيع أبو طالب أن يفعله مع ابن أخيه مع
مرضه . وليست هذه أول شكايتنا منه في تسفيه أحلامنا . وسب آهتنا .
وتشقيق ذات بيتنا .

أبو جهل - الأمر أجل من أن يسكت عليه بعد كل هذا ياشبية . قبل
أن يبتزونا أمرنا ، على أن شكايتنا بالأمس لم تكن إلا مجرد رغبة . لما
اليوم فسوف تحمل في طياتها الوعيد والانذار الشديد ، مما سيحمل أبا طالب
على التفكير الجدى في خطب ابن أخيه قبل أن يحل به ما نحن عليه عازمون
على أن في شكايتنا إلى أبي طالب اليوم ، معنى عيادته في مرضه . وفي هذا
إصابة عصفورين بحجر واحد

أمية بن خلف - وماذا اعزمتموه في حالة رفضه ما تطلبون ؟
أبو جهل - لا نريد أن نبحث في هذا حتى نعلم جواب أبي طالب
بإرض أو القبول . وإذ ذاك نصف الدواء للداء . والذي نريده الآن
هو معرفة من سيذهبون إلى أبي طالب

أخذت الشمس طريقها إلى كبد السماء . وأضحت ترمى بحرارته
الجبال والحصباء . فتساقطت في ارتفاع الحرارة في أفنية مكة . فترسلها على
الأرض زهومة متراقصة . وأوارا بمنرجا في الفضاء . . . هذه أقطار
الأبل متلاحقة إلى المراعى والشعاب . يقودها الحادى فى أهازيج البادية .
وأغاني الطبيعة . وهامى أمام قریش من الأحاشيش وقد ملأ الجوارى في
مثل الكواكب نظاما والنصون قدودا

وهاهو وفد قریش على باب أبى طالب يستترعى الأنظار . ويفرى
بالفضول والتساؤل . ويدعو إلى تكتب الصبيان واجتماعهم حول الدار
منها مسين متسائلين

دخل الوفد إلى حجرة أبى طالب فألفوه يتقلب على فراش مرضه .
وقد نال منه الألم ما نال . وحوله بعض جوارى أخيه العباس وقد أمسك
الطبيب الهندى يسراه قياما بتمريره ومعالجته

أصوات - عوفيت من أخ كريم

(أبو طالب فى صوت خافت) عوفيتم من كل مله . ثم تأوه

ومضت فترة صمت لم يمزقها الا صوت أبى سفيان بن حرب قائلا
يا أبا طالب : أنت منا حيث علمت ، وقد حضرك ماترى وقد تخوفنا
عليك . وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ لنا منه وخذ له
منا ليكف عنا . ونكف عنه . وليدعنا وديننا ، ولندعه ودينه . حتى لا
تغضب له رحما . ولا نغنى بيننا أصلا ولا فرعا

أبو طالب - هاتفا - على ابن أخى (يافىروز)

(فيروز يلبي طلب سيده ويخرج مسرعا إلى حيث أمر)
أبو طالب — متأوها — لقد أصبحت على حافة القبر وبدأ الموت
يدنو مني رويدا رويدا . ولا أدري ما ستفعله الأحداث بابن أخي، إنه إلى
حييب . وأنه لدى عزيز . ولكنه قد جاء إلى العرب بما يزهدهم فيه .
ويثيرهم عليه . وإن زعم أنه منقذهم من هوان الدنيا وعذاب الآخرة .
ولكن قریشا لا تريد أن تنزل إلى هذا التناهم البريء . ولا أن تسمع لما
يقول . ولا يريد ابن أخي أن يتركهم وما يعتقدون . . .
صمت طويل ، ثم تهامس .. أغلب الظن أنه تعليق على كلام أبي طالب
(رسول الله يستأذن في الدخول . فيؤذن له . ويحاول أبو طالب أن
يقعد احتراماً له . فتخونه قواه)

(وفد قریش يمتعض لهذه الحركة)

أبو طالب — يا ابن أخي
رسول الله — لبيك يا عم
أبو طالب — هؤلاء أشرف قومك . قد اجتمعوا لك ليعطوك
وليأخذوا منك . فقدم وأنت صادق أمين . أن تدعهم عند اعتقادهم . وهم
يدعونك لاعتقادك

(وفد قریش ينظر بعضهم إلى بعض نظرات تدمر من وصفه للرسول
بأنه صادق أمين . .)

رسول الله — يا عم كلمة واحدة يعطونها يملكون بها العرب . ويدين

لهم بها المح

أبو جهل - نعم وأبيك لك عشر كلمات لا كلمة واحدة !! تفضل
فاسمعنا ما عندك !

(الكل منصت لما سيقوله رسول الله) .

رسول الله - هي أن تقولوا لا إله إلا الله وتخلعوا ما تعبدون من دونه
ابتسامات استهزاء وسخرية . .

أبو جهل - أتريد يا محمد أن يجعل الآلهة إلهًا واحدًا ؟؟ إن أمرك

لمعجب

رسول الله - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . فسبحان الله رب

العرش عما يصفون

أمية بن خلف - مالك يا ابن عبد المطلب لا تتحدث ؟

أبو طالب - يتصامم ثم يسبل عينيه ويتأوه . .

أبو جهل - قوموا بنا فوالله ما هذا الرجل بمعطيكم مما تريدون شيئًا .

فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى تحكم الآلهة بينكم وبينه

(صمت في المجلس عميق)

أصوات - هيا بنا . .

أصوات أخرى - لا . وشفتك إلا آلهة يا أبا طالب

رسول الله - لا وشفاه الله وحده . .

(وفد قريش ينصرف غاضبا)

أبو طالب - والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا

(رسول الله يشع السرور في نفسه لكلام عمه وقد ظن أن الوقت قد

حان لاسلامه) فقال لعمه

— قلها أنت يا عم . . أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة
أبو طالب — والله يا ابن أخي لولا مخافة السبة على وعلى بنى أهلك
من بعدى . وأن يظن أنى قتلها جزءاً من الموت لقتلها . ولا أقولها إلا
لأسرك بها

الجو معتكر ، والشمس شاحبة الجبين ، وجماعات من الناس متناثرة
هنا وهناك تتحدث فى خفوت . فمنها الحزين الكامد . والمتفائل الآمل .
والسائر المطرق . والنووب السرور . ثم سمعت عجوز تجر أقدامها ضعفاً
وتحدث نفسها حزينة

لقد قضى والله صدر بنى عبد مناف
فدنت منها أخرى كانت بالقرب منها وقالت :
من ذا الذى قضى ؟؟

العجوز — لقد قضى أبو الاشبال . وقريم الابطال ، أبو طالب بن
عبد المطلب

العجوز الثانية — ابتكك الارض والسماء . وتنه الكواكب
والشموس الزهراء

العجوز الاولى — بل ليحزن عليه محمد بن عبد الله . فقد كان له كهفاً
وملاذاً . وغيتاً ومجيراً

الثانية — إذا مات أبو طالب . فإن ربه لم يمت

« ماغرت على امرأة للنبي صلى الله »
 « عليه وسلم ، ماغرت على خديجة ، »
 « هلك قبل أن يتزوجني لما كنت »
 « أسمه يذكرها وأمره الله أن »
 « يشرها بيت من قصب . . »
 عائشة زوج النبي

وقفت (نهرو) عند رأس خديجة ترمقها بعين الطب . وتفحصها بيد
 الحكمة . وما لبثت أن رفعت يدها محزونة أسيفة لارتفاع حرارتها باطراد
 ثم أهابت بالخدم في احضار المياه الباردة تستعين بها على اطفاء هذا
 اللهب ينبعث من اهاب المريضة . ولكنها كلما وضعت خرقة على جبهتها
 مبللة رفعتها جافة ساخنة . فتدفعها بأخرى وبأخرى رجاء للتغلب على وقدة
 الحمى . فهدأ تارة ويهادنها الألم . . وتستمر أخرى فتعود الأوجاع إلى
 الكر عليها والايلام . حتى إذا تعبت الطيبة (نهرو) أسندت ظهرها إلى
 إحدى الوسائد . وألقت يديها إلى جنبها إعياء . تشرف على التجربة
 تقوم بها زينب وفاطمة في حنو البنوة ورفقها . . حتى إذا أعيأها ذلك .
 قامت إليها (نهرو) تجرعها الدواء . ثم تعود إلى طستها ومياها الباردة
 تلطف بها ما يمكن تلطيفه من الحرارة . والكل حولها يعمل في صمت
 وسكون كآلة هادئة . والجزع يخيم على المنزل في رهبة واجمة ، لا يشق سكونها

إلا أنين المريضة يمزق أحشاء من حولها . ويدفع بدمع فاطمة الى المزيد في صمت رهيب . فيهر ذلك من مشاعر خديجة على بنتها ، فتمد يدها هزيلة إلى رأسها تمسح عليها رفقا وحنوا . ثم تدنينا اليها لتضمها إلى صدرها فتأبى آلام الحمي عليها أن تدعها في حلمها الرحيم . وسعادتها الخاطفة . فتكر عليها قاسية . وتحملها الى عالم آخر تنسى فيه فاطمة على صدرها دامعة باكية ثم عادت فاستفاقت وأخذت تتفقد من حولها وقالت :

— ألم يأت بعد رسول الله يافاطمه ؟

— لا يا أماء . انه اليوم في بني حنيفة .

ثم علا صوتها بالبكاء

خديجة — ما يبكيك يا بنتاه . ان الموت غاية كل حي . ونهاية كل موجود . فان لم أمت اليوم فسأمت غدا ، واذا مت غدا فليس هذا إلا سنة الله في الناس

أصوات — لا وشفاك الله ، ياربيع اليتامى والأرامل

فاطمة يزيد بكاءها ويرتفع صوتها

خديجة — ما هذا يا بنتاه ؟ ! أليس الموت حقا

أصوات — نعم هو حق

فاطمة — ولكن ؟ ؟ أبي

زينب — أبي ؟ ؟ ماذا ؟ ؟ انه بخير

فاطمة — بل في عذاب دائم من صنيع قريش به . بينما أماء التي هي

ظله ورحمته ، في مثل هذا الجحيم . . فرحماك اللهم به ، يخرج من جحيم الى

جحيم . بل رحماك اللهم بالجميع

الكل يبكي وينتحب

ثم أشارت خديجة بيدها إيماء بالسكوت . فهدأت الضوضاء قليلا ، ثم

قالت في صوت متهدج .

نعم يحز في نفسى أن يعرض رسول الله كل يوم على لون من ألوان
العذاب . ولما يأت قومه إلا بخيرى الدنيا والآخرة . ولا يرجو إلا دوام
السعادة لهم والنعيم . . . ولكن الله مؤازره وناصره فانه والله ليصل الرحم
ويصدق الحديث . ويحمل الكل . ويقرى الضيف . ويعين على نوائب
الحق . ولن يخزيه الله أبدا

قالت خديجة هذا . . ثم أسبلت عينيها وغابت عن الوجود مبهورة
منهوكة . ثم سيمع من ناحيتها صوت يقول :

رقية . . ؟ ؟

فعرف الجميع أنها تفكر فى ابنتها رقية زوج عثمان بن عفان رضى الله
عنهما مهاجرة معه الى الحبشة فرارا بدينها ودينه . ولعله قد ارتسم فى
ذهنها عن أولادها الغائبين جميعا ، تصورات مخيفة . وأخيلة حزينة ولعلها
رجعت الى الماضى تستعرض رقية ، طفلة ساذجة تدرج كالطائر البرى .
ثم يافعة كالزهرة فى الكمامة لفتها الطبيعة بأوراق الطهر ، ثم شابة كالوردة
النضرة تهتز على غصن كاعب ، وتميد فوق قد ممشوق

ثم زوجة زادها الخمر جمالا ، وصبغها الحياء بصبغة الفتنة والبهاء . ثم

مهاجرة كسيرة النفس . حزينه الفؤاد . ذابله الوجه .

طافت كل هذه الصور بذهن خديجة فزاد شغفها بها . وحنينها اليها
فمادت تقول :

رقية . . .

ولكنها كلما ذكرت أن الشقة بعيدة . والمزار وعرة ، تهافتت على نفسها
وبهوت أنفاسها . وغابت عن الوجود لا تفتح عينيها إلا فرارا من طيفها
الحزين . ولا تحرك شفثيها إلا باسمها المذنب . .

طافت بمكة أبناء مرض خديجة وشدة ، فحل على الفقراء واليتامى
حلول الصاعقة ، وراحوا يطوفون حول البيت الذى طالما أسبغ عليهم من
نعمه وبره ، وفاء من فضله وكرمه ، يتحسسون أخباره . ويتلمسون ظواهره .
ويفسرن ما يصدر عنه ويرد اليه . وقد ربطوا على قلوبهم خشية أن تحل
النهاية بربة برهم . وارتعدت فرائصهم خوفا على حياة سيدة نعمتهم . فاذا
ما خرج من المنزل خادم أو زائر تكتبوا حوله . وأحاطوا به . وراحوا يسألونه
عن حالة المريضة البارة . وعن خطوات مرضها ودرجات شفائها فى ضراعة
الملتاع . وأحزان المحروم . فاذا سمعوا من أنبائها ما يسرى ويسر . عادت
الحياة الى وجوههم الشاحبة . ونبع اللعاب فى حلوقهم الجافة . وراحوا
يتواثبون فى بهجة وانسراح يزف بعضهم الى بعض أبناء السرور والجلد
وقد لا تطول تلك الموجه بهم . حتى يفد عليهم فوج آخر يمشى على أقدام

الحسرة والأسى . ويحنى رأسه تحت حمل من الأبناء ثقیل . قد استقاها من
خادم آخر أو زائر جديد . فلا يستطيع الموقف إلا أن يتبدل ويلبس في يوم
عرسه ثوب الأسى والجزع . فيقف الكل تحت مياه من الحزن قاتمة ، ساجدا
في بحر من الأخيلة والتصورات المستقبلية . دون أن يجد ما يقول . أو يرى
من الكمد فرارا أو فيما حوالبه مهربا من هذه الصروف

وكان كلما مر رسول الله بنوادی قریش مطرقا محزوننا على مرض
زوجه خديجة . تمازحت وتضاحكت . وتمايل بعضهم على بعض في سخرية
واستهزاء . اعتقادا منهم بأن مرض خديجة سيذهب من نشاطه . ويميد باتزان
بل إذا ماتت فستهد عزمته وتقل قوته . لأنها مؤنسه في حزنه . وميرته
في فقره . وورده في ظلمته

ولم تكن أبناء مرضها بموقفه سفاهة قریش ومضیها في إيذاء رسول الله
إشفاقا عليه من وطأة المقادير ، وملاينة منهم إزاء الشدائد تؤلف القلوب .
والحنن تفسل الخصومات . . بل إن إيذاء قریش له قد تضاعف . والنكال
به قد اشتد ، حتى قال صلى الله عليه وسلم (ما نالت مني قریش شيئا أكرهه
حتى مات أبو طالب)

ولكن الرسول الأمين لم يكن بحيث تقل من عزمته الصروف . أو
تهتد من قوته النوازل . وإن حزنه على مرض خديجة لم يكن يوقف دورته
أو يفسد واجبه ورسالته ، رغم وفائه لربة أولاده ، ونبراس هناءته ، وركن
سعادته ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته

يقيم رسول الله بيته وقت الغروب . بعد أن ردت بنو حنيفة رداً قبيحاً ، كما يعود القائد المنهزم من ساحة القتال ، مطرقاً تحت سحابة من الأحزان . ثم وقف دون الباب يرفف فؤاده . ويدق دقات من ينتظر صدمة القضاء المحتوم . ويتلمس أنباء خديجة من أصوات القاطنين بحبه وأحاديثهم وحركاتهم . ولكن الصمت كان مخيماً على البيت لا تسمع في هدأته إلا أنه خافقة لا تزال تبعث الأمل وتزجي بالرجاء . يستجيب لها نشيج منقطع وبكاء مذبوح . فعرف أن خديجة لا تزال على قيد الحياة رغم حالتها السيئة وأن فاطمة لم ترقأ لها دمة بعد

ثم وقف رسول الله عند رأس المريضة . فشمت ريحه الشذية المباركة وأحست بنشوة تجرى في عروقها . فتشيع في جسها موجة من الحركة والاتعاش . فحاولت أن تعتمد على ساعدها لتجلس . فرحاً بمقدمه ، أو تحية له . فحانتها قواها ولم تستطع . فسارعت فاطمة نحوها وأجلستها . ولكنها لمحت في وجه رسول الله مخايل الألم العميق . لا تدرى أمن أجلها ، أو من إحدى الحوادث التي لا تنقطع حلقاتها عنه . فقالت له :

— صبرا يا أبا القاسم فوالله لن يخزيك الله أبداً . ولن يكلك إلى عدو يتقحمك .

وبينما هم كذلك وإذا بأحد جيرانه تقذه برحم شاة . فقامت فاطمة نحوهم تزيل آثاره عنه . وقد زاد بكاؤها وعلا عويلها تأثراً مما يصيب أباهما . وحزناً لما عليه أمها . وعجزاً عن رد هؤلاء الأجلاف إلى صوابهم . ثم قام رسول الله لحمل رحم الشاة على عود . وخرج به إلى ما بعد بابه وقال :

« أی جوار هذا یابنی عبد مناف ؟ » ثم ألقاه فی الطريق
وما انتصف اللیل إلا أقله حتی ارتفعت حرارة خدیجة فجأة وتوالت
حدقات قلبها بسرعة . ثم زارتها حشرة قاسية تُفصد جسمها لوطاتها عرق
وأخضعت جوارحها إعیاء وتراخیا . ثم راحت تبحظ بعینها الواسعین
فی وجه رسول الله . كأنها تزود منه بكل ما تستطيع أن تزود به ، ثم
مدت یدها تتلمس یده الکریمة وتستشف منها برد السعادة والهناء الابدیة
وتشد علیها تأکیداً للإیمان به . وتجديداً للعهد والميثاق . ثم أدنت فاطمة
منها ومسحت علی ظهرها بیدها ثم أدنت أم کلثوم وزینب وصنعت بهما
کذلك ، ثم هوت یدها إلى جنبیها للمرة الأخيرة وقالت :
أشهد . . أشهد أنك لا شریک لك . وأن محمداً رسولك الحبيب
فسالت دموع النبی الشریفة ، واستجابت لدموعه دموع الحاضرين
جميعاً فی خفوت والتیاع

اقدم الدائمة

ضافت مكة بدعوة الرسول الى الاسلام
فسافر الى الطائف ليعرض الدعوة
على ثقيف فعاد الى مكة مضمدا القدم

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة »

« حيلتي وهوائي على الناس يا أرحم الراحمين »

حدث

بدأت يد الفجر تمسح من لوحة السماء بعض النجوم . وأخذ طائر الليل يرفع جناحه عن الشرق في تودة واتزان . وسارت نسائم ما بعد السحر تطوف بشجيرات الاذخر وتداعب أغصان الزهر فتزودها بما ينبت في النفوس ريحان الأمل . . ورسول الله في طريقه الى الطائف . يدعو ثقيفا الى دين الله لا يؤنسه مؤنس ولا ترعاه الا عين الاله الذي أرسله . . وصل رسول الله الى حى بنى عمرو بن عمير ، فألقى أخوة ثلاثة امام محلتهم فوقف دونهم وقال :

يا بنى عمرو انى رسول الله اليكم والى الناس كافة . أن تؤمنوا بالله وحده وتخلوا ما تعبدون من الأوثان . وتمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم . ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تأتون بهتان تفترونه . فان آمنتم بى وصدقتمونى . استحلتم شفاعتى يوم القيامة . ومن اتبع هواه بغير هدى من الله فان الله لا يهدى القوم الظالمين

فرجع مسعود بن عمير وجهه قبالة وقال له :

ان كان الله قد أرسلك ، فانى أمرط ثياب بينته !! « الكعبة »

وابتسم عبد ياليل بن عمرو - بسمة ساخرة وقال : أما وجد الله أحدا

يرسله غيرك !!

وسئل حبيب بن عمرو سعة متكلفة ثم نظر اليه وقال :
اصنع إلى يا محمد ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، فأنت أعظم خطراً من
أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلك
رسول الله - أرجو أن تكتموا عني ما صنعتم حتى لا يتحرج بي
العبيد والصبيان . ولا تشيع الشماتة بي في قريش

ثم انصرف حزينا آسفا لقلّة ما يصيب من توفيق . ثم همس (عبد ياليل)
في أذن أحد عبيده فسارع هذا العبد يجمع العبيد والخدم والصبيان من هنا
ومن هناك . وأخذوا يهلاون خلف رسول الله ويصخبون ، ثم أخذ بعضهم
يقذفه بالحجارة ويخثوه بالتراب . ويرسل اليه الشتائم . . وأشرف الطائف
ينظرون اليهم متضاحكين . والنساء والمجانز يشرفن على هذه المطاردة
هازئات ضاحكات

وتحت سحابة من الثرى وبين ضوضاء الصبية . اختبأ رسول الله خلف
سور حديقة لبني ربيعة . فكان اختباؤه مؤذناً بهدوء المعركة وأوبة الاطفال
من حيث أتوا

وفي ظل حيلة من العنب جلس رسول الله يجفف الدم من أعقابه
ويستجمع من هدوئه . ثم صعد يبصره الى السماء ضارعا وقال :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم
الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . . إلى من تكلاني ، إلى بعيد
يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري . إن لم يك بك على غضب فلا أبالي ، ولكن
عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . وصلح

عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك .
لك العتي حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك »
قالها رسول الله وهو يظن أنه لم يسمع شكواه إلا السميع المجيب . .
غير أن صاحبي الحديقة التي نزل بها ، كانوا قد سمعوا مادعا به ، فتحركت له رحمة
أحدهما فنادى عبده (عداس) وقال له

خذ قطفا من العنب وضعه في طبق وقدمه لهذا الرجل يا كل منه
شبيبة بن ربيعة - لاخيه - وحقك لا يقول مثل هذا الكلام بشر
عداس - يضع العنب بين يدي رسول الله ويقول له :
تفضل ، فكل ..

رسول الله - ينظر الى العنب ثم إلى حامله ثم يمد يده قائلا :
بسم الله .. ثم أكل

عداس - ينظر إلى الرسول مبهوتا ويقول
بسم الله !! ؟ والله إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد
رسول الله - من أى البلاد أنت ؟ ؟

عداس - من أهل (نينوى)
رسول الله - وما اسمك وما دينك إذن ؟
عداس ، النصرانى

رسول الله - أنت إذن من بلد الرجل الصالح يونس بن متى ؟
عداس - مبهوتا - ومن أدراك يونس بن متى ؟
رسول الله - ذاك أخى كان نبيا وأنا نبي

« فأكب عداس على رأس رسول الله ويديه وقدميه يقبلها »

فنظر شيبه بن ربيعة لاخيه وقال له

أرايت ؟! لقد أفسد علينا محمد بن لامينا ، ولعل هذا ثمن إشفائك عليه !!

عتبة بن ربيعة - في غير اكتراث - لا تحزن فكلاهما من نبعة (١) واحدة

ثم رجع عداس إلى سيديته ، فقال له شيبه

ويلك يا عداس !! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟

عداس - ما في الارض شيء خير من هذا الرجل . لقد أخبرني بأمر

ما يعلمه إلا نبي

شيبه - عساه يكون قد صرفك عن دينك وهو خير من دينه الذي يزعم ..

عداس - لا والله .. لقد زادني اطمئنانا عليه . وما هذا إلا ملك كريم

* * *

بدأ ميزان الشمس يميل نحو الغروب . واستطال الظل في فيض وكرم

ينقذ الارض من هجير الشمس ولفح الحرور . وأخذ رسول الله طريقه

الى مكة فوصل الى (نخلة) فجلس بين شعابها واذخرها يستعيد راحته

ويستجمع نشاطه فغلبه النوم ، حتى اذا انتصف الليل قام يصلي ويرتل القرآن

في جوفه والكون مصغ . والنجوم ساهمة

* * *

كان رسول الله في مجلس من أصحابه بمنزله ، فاحمر وجهه وتقصد جبينه

(١) يقصد من أصل واحد في الديانة

بالعرق ، ثم أسبل جفنيه ، فأدرك صحابته حالته ، فاقطعوا عن حديثه ،
وتواصوا بالصمت . انتظاراً لما يأتي به الوحي . ثم استفاق عليه السلام
وسلم على أصحابه فردوا السلام عليه ، ثم قال له أحدهم
خيراً اللهم .. ما الذى جاء به إليك جبريل يا رسول الله
فقرأ عليه السلام قوله تعالى

« واذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن . فلما حضروه قالوا
أنصتوا . فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل
من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه . يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم .
يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب
أليم . ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض . وليس له من دونه
أولياء . أولئك فى ضلال مبين
فقلت الصحابة صدق الله ورسوله .

وقد علموا أن الله قد زف إلى رسوله ليلة عودته من الطائف طوائف من
الجن استمعت إلى قرآنه فى جوف الليل . وآمنت به وصدقته ، حتى لا يشق
عليه رفض ثقيف لدعوته . واغراء السفهاء بايذائه والتشهير به

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

كان أسراؤه صلى الله عليه وسلم نوراً
جديداً للاسلام والمسلمين . وناراً
ثائرة في معسكر المشركين والمنافقين

« سبحان الذى أسرى بعبده »

« ليلا من المسجد الحرام الى »

« المسجد الاقصى الذى باركنا حوله »

قرآن كريم

استيقظت هند بنت أبى طالب على صوت رسول الله يناديها . فبغت
من نومها جالسة تمسح على عينيها بيدها . وفتحتها لتعرف بها وجه الزمن
ولكنها لا تلبث أن تغمضها ثم تعود الى فتحها . حتى أدركت أن أنفاس
الفجر بدأت تغشى سواد الليل وتمحو معالمه . وان وقت الصلاة قد وافا
وأهاب بالنوام الى الوضوء . فنهضت هند من فراشها . وراحت ثم عادت
متوضئة . وصلت خلف رسول الله صلاة الصبح مع أهلها . ثم سادت فترة لم
تكن تسمع فيها من رسول الله الا ما يشبه وسوسة الحلى . لعله قرآن الفجر
أو دعاء بالنصر لدين الله ، ثم سكت هنيهة وقال

يا أم هانىء (١) لقد صليت العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى
ثم جئت بيت المقدس . فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن
كما ترين

ف نظرت اليه أم هانىء نظرة الدهشة والعجب . ولسانها لا يكاد يتحرك
وعيناها مشدودتان الى وجه رسول الله . لا يمنعها من تكذيب حديثه إلا

(١) كنية لهند بنت عبد المطلب

إيمانها بصدقه وأما ته ثم قالت وكيف تم ذلك يا رسول الله . فقال رسول
الله ما معناه :

بينما أنا نائم في الحجر (١) اذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست ، ولكني
لم أر شيئا . فعدت إلى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه . فجلست ولكني
لم أر شيئا . فعدت إلى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ
بعضدي فقامت معه فخرج إلى باب المسجد . فإذا دابة بيضاء بين البغل والحمار
في فخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع يديه في منتهى طرفه ، فلما دنوت
منه لا ركة شمس (٢) فوضع جبريل يده على مؤخرته ثم قال ألا تستحي
يا براق مما تصنع ؟ فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه .
فاستحي حتى أرفض عرقا . ثم قرحت ركبته ، ومضينا إلى بيت المقدس
فوجدت فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمتهم في الصلاة
ثم أتى بثلاثة أوان من خمر وماء ولبن . ثم سمعت مناديا يقول ان أخذ الماء
غرق وغرقت أمته ، وان أخذ الخمر غوى وغوت أمته . وان أخذ اللبن هدى
وهديت أمته . فأخذت اناء اللبن وشربت منه فقال أخى جبريل ، هديت
للفطرة وهديت أمتك يا محمد ، ثم عرجت إلى السماء فوجدت فيها ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

قال رسول الله هذا ثم هم بالانصراف من لدن بنت عمه فشبهت شهقة
الاشفاق عليه والرحمة ، وتناولته من طرف رداءه وقالت له جازعة متوسلة :

(١) حجر اسماعيل (٢) نفر

يا رسول الله . لا تحدث الناس بهذا الحديث فيكذبوك ويؤذوك .
فإنهم أهل جاهلية

قالت هند هذا في لمجة ضارعة حزينة رجاء أن يكف رسول الله عن
إذاعة هذا بين قوم هبطت عقليتهم الى مستوى عبادة الاحجار التي يصنعونها
بأيديهم لا تضر ولا تنفع .. فنظر اليها رسول الله نظرة تراحم فيها عاطفة
الواجب وعاطفة الحنان ، ثم قال لها
والله لأحدثهموه

فأرخت هند رداءه وراحت تسرح فيه نظرها حزينة مستسلمة ..
مذهب الى المسجد وهتف بالناس فتكتب المسلمون سعيا وراء الاستفادة من
أوامره ونواهيه . وارشاداته ونصائحه . وتتداعى غيرهم عسى أن يكون قد
تنازل عن دعوته . وعزم على اعلان قریش بالهدنة والمصالحة . ولكن شيئا مما
زعموا لم يقع . بل وقف يحدث بما حدث به هند بنت عمه ومن معها . فسكت
المسلمون تصديقا له إلا قليلا منهم . وارتفعت أصوات قریش بالسخرية
والهزء والتضحك . ثم انبرى له عبيد الله بن سعد من الصفوف وقال :
سمعنا روايتك ، وعصينا رسالتك ، حتى تؤيد ما تقول بآية ما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

آية ذلك انى مررت بغير بنى فلان بوادى (كذا) فأنفروهم حسن
الداية . فند (١) لهم بغير ، فدللتهم عليه وأنا موجه الى الشام ، ثم أقبلت حتى
اذا كنا (بضجنان) مررت بغير (١) بنى فلان فوجدت للقوم نياما ولم

(١) شد (٢) الابل

اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء . فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أيضا أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يتقدمها جمل أوراق عليه غرار تان أحدهما سوداء والاخرى برقاء سمع القوم هذا فوقر الصمت في أنفسهم لا يتعرضون لما قال بنفى أو اثبات . حتى ترد الركبان ويسأل حداثها عن صحة ما روى . الا ان جماعة ممن لاشأن لهم إلا العناد والتكذيب قد ذهبوا وفيهم بعض المسلمين إلى منزل أبي بكر وقالوا له

هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة

أبو بكر — انكم تكذبون عليه

أصوات — لا وأبيك . . ها هو ذا لا يزال يحدث الناس في المسجد

أبو بكر — والله لئن كان قد قاله ، فقد صدق فما يعجبكم من ذلك .

فوالله انه ليخبرني الخبر يأتيه من السماء الى الأرض في أية ساعة من ليل أو

نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه . ثم أقبل حتى انتهى الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم والقوم خلفه وقال له :

يا رسول الله . أحدث هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟؟

رسول الله — نعم

أبو بكر — صفه لي يا بني الله فاني قد جئته

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف بيت المقدس له وللمستمعين

كأنما يقرأ في كتاب . أو كأنه يسير بين رحباته وثنياته . يستعرض

أبوابه ومنافذه وأبهاءه ، وأبو بكر يختم كل جملة يقولها النبي بقوله : صدقت
صدقت . . وقدماه لا تكاد تستقر على الأرض من كثرة الفرح ، وتفاعل
السرور . . حتى قال له رسول الله : أنت يا أبا بكر الصديق (١)

* * *

استرعى انتباه الناس دقات الدفوف قوية مفرحة ، وضوضاء الاطفال
وضجيجهم يحيطون بالقارعين ويستبقونهم ، فأدرك السادة من قريش أن
قوافل الشام قد وافت مكة . وأن الوقت قد حان لكشف الغطاء عن ماظنوه
كذبا في إسراء محمد ومقابلة العير التي حدثهم عنها . وقد كان أسبق الجميع
إلى لقاء الركب . أبو سفيان بن حرب . ولم يكن ذلك فرحا بالتجارة والربح
بقدر ما هو فرح بما ينتظر محمدا من التكذيب ، اعتقادا منه بأن ما يحدث به
رسول الله من قصة الاسراء والمعراج ليس إلا كذبا ودجلا . ثم التقي
أبو سفيان بالركب عند الثنية التي وصفها لهم رسول الله . فكان أول
ما ابتدرهم ذلك الجمل الذي وصفه لهم رسول الله . بأنه جمل أورق حاملا
غراراته البيضاء والبرقاء . . فنظروا اليه . ثم نظرو بعضهم إلى بعض وسبابتهم
بين أسنانهم ، ثم أمعنوا بين أقطار الابل . وسألوا فهر بن ليث رئيس
الركب :

هل ند منكم أثناء الطريق بعير ، نفارا من حيوان غريب ؟

فهر — نعم . . لقد حدث هذا في (وادي المران)

أبو سفيان — وماذا تم لكم في مسألة القدح المغطى

(١) هذه هي المناسبة التي اقب فيها أبو بكر بالصديق

فهر - لقد نمنا وتركناه مغطى فاستيقظنا ولما مجد شيئاً وظل مغطى كما هو ، فعجبنا لأمره .. فأطرق أبو سفيان ومن معه حزناً لا يدرون بماذا يجيبون الناس في ذلك

ثم قال فهر :

من حدثكم بهذا كله . وبيننا وبينكم مسيرة أشهر
أبو سفيان - لقد حدثنا بهذا نبي بني عبد مناف يدعى أنه قد
أسرى به الى طور سينا ، ثم الى بيت المقدس ، ثم طاف بأرجاء الدنيا .
وعاد قبل أن يبرد فراشه الذي غادره !!

فهر - أما حديثه عن الجمل الأورق . والبعير النافر . والقدح المغطى
فهو صدق والله . أما غير ذلك ؟ ؟

أبو سفيان - مقاطعاً - فهو من آثار السحر أو نشاط الجان .

انسحاب الظلم

انبثق للإسلام فجر جديد ، بوفادة
لفيف من أشراف يثرب الى مكة
ولقائهم برسول الله واسلامهم على يديه
وايفاده بعض صحابته الى يثرب للدعاة
للإسلام فيها ، وبنائه بسودة بنت
زمنة : وعقده على عائشة أم المؤمنين

« يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام .. فقلت »
« وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .. ترى ما لا أرى »

حديث

وعاد رسول الله الى بيته من (منى) مكدوداً متعباً على أثر مناقشات حادة . ومشاكسات عنيدة . بينه وبين بعض المشركين . فلم تكن وحشة المنزل وخلوه من الشريكة الحانية . والزوجة الرحيمة . بأقل أثراً في نفسه من هذه المشاكسة التي وطد نفسه على احتمالها . أسلم نفسه بعض الصلاة لتصورات شتى . أوحاها اليه سكون المنزل بعد خديجة . ووحشته بعد عودة بناته الى بيت الزوجية . . فخلق بخياله في سماء المنزل . وطاقف بحجراته . يتأمل آثارها . ويستوحى ذكرياتها . ويستذكر عطفها وحدها . الذي طالما خفف عنه وطأة الجفوة من قومه . ورفه عنه خشونة ما كان يلقاه . . وظل رسول الله في استسلامه وتصوراته . حتى أيقظته فاطمة تمسح على ظهره بيدها الرحيمة . بعد طول وقوفها بجواره . فرفع بصره صوبها فوجدها وردة منكشة ذابلة ، فتلاقت العيون الحزينة . وتجاوبت المشاعر الجريحة . فأدناها رسول الله منه . وراح يبادلها عطفها الصامت بعطفه الحبيس ، فأحست بأبحرة الأسى تنحدر الى ماقيها دموعا . فخشيت على مشاعر أبيها من رؤية الدمع في عينيها . فهضت واقفة . وخلفته نهبا للاحزان . سابحا في الفضاء الفسيح الذي كانت تشغله خديجة . ربيعا لدعوته . وريحانة لراحته . ومفكرا فيمن عساها

تستطيع أن تسد الفراغ من بنات اقرب الناس الى نفسه من صحابته .
فراح ينثر كنائهن . ويقارن بينهن . ويفلى آباءهن ، ليعرف اكثرهم
بلاء . وأشدهم فى الحق والاسلام تقانيا . فاذا كان لابن الخطاب فتاة فان
لأبى بكر مثلها .. صحيح أن الثانية ليس لها من سنها ما يؤهلها للزواج .
ولكنها فى الوقت نفسه بنت أبى بكر . أوفى الصحابة الى . وأبذلهم مالا
لدعوتى .. واذا كانت الحاجة الى هذه الشريكة ماسة فحاجة سودة بنت
زمنة الى هذا التعاون أمس ، بعد أن مات زوجها (السكران بن عبد شمس)
مهاجراً الى الله ورسوله فى الحبشة

ولست ذات مال يغرى طلاب المال بزواجها . ولا صاحبة جمال يدعو
طلاب الجمال الى البناء بها . اذن فلا عقد على عائشة توثيقاً لروابط المحبة
بينى وبين أبى بكر ، ولأبى بكر بسودة بنت زمنة جبراً لنفسها الكسيرة ووفاء
لزوجها الجندى المهاجر فراراً بدينه وارضاء لربه

.. لعل هذا بعض ما كان يدور بخلد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدت
عليه وطأة الوحدة . وأظلمت سحابة الأحران . وهتف به هاتف الوفاء للدعوة
وكم كانت فرحة أبى بكر حين طلب رسول الله منه يد عائشة . فراح
يعلن الاهل والاقارب ويبشر الاصدقاء والعارف . ويهب الصدقات وينحر
النبائح براً وشكراً على نعمة المصاهرة النبوية الكريمة .. وامتلات دار سودة
بنت زمنة بالمنهات والمهنئين . يحملن اليها الهدايا اعلان بهجة وشارة جذل
وارتياح وهى بين هذا كله لا يعرف النوم الى عينيها طريقاً لكثرة ما اعتراها
من هزات الفرح والسرور . بعد طول الاسى . وظلمة اليأس والقنوط .

« بارسول الله انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من »
 « العداوة والشر ما بينهم ، فحسى أن يجمعهم الله »
 « بك . وان يجمعهم عليك . فلا رجل أعز منك »
 أسعد بن زرارة

ووقف (شاءول) عند الأصيل يسرخ نظره صوب الجهات الأربع
 حتى إذا أيقن أن ليس هناك من يرقب اجتماعهم عن قرب أو بعد . دخل
 البستان مسرعا وأخذ مكانه بينهم يأترون فيما يجب اتخاذه صوب الأوس
 والخزرج وقد تواطأوا مع نصارى الشام على الغدر بهم ، كما لا تحت فرصة
 أو عنت لهم رغبة في الانتقام

ساد الاجتماع همس ووسوسة ، تتخللها همزات الاستفهام ، ولمزات
 الاندهاش . حتى قطع عليهم ذلك صوت الخبر . (جداع) بعد إطراقة طويلة
 وقال :

إذا كان هؤلاء النصارى من عبيد الرومان يحقدون علينا ويحاربوننا
 لأن يد آبائنا قد انغمست في دم المسيح . . فما جريمتنا مع بنى الأوس
 والخزرج نقدم لهم ما يلبسون ونجلب خير ما يأكلون ويشربون فيسبحون
 في عالم من الأحلام جميل !!

شاءول — لأننا شعب الله المختار من دون الناس أجمعين
 جداع — انهم لا يعرفون الله ولا شعبه ، مختارا كان أو مفضوبا عليه !

اللهم إلا أحجارا يطوفون بها ويستمنحوها الثماء والماء ! ! دون أن ترد عليهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا

شيلوك — أنهم يحقدون على شعب إسرائيل لنجاحه في التجارة والصناعة وحصوله على الثروة من طرائق لا يجيدونها ولا يعرفون إليها سبيلا شاءول — وكيف الوصول الى تلافى شرهم وهم جيراننا . والجار السوء شوكة في جنب جاره . أنحاربهم فجأة ونستأصلهم ؟

أصوات - لا . . . والوصايا العشر . . . قبح الله وجه الحرب .
جداع — كفانا من الحرب مانحن فيه . . ثم أجهش بالبكاء وقال
حسي أموالى التى فقدتها فى ذمة من مات فى المعركة الماضية قبل أن أتناول
فضلها ورباها

شاءول — وماذا نصنع إذن . . حدثونى .. أتريدون أن نعيش عبيدا
أذلاء ؟؟ وكيف يكون ذلك ونحن شعب الله المختار ؟ !

شيلوك — رب حيلة أنفع من قبيلة ، وحيلتنا فى ذلك أن نبث بذو
الفتنة بين الأوس والخزرج ، حتى إذا نشبت أظفارها ، واستحكمت
حلقاتها . عشنا فى ظل إحداهما نضرب بها الأخرى ونحاربها بها . فتنمو
تجارتنا فى فيئها وسلطانها

أصوات — مرحى . . . مرحى

* *

واستيقظ شاءول من أطراف يثرب على صهيل الخيل وصياح الفرسان
تتنادى للقتال وتجتمع للحرب . ولم يستطع الشاب اليهودى أن يكتم فرحه

باتتصار فكرتهم ، ونجاح فنتهم فصاح بين المنازل : يا لشعب اسرائيل هلموا
فقد وقعت الواقعة . فأسرع نحوه الخبر (جداع) رافعا يده في الفضاء
- مرتعش اللحية ، تتمثر قدماء في أرديته - حتى وضعها على فم شاءول
وشاءول لا يدري أهرولة الفرح ونشوة السرور قد عقدت لسان (الخبر)
فأضحى لا يستطيع الكلام ، أم موجة الخوف والتحذير من بلوغ صوته العالى
أذان المتحاربين . فيلفت نظرهم ذلك الى حى يهود ومافيه من ثروة وعتاد
يستعينون بها على ما تتطلبه الحرب من أكلاف وأعباء . لعل هذا ما كان يدور
بخلد الشاب (شاءول) وهو مكتم الفم بيد (الخبر) حتى اذا أفاق الخبر من
لهثته . وثاب إلى هدأته . والناس حوله أشد ارتقابا لما يقول من الغامىء
إلى قطرات الماء - قال فى إعياء

اختبثوا خلف الآطام والأشجار والحوائط (١) حتى لا تشروهم
بوجود من يرقبهم من خصومهم القدامى . وإلا حن بعضهم إلى بعض .
وتلاقت القلوب المشبوبة ودارت علينا الدائرة . فنذهب وقودا للصلح
وضحية الصفاء بين الجميع

وما كاد الخبر يتم كلامه حتى تقاصر الجميع . فأضحوا كواد من
الأقزام أو قطع من القردة سريع التلفت كثير الجذر . وفى لحظة لم تكن
ترى إلا عيوننا تطل على المعركة الدائرة بين الأوس والخزرج . تبجظ تارة
لوقع الحسام يندر الرؤوس ، وتسديد السهام يزهرق النفوس . وينثر الدماء ،
ويطيح بالأشلاء ، وكر الفوارس فى ظل الدروع وفى البواتر . ثم يعودون

(١) البساتين

فينظر بعضهم إلى بعض في فرح مكود وذهول حائر ، ثم عن لهم أن يروا
آثار ذلك في وجه حبرهم الأكبر . فاذا بهم يرونه مأخوذاً ، جاحظ
العينين عاضاً على أصبعه ويقول :

لا . . . لا . . . بحق إسرائيل . وموسى ابن عمران الحكيم
فخروا نحوه يسائلونه خطبه الذي أصابه ، فقال لهم إن الخزرج قد
غلبت الأوس . وهاهى الأوس تتقهقر مهزومة صوب نجد . يالخطب
المدم . دعونا من النقاش الآن

الحمد لله . . . لقد طعن أبو أسيد حضير الكتاب نفسه ، وأخذ يصيح
بقومه ويستنجد بهم . . . أسمعونه . هذا هو يقول (واعتراه .. والله لا أريم
حتى أقتل فان شئتم يامعشر الأوس أن تسلموني فافعلوا) وهاهى الأوس
تعود لنجدته قبل أن تحمله الخزرج الى معسكرها . وهاهى الحرب تدور
من جديد فى شدة لم تعهد عليها من قبل

شاءول — مالنا والأوس فلتذهب إلى الجحيم ، فانها أشد عداء لنا من
صاحبتها . أو فليذهبا معا

جداع — مبتسما فى دهاء — نعم فليذهبا معا الى قرارتها . لا أن
تذهب واحدة لتتركنا طعاما شها للأخرى لا منقذ لنا منها ولا مجير . . .

... بالمعبر الحياة انظروا . هذه الأوس تسترد مكانتها الحربية من
جديد . وذى يدها على مقربة من غصن النصر ، وهاهى الخزرج تأخذ مكان
المزيمة بعد أن ذاقت لذة الفوز ولم تستمتع به طويلا . ليت شعرى وما
ذنب النخيل والمنازل تجتاح وتحرق ، وأكبر الظن أن الأوس قد اعترمت
م (١٥) صور اسلامية - ٢٢٥ -

أن لا تبقى على الخزرج ولا تدر . وفي هذا ما يهدد كيانتنا من جديد بعد أن
نجحت زميلتنا واطمأننا على موازنة الحال بين القبيلتين
شاؤول — ولكن فيما أظن أن انعدام إحدى القبيلتين يعيننا على إعادة
الأخرى والتخلص منها

جداع — إنك طيب القلب ، ان قومنا ليسوا رجال حرب ونضال .
وإنما هم رجال تجارة وكسب ومال . هذا إلى أن لهم — من أعدائنا نصارى
الشام ومن بنى عمومهم فى اليمن — ما يجعلهم علينا أقوياء أشداء
شاءول — أسمع ؟ ؟ هذا أبو قيس بن الأسلت يصيح بحضير
الكتائب ويقول له : كفى . . كفى ، يا حضير فجوارهم خير من جوار
الثعالب ! ! ومن الثعالب المعنيون بهذا الكلام إلا اليهود ! !
جداع — لتكن كذلك . ولكن هذا خير وأبقى . .

ثم رفع قلنسوته ومد يده صوب السماء وقال :

— اللهم أدم التفريق بينهم حتى يستطيع أن يعيش شعب اسرائيل
فتعبد فى الأرض . ارفع الكل أيديهم خلفه . ورددوا دعاءه بقلوب واجفة
وعيون ضارعة . ثم هوت يده إلى الأرض فهوت أيديهم وتدلّت رأسه
البضاء فى حجره فتدلّت رؤوس الجميع . ثم انصرفوا إلى منازلهم حزائى
بعد أن سمعوا ما قاله أبو قيس لحضير الكتائب وما وصفهم به مما ينبئ عن
الكراهية لهم والحقد ثم الخوف من ثمار ذلك يصب على رؤوسهم فى الوقت
الاسب .



خرج رسول الله من بيته مع الفجر الباكر وسار في طريق يثرب ثم جلس هناك على صخرة ملساء يحمل رأسه الشريف تتوارد عليها سلسلة من الحوادث التي تحيط به منذ وفاة عمه ، من اعراض القبائل عن دعوته وسفاهتها في ردها عليه . وارقداد بعض المسلمين . وزيادة هزم الكفار به بعد علمهم بأمر الاسراء والمعراج . ووقوف الدعوة في دائرة محدودة لا تتقدم إن لم تتأخر ، أثرا لاغراء أو ثمرة لفتنة ثم فاد مال خديجة من يده وعدم الامل في نجاح الدعوة بمكة بعد كل هذا الكفاح الدائب . فتنفس صلى الله عليه وسلم صابرا ، وسأل الله الفتح والنصر بعد أن صعد الشيطان في طريق دعوته . وكأن الله قد استجاب دعاءه لتوه . فصاح أذنه عن بعد ، ما يشبه حذاء الابل ، وفي مقدمة الركب كهل عملاق يلوح على محياه أنه سيد قومه وصنديد ركبته . فتوسم فيه النبي خيراً ورجا أن تكون حوادث الامس نهاية الحوادث ، وركب اليوم طليعة الفتح . فسلم على القوم فردوا على التحية بأحسن منها . ثم راعتهم وسامته . وهزتهم طلعتهم . فنزلوا من فوق مطيهم وراحوا يتأملون وسامته ويستنبئون وفادته ، ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم

- من أنتم ؟

أصوات - نفر من الخزرج

رسول الله - من موال (١) يهود .

أصوات - نعم

رسول الله - أفلا تجلسون ألكمكم ؟

(١) حلفاء

أصوات - بلى

رسول الله - (مامعناه) انى رسول الله الى العرب خاصة ، والى الناس كافة ، وانى أدعوكم الى عبادة الله وحده وأن لا تشركوا به شيئاً .

فنظر بعضهم الى بعض فى فرج وجل ثم قال اسعد بن زرارة سيد القوم - انه وحكم للنبي المنتظر الذى تواعدكم به يهود (١) وهددوكم بافنائكم عن طريقه متى انضموا الى صفه فلا يسبقنكم اليه . ثم قالوا له بعد أن أعلنوا اسلامهم على يديه

- يا رسول الله انا قد تركنا قومنا ولا قوم (٢) بينهم من المداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك وأن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك

ثم عاهدوه على العمل لدعوته فى يثرب والاستعداد لنصرته من قومه بعد أن عرف منهم اثنين من أحوال جده عبد المطلب ، هما أسعد بن زرارة بن عدس وعوف بن الحرى بن رفاعة من بنى النجار ثم رافع بن مالك بن عجلان وعامر بن عبد حارثة من بنى رزيق وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبد الله

ثم انصرفوا بعد أن دعى لهم صلى الله عليه وسلم بالتوفيق والنجاح فيما عاهدوه عليه

(١) كان اليهود يثرب يهددونهم اذا اختلفوا معهم بقولهم ان نبيا مبعوثا الا ان
قد اظلمكم زمانه نعيمه فتقتلكم معه قتل عاد وارم .
(٢) بكسر القاف وفتح الواو أى لا رابطة

« يا بني عبد الإله إن كلام رجالكم »
 « ونسائكم على حرام . حتى تؤمنوا »
 « بالله ورسوله »

سعد بن معاذ

ضرب سعد الأرض بحربة غاضبا . فاخترقت أحشاءها واهتزت
 مؤخرتها رعبا بين يديه . ثم اعتمد عليها وقال لصاحبه وهو يحاوره

— ما هذان الصابئان يغشيان دورنا وينزلان حوائطنا (١) كأننا
 منهم على مصاهرة أو قرابة ، بينما يغرون بضعفائنا . ويبدران بدور الفتنة
 بيننا .

أسيد بن حضير — أما أولهما فانه أسعد بن زرارة لا يحتجز الأذى عنه
 الا أنه ابن خالتك . وأما الثاني فضيفه ويدعى (مصعب بن عمير) وكيف
 ننال من ضيف قد أجاره فينا ذو شرف وجاه ؟ بل كيف السبيل إلى إيقاف
 هذه الدعوة تنتقل كل يوم في حي من أحياء يثرب . . انظر كيف تتوارد
 ناس عليهما حيث نزلا بمحاط (٢) بني ظفر وإلى أي حد بلغ عدد الجالسين
 وال البئر هناك .

سعد بن معاذ — وما الذي أتى بهذا الرجل ؟ ؟

(١) حدائقنا (٢) حقيقة

أسيد بن حضير - فيما انتهى إلينا منذ بضعة أيام على لسان أحد القادمين من مكة ، أن اثني عشر رجلا من أهل يثرب ذهبوا للحج في هذا العام للطواف بالآلهة ، فعادوا بدين يرفض الاعتراف بآلهتنا ويسفه أحلامنا ويدعو إلى عبادة إله واحد لا مكان ولا وجهة له ولا جسم ، وأن هذا الدين يقوم بالدعوة له نبي من بني عبد مناف .

سعد - مهوتا - مناف !! ؟ وكيف ذلك وهم سدة الكعبة ولهم شرف الرقادة والسقاية دون العرب . وماذا صنعت قريش به ، وشرفها مقرون بهذه (البنية) (١) وما فيها

أسيد - لقد أودى كثيرا وعذب من معه أكثر ، حتى اضطر بعضهم إلى ترك مكة ، وأنه لقي حربا سجالا بينه وبينهم منذ ثلاث عشرة سنة لا يهادنونه ولا يهادنهم . وانه لا يزال يغشى الأسواق داعيا لدينه ويعرض نفسه على حجاج البيت مناديا لدعوته . وأنه كان فيمن تصيد هؤلاء الثريين الاثنا عشر . وقد خشى عليهم العودة إلى دين آبائهم . فأرسل معهم هذا الذي يدعى مصعب بن عمير يعلمهم ويفقههم ويدعو غيرهم إلى هذا الدين الجديد ، وهامم يتكثرون حول الرجل في جوار ابن خالتك وحمايته . وما سمع سعد كل هذا حتى احتشد الغضب في وجهه . وأطل الغيظ

من عينيه . فانزع الحربة من مكانها وصاح بصاحبه قائلا - لا أبالك . خذ هذه الحربة وانطلق إلى هذين الرجلين فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارنا . فانه لولا أن أسعد بن زرارته منى حيث قد

(١) يقصد الكعبة

علمت . ولا أجد عليه مقدما - لكفينك ذلك . فحمل سعد حربته وانطلق كالريح العاصفة يذود عن سيادته ، ويدفع عن كرامته وديارته ، وما أزرآه اسعد بن ذرارة حتى مال على مصعب يسر اليه بشيء ، أغلب الظن أنه يحدثه عن خطر القادم وبأسه . وما يترجم عنه اندفاعه وغضبه ، فرنى اليه مصعب ارناءة خاطفة من خلال أوراق العنب أحس منها على سرعتها ما خلف القادم من أحداث ، ولكن ماذا يفزع المؤمن المهاجر يحمل رأسه على كفه من أجل الله وفي سبيله . وماذا يصنع الا أن يصطبر على اللاؤاء ، أو يشكر الله على التوفيق وخسن البلاء !!

ثم مال (مصعب) على صاحبه وأسر اليه بما يمكن أن يقوله مجاهد صابر في عبارة مقتضبة جامعة . ثم أطرق برأسه ولم يرفعها إلا على صوت راعد يقول :

- ما هذا الذي تصنعان أيها الصابثان ؟؟ أضنت عليكم الآلهة بالحيا (١) والثناء فكفرتم بها دون الناس . أم هبطت عليكم الهداية وحدكم دون الخلائق ؟؟ أم تسهلتهم ضعفاء الأحلام واستملحتهم طيب المقام . ثم جمع (أسيد) كل شجاعته وشهر الحربة في يده . وصوبها نحو مصعب وأسعد وقال :

اعزلا نا نا كصين على الأعقاب . . إن كانت لكما بأنفسكما حاجة مصعب - في هدوء - أو تجلس فتسمع ؟؟ فان رضيت أمراً قبلته . وإن كرهته كف عنك

فسكت اسيد هنيهة ثم نظر عن يمينه وشماله ليقراً وقع ذلك في وجود
بنى قومه ، فهدأت ثائرته وتراخت الحربة في يده ثم رفعها في الهواء وهوى
بها إلى الارض . فانتصبت واقفة تهتز كأنها جان ، ثم سوى مكانه بقدمه
يميناً وشمالاً وجلس وهو يقول :

- أنصفت فيما تقول فهاث ما عندك^١ لا رى فيه رأى

مصعب - إن الدين الذى جاء به رسول الله محمد يدعو الى ألا يشرك
أحد بالله شيئاً . ولا يسرق ولا يزنى ولا يقتل أولاده ولا يأتى بهتان يفتره
بين يديه ورجليه . ولا يعصيه فى معروف . فمن وفى ذلك فله الجنة . ومن
غشى عن ذلك شيئاً فأمره إلى الله . إن شاء عذبه وإن شاء غفر له . ثم تلا
عليه قوله تعالى :

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن
خلق الأرض والسموات العلاء الرحمن على العرش استوى . له ما فى السموات
وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)

كان أسعد أول ما جلس يستمع ، عابس الوجه متجعده الجبهة . وما أن
أخذ مصعب يتحدث عما بايع رسول الله الناس عليه ، حتى أخذت هذه
العضلات المنكشة تتفتح رويداً رويداً كما تتفتح الأزهار تحت حرارة
الشمس ، وراحت عيونه المتوارية بالأهداب تتسع وتلتسع . كما تلتسع صفحة
الماء تحت ضوء القمر ثم شعت على فمه ابتسامة تنطق بالرضا ، وتبعث على
الارتياح ، ثم نظر إلى حربته فى زهو وخيلاء كأنه بعدها لأفق من الفتح
جديد ، ويعول عليها لمجد عتيد ، ثم أسبل عينيه وشخص إلى محدته وقال

ما أحسن هذا الكلام وما أجمله . وكيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا
في هذا الدين

فقال له مصعب

أن تغتسل فتطهر وتطهو ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق
قام أسيد بن حضير من فورة إلى البئر فاغتسل وغسل بعض ثيابه
واستبدل الأخرى بمثلها وبينه وبين الناس ساتر ، ثم جاء فجلس بين يدي
مصعب وأخذ يكرر ما يعلمه إياه . ثم وقف موقف المصلي وراح يتلقى تعاليم
الصلاة حتى أنهما . ثم أطرق وكأنا سرت روحانية الصلاة في جسده
سريان الماء في العود الأخضر ، فأنعشته وهزته بالفرح والسرور ، ثم قال
إن ورأى رجلا لو اتبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه . وسأرسله اليكما
الآن ، ثم أخذ حربته وانصرف مطرقا مفكرا فيما ذا يقول لصاحبه سعد بن
معاذ ، ينتظر ثمرة عمله في طرد أسعد بن زرارة وصاحبه عمير من حائط بني
ظفر . وماذا يكون موقفه منه حين يعلم بفشله في عمل شيء ، بل كيف
يكون الحال وقد ذهبت لانتهاهما وطردهما والتضييق عليهما ، فأعود إليه
وقد أصبحت نصيراً لهما

وإذا أمنت غضبه ومخافته بعد ذلك ، فكيف أحتال عليه في احضاره
لصاحبي الجديدين وفاء لهما بما وعدهما به ؟ الذي لاشك فيه أنه دين حق
وأن ما تلاه على كلام كريم ، لا يقدر عليه بشر ، وأن مخافة القوم له قد
وجهالة أو ركود وأنانية . وإنى لا أتدل به شيئا بعد ذلك حتى وإن تصرم
الحبل بيني وبين سعد بل بيني وبين الناس جميعا . على أن سعداً رجل ذو

رجاحة وحصافة . وانه ليثق برأى ويحرص على مودتى . وانه سوف لا يتنكر لى أو يستخف بحصاتى (١) وان كنت - حرصا على مودتنا - سأسلك معه جادة الحيلة - حتى إذا سمع هذا الكلام الرفيع وأخذ بجماله . وبهر برصاته ، التقيت وإياه عند أقرب طريق

هذا ما كان يدور برأس أسيد بن حضير وهو فى طريقه لمقابلة سعد ابن معاذ وهذا ما استقر عليه رأيه فى النهاية بعد هذا الحوار الذى قام بينه وبين نفسه

* * *

وجم الكل حول سيدهم وابن سيدهم وقلقوا لقلقه . وتحاشوا التندر أمامه . وسعد بن معاذ على باب النادى يفسدو ويروح . ثم يقف قبالة حوائط بنى ظفر لعل المقادير تسعفه بصديقه أسيد بن حضير . وكلما مرت ساعة من زمن وتلتها أخرى . دون أن يرى شبحا لصاحبه أو يوافيه نبأ عن مهمته التى راح لها - كلما غلا غضبه واشتد حنقه على هذا الضيف الذى سبب له كل هذا الازعاج . وبدأ يشعل ثقاب الفتنة بين الناس بعد أن وضعت الحرب بين الأوس والخزرج أوزارها . ووضع زعامته وزعامة صاحبه فى كفة المستقبل المجهول . وبينما هو فى هذا الارغاء والازباد إذ أفاقه صوت يقول :

هذا أسيد بن حضير قد وافى عن بعد . فأرسل سعد بن معاذ عينه فى ذيل الأفق . فاذا به يتوكأ على حربته فى تمهل كأنه يرزح تحت حمل

(١) عقل

تقيل . ويسير مطأطأ الرأس في إطراق كأنه قد طافت به ذكريات رهيبة
أو حلقت على رأسه أسراب من الطير ، فخدق سعد فيه النظر وحدده وقال
والله إن أسيداً قد جاء بوجه غير الذي ذهب به فليت شعري ما وراءه ؟

ثم شخص إلى أسيد وكان قد دنا منه وقال
- ماذا فعلت ؟

أسيد - كلمت الرجلين فوالله مارأيت بها بأساً
أصوات - مستنكرة - بأساً ! ؟

أسيد - مستدركا على حديثه - وقد نهيتهما عما يقولان فقالا : نعم
ما أحببت .

سعد - ولكن ما الذي أهلك وأثقل لبك ؟

فسكت أسيد هنيهة حاك فيها أجبولته التي سيأخذها بها مكنوفا إلى
صاحبيه ثم قال :

ان بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وماذكروا أنه
ابن خالتك حتى اعتزموا تحقيرك وامتهانك

فأخذت سعد عزة الجاهلية وغضب للموقف الضعيف الذي وقفه أسيد
ابن حضير (في زعمه) وسار غاضباً .. ثم عاد فقال :

والله ما أراك قد أغنيت شيئاً عما أرسلتك به وإنى لا محالة من أن
أأخذها بكرامتي التي كادت تذروها الرياح بفعل ابن خالتي . ثم حمل حربته
وانصرف وخلفه أسيد بن حضير يتابع القيام بدوره ، حتى يسقى صاحبه

من الرحيق الذى شرب منه ويتمزج الاسلام بقلبه وينى بما وعد به صاحبيه
فيصبحا أخوين فى الاسلام ، كما كانا كذلك فى الجاهلية

أصاب النادى شىء من الفرح والانتعاش على أثر انصراف سعد بن
معاذ وصاحبه الى حائط بنى ظفر ، فتحدث المتحدثون ، وتندر المتندرون
بشىء من التحفظ والاقلال ، ولكن هذا الانتعاش لم يدم طويلا بين
السامرين فقد أخذ بطاء عودتهما ، وانقطاع أنبائهما ، تنقض من حبل
اصطبارهم ، وتنقص عليهم مقامهم ، وتعكر هدوءهم ، وليس المقام بالشىء
الذى يمكن الانصراف عنه دون معرفته فينصرفون ، ولا بالأمر الذى
يتطلب النجدة والعون فيسارعون اليهما وحدانا ومثنى ، وما راعهم بعد
طول الانتظار ، ونفاد الصبر إلا رؤية سعد وأسيد بسيران على قدمين من
ثبات وسرعة صوب النادى والكل فى انتظار الأخبار على أحر من الجمر
ثم جاء سعد حتى وقف دون الناس وأمسك بحرבתه ونادى فى قوة وشجاعة
وقال :

يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعملون أمرى فيكم ؟

أصوات - سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمننا تقيية .

سعد - ان كلام رجالكم ونسائكم على حرام . حتى تؤمنوا بالله وبرسوله

فلم يراجعه أحد ولم ينقض كلامه

كلمات معدودات تردد صداها فى أحياء يثرب وما حولها . فأضاءت

ظلمة النفوس وأخضبت مجدها ، فأخضرت وأبنت وأنت بأبرك الثمرات

« ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »
 « يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما »
 « ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد »
 « عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً »

قرآن كريم

استعار - مصعب - من الليل رداءه وأخذ يتسلل بين الدروب ويلتوى مع الازقة حتى وقف يباب الرسول الامين تتنازعه عاطفة الاشفاق على راحته من مفاجآت الليل ، وعاطفة الشغف برؤيته والحنين اليه ، مع عظيم ما يحمل له من أخبار (يثرب) وازدهار الاسلام بها وقوة المسلمين فيها . فآثر الثانية على الاولى ودق على رسول الله بابه في خفة وهدوء فأذن له في الدخول ولما ينته رسول الله بعد من صلاة الليل الاولى ، فرحب الرسول به أعظم ترحيب . وراح مصعب يروى ظمأه منه عناقاً ولثماً ، ثم أطرق حتى أتم رسول الله صلاته ثم قال بجيباً

إن أهل يثرب يا رسول الله قوم أوفياء وان الحرب بين الاوس والخزرج قد طحتهم بكل كلها فعافوها . وكرهوا مذاقها . وألفوا في الاسلام الدواء الناجع فتكتبوا حول ورده وقد دفع الشيطان بأسيد بن حضير وسعد ابن معاذ لاطاحتنا ، فوقما معا في جمال القرآن وأسره بطريقة متشابهة ، وأسلم جاسلامهما خلق كثير حتى لم يعد هناك منزل واحد ليس فيه مسلم أو مسلمة

اللهم الا ما كان من دار ابن أمية بن زيد وخيثة وواثل وواقف ، وذلك لتوقف شاعرهم ابى قيس بن الاسلت المشهور بصيفى - عن الاسلام - وإنى لا أمل أن يكون فيما بعد من أئمة المسلمين ما دام قد أسلم من صناديدها أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحه ، ورافع بن مالك والبراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حزام ، وعبادة بن الصامت وسعد بن عباد ، والمنذر بن عمرو ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن خيثة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وأبو الهيثم بن التيهان وهم سادات الأوس والخزرج .. وإن المسلمين هناك فى قوة ومنعة وطأ نينة ودعة ورخاء ، لما تزخر به يثرب وما حولها من زروع ونخيل وأعناب وأمواه ، وقد حضر الى حج هذا العام من المسلمين نحو ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين

كان مصعب يقول هذا ونشوة الفرح والسرور تتمشى فى جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر ذلك فى وجهه يتفصد بالبشر ويفيض بالجلل ثم سكت عمير وأطرق رسول الله طويلا يستعرض ما عليه المسلمون فى مكة وما يقاسونه فيها من ضروب العذاب وأنواع المحن زهاء ثلاثة عشر عاما رغم خشونة العيش وقسوة الطبيعة ، وإن المؤمن وإن استساع مرارة الألم واستعذب التضحية عن رضى وطيب خاطر ، إلا أن فى استمرارها ما يشغل المؤمن عما وراء ذلك من التوسع فى العلم ، والاشتغال بما ينمى فيه قوة التمسك بالحق ، وعاطفة التفانى فيما يعتقد وإذا كان الله قد فتح على الاسلام (يثرب) بعد كل هذا الجهد والاصطبار ، فلماذا لا يهاجر المسلمون اليها ولا شك أن الله سينصر من ينصره .. وإذا كانت الهجرة الى الحبشة لم تأت

بكل فوائدها وانها لم تتعد عصمة المسلمين ومنعتهم من شر عداتهم . فان
مقدمات الهجرة الى يثرب قد دلت على عكس ذلك . وماذا انتظر من
البقاء بمكة مقر بيت الله ومهوى فؤادى ، بعد كل هذا التجلد والاحتمال؟؟
نعم ان بنى هاشم والمطلب قد منعوني من قريش ، وكفوني شر أذاها ،
ولكن هل هذا كل ما تتطلبه نصرة الاسلام وما تحتاجه الدعوة ، وهل
يكتفى بهذا بينما المسلمون يؤذون في كل شهر من أرض مكة ، ويعتدى على
أرزاقهم ، ويتآمر على حياتهم؟؟ ثم الى متى يظل الموقف سلبيا مع أعداء
الله ورسوله ، والى متى تظل البيعة بينى وبين الناس سلمية هادئة قاصرة على
اجتناب الشرك . ومحافة السرقة . والزنا والقتل ولا تكون حلقة على السلم
والحرب حتى يدفع المسلمون الاذى بالأذى والعدوان بالعدوان ؟ وما هي
ساعة العمل قد حانت . سيما بعد أن اسلم كل هؤلاء الزعماء ، وألف الله بين
الأوس والخزرج فى الاسلام

لعل هذا بعض ما كان يدور بخلد صلى الله عليه وسلم . بعد أن سمع
ما سمع من مصعب ابن عمير .. ثم تنفس هادئا وابتنى مطمئنا لما استقر
عليه رأيه ثم قال لمصعب ما معناه .

أرجو أن التقى بالمسلمين عند العقبة فى منتصف الليلة الثانية من أيام
التشريق دون أن يعلم بهذا أحد من مشركى مكة أو يثرب

سكن الكون ونام ، وآوت مكة الى حجر الطبيعة ملتفة بقضة القمر
الالو باً تنبض فى الظلام حية وهاجة ، وعيوننا تتابع النجوم وتعد على الليل

أفاسه ، حتى اذا بلغت الكواكب منتصف الشوط تلمس كل صاحبه في الحال . وضغط على بعض أطرافه فنهض الجميع يتسللون في هذا السكون كالأطياف . ويهيمون كاسراب القطا لا تسمع لهم صوتاً ولا حفيفاً . يقودهم دليلهم بالإشارة ويرد همسهم بالإيماء . ويطوف حولهم بنظرات ملؤها الغبطة بدنو النجاح ، ثم يعود فيقف على مرتفع ليتأكد خلو الطريق من متجسس أو طفيلي يتابع ظلهم عن كثب ، ثم يتابعون سيرهم بين الجنادل (١) والشعب (٢) يرتفعون تارة وينخفضون ، كرهط من الزوارق يسير بقوة التيار بين صخور شلال عاتية ، وما دنوا من المكان الملعين (٣) حتى ازدادت دقات قلوبهم ، وبهرت أفاسهم لا من صعوبة الطريق أو اعياء المسير . ولكن فرحاً بقليا البشير النذير ، غير أن فرحهم لم تكتمل موجاته لعدم وجوده صلى الله عليه وسلم . فأضاف ذلك الى متاعب الليل متاعب الانتظار ، والى شعلة المحبة جمره المستقبل المجهول . ثم جلسوا فوق الآكام والجنادل يرصدون الطريق . ويتفحصون تمايل الظلام من هبات النسيم ، البشر يكون هذا التمايل أم للاغصان ؟؟ وكما مرت سويعات وتلتها أخواتها كلما ضاق الفضاء أمامهم والهبّت حرارة الدم وجوههم . وغلا مرجل المحبة في صدورهم . حتى كانت صيحة خافتة عميقة أرسلها مصعب بن عمارة يقول :

-
- (١) جمع جندل وهو الصخرة الكبيرة
(٢) الاحجار المديية المتصلة بطبيعة الارض
(٣) العقبة

هذا رسول الله قد وافى العقبة

فقطي أسعد بن زرارة فنه بيده لثلا يرتفع صوته بكلام آخر ، ولكن ذلك لم يكن معينا ولا ضابطا للموقف ازاء سيل من المحبة جارف . وعاصفة من السرور جاثحة . مسحت المخاوف . وأزالت حواجز التكم والحيلة سيما وهم بمنأى عن مكة ومن فيها من المشركين

ثم جلس رسول الله قبالة القوم في فرح مكبوت تترجم عنه بسمته الهاذقة ونظراته المسعدة الساجية . وجلس عمه العباس (١) عن يساره ، وسيفه على فخذه ثم قال

يا معشر القوم : ان محمداً منا حيث قد علمتم . وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم والحق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه وما نعموه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك . وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده

أسعد بن زرارة - قد سمعنا ما قلت يا ابن عبدالمطلب . فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحبيت . فتلا رسول الله آيات من القرآن . كان القوم خلالها في سكر اللذة ، أو لذة السكر ، تسبح في سمائه هذه الفطر السليمة التي أعدها الله فيما بعد لتأدية رسالة الاسلام

(١) وكان العباس إذ ذاك لا يزال علي دين قومه . وانما كان يصاحب رسول الله حماية له .

ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم
فأخذ البراء بن معرور بيده وشد عليها وقال
بايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها
كأبرا عن كابر والذي بعثك بالحق . لنمنعك مما . .

أبو الهيثم — مقاطعا — يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال (١) حبلا
نحن قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع
إلى قومك وتدعنا

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :
بل الدم الدم .. والهدم والهدم (٢) أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم .
وأسالم من سالمتم
فكبر القوم في هدوء ومدوا أيديهم للبيعة ، فقاطعهم العباس بن
عبادة قائلا .

يا معشر الخزرج (٣) أتعلمون علام تباعون هذا الرجل ؟؟ انكم
تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فان كنتم ترون انكم اذا
نهكت أموالكم مصيبة . وأشرافكم قتلا ، اسلمتوه ، فمن الآن فدعوه . فهو والله
إن فعلتم ، خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتهموه
إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه . فهو والله خير الدنيا والآخرة

« ١ » يقصد اليهود

« ٢ » الهدم يسكون الدال : أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم

« ٣ » خاطب الجميع باسم الخزرج تغليبا للخزرج على الاوس

أصوات انا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف

رفاعه - وما لنا يا رسول الله ان نحن وفينا بذلك ؟

فابتسم صلى الله عليه وسلم هادئا ، وتنفس مطمئنا وقال :
الجنة . الجنة .

ثم مدوا أيديهم متزاحمين على البيعة ثم قالوا :

بايعناك على الحرب والسلام . نمنعك مما نمنع منه نساءنا وأبناءنا . والله

شهير ووكيل

ثم قال صلى الله عليه وسلم :

اخرجوا منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم كفلاء .

فتنحى القوم قليلا وتحدثوا فيما بينهم مليا ، ثم عادوا يخبرون رسول الله

بأسماء نقيبائهم فصاح مصعب وقال :

كأنى يا رسول الله على علم بهم . هم الذين خبرتك عنهم بقضهم

وقضيضهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم وأنا

كفيل على قومي

أحد النقباء - بايعناك على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا

ومكرهنا . وأن تقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم

أصوات - على هذا بايعنا الله ورسوله

ثم خيم السكون قليلا ، وغاب كل عن وجوده مشتغلا بقراءة صفحة

الاستقبل وما يمكن أن تحمل من أحداث ، وماشق هذا السكون إلا صوت
صائح من وراء الآكام يقول

ان محمدا والصبا (١) معه ، قد اجتمعوا على حربكم
فتلفت القوم دهشة لهذا الشيطان يخرج عليهم من مأمنهم . ويفاجئهم
بما ليس في حسابهم

وكان المار أمام دار أبي سفيان قبيل الفجر يسمع مناديا ينادى به ويقول
يا أهل الجباحب (٢) هل لكم في مذمم (٣) والصبا معه قد اجتمعوا الحربكم
فتزل أبو سفيان وكأنه سقط من عل ، وأرسل في طلب عمرو بن هشام
وعكرمة بن عمرو وعتبة وربيعة بن شيبه وغيرهم من زعماء قريش حتى امتلأت
بهم دار أبي سفيان . وراح عبد العزى (الجاسوس) يشرح لهم كيف وأين
اجتمعوا وماذا قالوا وعلى أى شيء تحالفوا ، والكل فوق اتون من الحقد
والغضب حتى قال

أرقت (٤) لامرما ، ففادرت فراشى . وظلت قدماى تسيران بي إلى
أن سمعت ما يشبه الهمس . فأيقنت أن هناك أمرا يبىيت بليل
ودفع بي فضولى الى أن اكن لهم وأسمع ما يقولون . حتى عرفت

«١» جمع صابىء وهو الخارج على دين قومه

«٢» الجباحب المنازل

«٣» كلمة كانوا يطلقونها على رسول الله تحقيرا وهي مقلوب كلمة محمد

«٤» الارق ذهاب النوم

اهم من الاوس والخزرج ، وانهم قد حالفوه على الحرب والسلام ، وبغلب
الاموال وإهراق الدماء

أصوات — دماء !!؟؟

أبو سفيان — وكيف عرفت محمداً بينهم

عبد العزى — عرفته بصوته حين رد على وأنا أهتف (هذا مذمم
والصبا يريدون حربكم)

قال لى (استمع يا عدو الله .. والله لا فرغن لك) ثم شخص إلى من
حوله يزيل مخاوفهم ويهزأ بأحلامهم فقال (هذا صوت الشيطان
يصرفنا عن الهدى والرشاد) فاستحس أحد هؤلاء اليثريين لنبه وقال
له : والله الذى بعثك بالحق إن شئت لخمين على أهل منى غداً بأسيا فانا ..
فرد عليه قائلاً لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم
أبو سفيان — ان الأمر لجد خطير ، وانه لا غصاء على قدى ، وهدنة
على دخن ، أن لا قلب وجوه الامر ومناحيه

عمرو بن هشام — وكيف السبيل الى التحقق مما يقول عبد العزى
قبل أن نكاشف القوم (١) بما نرى البنا . حتى إذا وقع الكلام موقعه
أخذناهم بما فعلوا ، والا كانوا جد أبرياء

أبو سفيان — لا مناص من أن نصبحهم فى منازلهم ، وتنطس (٢)
عليهم حتى يحصص (٣) الحق ، ونعرف ما ينتوا بليل لقريش . فانتصارنا
على محمد زهاء اثني عشر عاماً وحصر دعوته بمكة ، يوشك أن يتفلس من

(١) يقصد اليثريين (٢) تتجسس (٣) يظهر فى جلاء

أيدينا ، وإذا صح هذا الذي قيل ، فليس بعيداً أن يكون منهم من يغزونا
في عقر دارنا غداً .

وتحت القباب الحمراء جلس أبو صفيان وعمرو بن هشام ومن معهما
وجاء اليربيون مرحبين بسادة قریش وزعمائها فابتدأ أبو صفيان الحديث قائلاً :
يا معشر الخزرج انه قد باغنا انكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا
تستخرجونه من بين أظهرنا . وتبايعونه على حربنا . وانه والله مامن حى من
العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم
مدركة بن فهر - مبهوتا - من صاحبكم هذا ومتى نستخرجه وإلى أين
نذهب به ؟؟ ! أفى يقظة نحن أم فى منام ؟!

أبو صفيان - بالأمس كان رهط منكم عند العقبة بين الشباب وفيكم
محمد بن عبد الله هذا المتنبئ ، وبايعتموه على الحرب والسلام . وكان بينكم وبينه
ما هو أشد من الحلف توثيقاً وقوة ..

مدركة - ينظر إلى القوم فى حيرة - ثم يقول لمحدثه أحقا ما تقول أم
أنت مازح . ان واحداً منا لم يغادر فراشه - ورب هذا البيت - منذ الأمس ،
وأكبر الظن أنها رؤيا مزعجة

عكرمة - محتداً - ما هذا الذى تقوله يا مدركة . انها رؤية لارؤيا
وانك تداورنا فيما تقول متسهلاً فيما يذهب فى سبيل ذلك من أموال ودماء
مدركة - والبيت ذى الحجب ، والعلامات والنصب ، إن شيئاً من
ذلك لم يقع

كل هذا كان يدور. والمسلمون ينظر بعضهم الى بعض، كأنهم من الامر على جهل به. ويكتمون من الضحك ما يكتمون من السر لا تفرشفة عنه بابتسام

* * *

هذه حلقة من الصبيان تصيح وتهلل. وهؤلاء شبان قریش وصناديدها قد أوثقوا رجلا وضيئا بالحبال. وغلوا يده عند عنقه وأخذوا يهوون عليه بالجريد والعصى حتى اذا تعبوا وثبت عليه جمهرة من الشيوخ تتضاحك كالقردة هذا يبصق عليه، وذاك يجذبه من شعره الكث الطويل، وثالث يركله بقدمه.. ووقف بالقرب من ذلك رجلان قد خط الحزن على وجه أحدهما خطوطا عميقة فمال أحدهما على صاحبه وهمس في أذنه قائلا :

من هذا الغريب المضطهد تعذبه قریش

فتنفس صاحبه حارا، وحبس دمعة كادت تنحدر من ماقيه وقال :

هذا سعد بن عبادة سيد من سادات يثرب

مصعب - ولم كل هذا العذاب وللضيف قراه

ليث - يبدو أن وشاية وقعت بين قریش وبين حجاج يثرب في أن

بينهم من آمن بدعوة محمد بن عبد الله وتحالف معه على الحرب والسلم وانها بدأت اشاعة ثم كبرت زواية، ثم تأكدت عند الاشراف والسادة فلاحقوهم

في الطريق الى يثرب. فأدركوا اثنين منهم، أما أحدهما وهو المنذر بن عمرو فقد جاهد عن نفسه حتى تخلص ممن أدركوه واختفى عن أنظارهم. وأما

الثاني فهو من ترى

مصعب - أليس له من يجيره من أهل مكة

ليث - لا أدري وأيّك . وحبذا الحجير في مثل هذه الضائقة
مصعب - إذا كان يعنيك من أمره شيء . فتقدم إليه واحتل على
الموقف حتى تخلصه من أيدي القوم

فتقدم ليث نحوه وأخذه من جنته (١) وراح يشيح يده في وجهه
متظاهرا بالعمز على لكمة ثم قال له في حقوت

ويحك اما تستجير ؟ أما بينك وبين أحد من قريش جوار
سعد بن عباد - بلى والله . لقد كنت أجير بن مطعم والحارث
ابن حرب وامنعهما ومن معهما ممن أرادوا ظلمهم بيلادي
ليث - ويحك .. اهتف باسم الرجلين . واذكر ما بينك وبينهما من جوار
... وما راع القوم الا هتاف سعد

أنا في جوار جبير بن مطعم والحارث بن حرب ثم ماراعهم بعد ذلك
الا حضور جبير والحارث وقد صاحاما
قد أجرناك يا سعد
ثم قال جبير

والله انك لتحمي الحمى وتقرى الضيف
فتنحى القوم عنه ونامت أذرعهم على جنوبهم وعاد كل الى جوار
صاحبه محزوناً . يرنو بعين كرامة لهذه المفاجأة ويرمق جبيرا والحارث وهما
يفكان وثاق سعد ، ويمسحان على وجهه وجسده آثار الضرب ثم عادا به
إلى منزلهما

(١) . تقدم شعر رأسه

الزمن حبيب

أسلم عمرو بن الجوح بحيلة طريفة ،
قام بها ولده معاذ بن عمرو ، فأنتم الله
باسلامه فتح يثرب بسلاح الحب

١
« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »

قرآن كريم

في ناحية من المنزل الفسيح وتحت شجرة السدر (١) الكبيرة الضاربة في الفضاء ، جلس معاذ بن عمرو وعمرو بن معاذ يتذاكران ما سمعاه من رسول الله أثناء وجودهما في مكة ، وما عاهداهم عليه عند العقبة ، ويدبران طريقة الدعوة الى الاسلام في حيهن بين الاشياخ المحافظين على أطلال القديم . فاسترعى انتباههما صوت صادى أجش ينطلق راعدا بين المحتكمين اليه وهو يقول :

انى حلفت يمين صدق برة (بمناة) عند محل آل الخزرج

فنظر عمرو بن معاذ الى صاحبه نظرة صارمة وقال له

وهذا أبوك يعلن شركه على مسمع من سدنة (٢) التوحيد

فأطرق معاذ بن عمرو برأسه الى الارض مفكراً ما يصنع ، حائراً بين

حنان الابوة وعاطفة الاسلام . ملجأ لا يدرى ما يقول لمحدثه . . أيعتذر

عن أبيه بأن هذا البيت من نظم غيره وقد تمثل به فقط . . ولكن كيف يتفق

هذا وبالقرب منه صنمه (مناة) يطوف به كلما هزه الشوق الى آلهة الكعبة .

ويسفك عنده دماء الضحايا تقرباً اليه ! ! أم يقف من أبيه موقفاً صارماً على

تماديهِ في تقاليدهِ وإيمانه في عناده وشركه ?? ولكن ذلك لا يتفق مع مقام

(١) النبي (٢) خدام

الابوة . ولا يتمشى مع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة في الهداية والرشاد
الى الدين الحنيف

لعل هذا ما كان يدور برأس معاذ بن عمرو في اطرافه الطويلة التي لم
يوقظه منها الا يد صاحبه تربت على كتفه ثم تحدث اليه مواسيا وقائلا :
الله يا معاذ لم يسمع بعد ، قول الاعرابي

أتينا الى سعد (١) ليجمع شملنا فشتتنا سعد فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتنوفة (٢) من الارض لا تدعو الى خير ولا رشد
معاذ بن عمرو — دعنا وأبيك يا عمر من هذا التمثل لذيالك المشرك
الفاني ، وانثر لنا كنانة حيلك لا نقاذه قبل أن تدركه المنون فان لم تدركه
وأسلم ، فتحنا على الاسلام به مغاليق بني سلمه .

عمرو بن معاذ — خل عنك الهم والشجن فوحقك لنحملنه على دين
التوحيد دون أن تعق فيه أبوتك . أو تتعرض لسخطه عليك .

* * *

استيقظ عمرو بن الجوح على غير عادته مبكرا . وهتف بعبيده وخدمه
أن اطلقوا البخور اليمنى حول الاله (مناة)

فكان السائر حول منزل عمرو في مثل هذه الساعة تنعشه رائحة
العود ، في حلقات متتابعة مترقصة في الفضاء . فتكسو وجهه الاق بنقاب
ارجواني شفاف . ويسمع من وراء ذلك صوتا شفه الحنين واذواه الشوق

(١) والسبب في هذا أن القائل ذهب ليطوف بهذا الصنم فجفلت منه ناقته
وججت فأنشدهذين البيتين (٢) المكان المرتفع

الى السمكة فراح يتمثل في طوافه بها ويقول .

ليبك اللهم ليبيك . لا شريك لك الا شريك هوك . تملكه أنت وما ملك (١)

وظل عمرو يدور في هذا الغلس المنعقد حوله ويردد هذه الارجوزة

حتى هبت ريح سريعة فبددت مسجائب البخور ومكنت لضوء الصباح في

المبد الصغير ، فكانها ستارة قد انصرفت عن منظر قازع ، جحظت له

عينا العابد متراجعا ، وارتعشت أمامه يداه ، ثم تلفت يمينا وشمالا في سرعة

خاطفة كأنما يبحث عن شيء ، ثم صرخ صرخة راعدة وقال

يا للاله !! وأين ذهب ؟ أيكون قد أدركه الغضب على سيد بني سلمة

قزلاه !! إذن فالويل لي .. أم عدت عليه يد الاشقياء فأقصوه عني ؟! ولكن

كيف يتم ذلك وهو إله قادر

لعل هذا ما كانت تحدث عمرو به نفسه حين تكشف نور الصباح عن

خفاء إلهه (مناة) فجأة من مكانه المهود ، ثم صاح

يا للعبيد .. أين إلهكم وإله سيدكم ؟

فزاعت أبصارهم . وبلغت القلوب حناجرهم . وأخذ ينظر بعضهم الى

بعض في لهفة من يتعنى الموت قبل أن يتوجه اليه سؤال آخر ..

ثم خرج من المنزل ذاهلا لا يكاد يصدق أنه قد فقد محبوبه واليه .

وخلفه الخدم والعبيد ميمائيت الكاهن عبد شمس يسأله عما عساه يكون

قد حدث في عالم السماء والارض . حتى جد هذا الاختفاء الغريب ولكنه

ما سار طويلا حتى لفت نظره مجموعة من الصبية تتدافع حول حفرة

(١) في هذا اشارة الى ما جاء به القرآن في الآية المنشورة على صدر هذه الصورة

أعدت لطرح الفضلات . فدعاه الفضول الى مثل ما اجتمع حوله الاطفال ،
خالفني الهه (مناة) منكسا على رأسه في هذه الحفرة فوقف دونه تنازعه
عاطفتان عاطفة الفرح المشوب بالحدق على من ارتكبوا هذه الجريمة الشنعاء .
وعاطفة التشكك في أن يرضى إله بهذا المصير المهيمن

غير أن ما تركز في النفس . وامتزج بالعاطفة لا يمكن أن يزول أثره
دفعة واحدة . ولهذا تغلبت عليه عقيدة الجاهلية وتقاليده الوراثة فغالب
مبادئ الشك التي كانت قد اتبته . وهوى على إلهه ينقذه مما هو فيه بنفسه
تكريما له وكفاه لمحبه إياه . ثم أخذ ينظر اليه بعين سخينة وعبرة محتبسة
ويمسح عنه ما علق به من أقدار ويقول
والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيتك

* * *

ومال عمرو بن معاذ على أذن صاحبه في مجلس القوم وقال
هذا أبوك قد جاء للمرة الثانية بالهه وراح ينظفه ويعطره كمادته في ذلك
فأرسلها معاذ بن عمرو زفرة تكاد تتمزق لها ضوالمه : واحتقن الدم
في وجهه ثم تجمل بالصمت . وراح يفكر فيما يصنع ازاء هذا الخطب المدلم ،
ثم رأى أن الموقف أصبح أشد مما تحتمله نفس مسلم كريم . وإن الصمت
عليه أو مداجاته عقبة كبرى في سبيل تقدم الدعوة الجديدة . لما لأبيه من
منازل الشرف والسيادة في قومه ، فرأى أن يشاكسه أولا ثم يتحداه .
فأخذ ينشد على مسمع من أبيه

أربا واحدا أم ألف رب أدين اذا تمددت الامور

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
 فلا « العزى » أدين ولا ابنتها ولا صنمى بنى غنم أزور
 ولا « هبلا » أزور وكلن ربا لنا فى الدهر إذ حلنى صغير
 أطرق أبوه لهذه الأبيات طويلا وأسكته عن أن يغلظ لابنه القول
 فى تحديه له - مازاد فى تشككه نحو إلهه الذى لا يخرج من حفرة دفرة (١)
 إلا الى مثلها .. ولكن حمية الجاهلية وبقايا العاطفة الهوجاء . تأبى عليه أن
 يسلم رايته لابنه الصغير ، ويخلى الميدان له مهزوما أمامه فأغضى على قذى
 وتهادن على دخن . وصمت طويلا ثم قام الى إلهه ووقف قبالة وانتزع سيفه
 من حائله نائراً مستحمسا وعلقه فى عنق (مناة) وقال له

إنى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فان كان فيك خير . فامتنع
 فهذا السيف معك ، ثم انصرف الى مخدعه وقلبه معلق بين الخوف على إلهه
 والأمل فى نجاته

وما انقشعت ظلمة الليل عن غرة الصباح . حتى كان عمرو على حافة الحفرة
 القذرة ينظر الى (مناة) بعين ملؤها اليأس والاستخفاف بهذا الذى توهمه
 إلهها ولم يكن سوى قطعة من خشب لا تضر ولا تنفع ثم أنشد موحداً يقول

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن
 أف للقياك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن
 الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
 هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتين

باحمد المهدي النبي ذى المنن

فهرس الجزء الثاني

حسب الترتيب التاريخي للسيرة

- ٣٠ اضطهاد قريش للمسلمين من أجل دينهم
- ٣٨ هجرة المسلمين الى بلاد الحبشة
- ٤٧ سفر وفد من مشركي قريش برياسة عمرو بن العاص للوقعة بين المسلمين ونجاشي الحبشة ، ثم احتضان النجاشي للمسلمين واكرامهم
- ٥٦ تعذيب بلال وإنقاذ أبي بكر له
- ٧٢ إسلام حمزة
- ٧٧ إسلام عمر بن الخطاب
- ٨٦ دور القرآن وأثره في انتشار الاسلام
- ٩٥ عرض الملك والمال والطب على رسول الله للتنازل عن دعوته ورفض رسول الله ذلك
- ١٠٨ استفتاء قريش يهود يثرب في أمر رسول الله ودعوته . ووضع أسئلة له في ذلك . واجابة الرسول عليها
- ١٣٦ اختلاف زعماء قريش الى بيت رسول الله ليلا - مستخفين من خلف بعضهم - لسماع القرآن ولقاء بعضهم البعض عند الفجر وتلاومهم في ذلك
- ١٥١ مناقشة قريش لرسول الله في أمر البعث يوم القيامة

مقاطعة قريش لرسول الله اقتصاديا واجتماعيا	١٦١
فشل المقاطعة في الاشهر الحرم	١٧٤
تمزيق صحيفة المقاطعة وفشل خطتها	١٨٣
موت أبي طالب عم رسول الله	١٩٣
وفاة خديجة زوج الرسول	١٩٩
سفر رسول الله الى الطائف لمرض دعوته على ثقيف	٢٠٧
قصة الاسراء	٢١٣
بناء رسول الله بسودة بنت زمعة وقرانه بعائشة	٢٢٠
أول وفد من (يثرب) يدخل في دين الله	٢٢٢
إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدى (يثرب) على يد مصعب بن عمير	٢٢٩
بيعة العقبة	٢٣٧
إسلام عمرو بن الجموح من سادات يثرب	٢٤٩

~*~*~*~

تم الجزء الثانى وسيليه الجزء الثالث قريباً باذن الله تعالى .
فترجوه التوفيق والنجاح خالصاً لوجهه الكريم

